ذو النورين أمير المؤمنين

عُثمان بن عفان رضي الله عنه

رَجُلٌ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَة

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أُسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بجَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالرِّيَاضِ (سَابِقاً)

ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

رجل تستحي منه الملائكة

ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

رجل تستحي منه الملائكة

تأليف

أ. د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا)

ح
عبدالعزيز بن إبراهيم سليمان العُمري، ١٤٤٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم سليمان
ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ رجل تستحي منه الملائكة. / عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري. ـ الرياض، ١٤٤٥هـ
٤٩٢ ص، ١٤سم× ٢١ سم
ردمك: ١ـ ٧٢٤٥ ـ ٠٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص، ت ٣٥هـ ٢ـ الصحابة والتعابعون أ. العنوان
ديوي ٢٣٩.٩ ١٤٤٥/١٧٦٨

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٧٦٨
ردمك: ١ـ ٧٢٤٥ ـ ٠٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

هاتف: ٠١١٢٧٤٦٦٧٧ ، ٠١١٢٧٤٦٦٨٨ فاكس:٠١١٢٧٥٩٠٢٠
E-mail: *azizomary@hotmail.com*

يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

إهـــــداء

لمـن أحـب رسـول اللّه ﷺ وأحبابـه ﷺ ، والمؤمنين معهم إلى يوم القيامة ومنهم ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ الذي زوجه رسول اللّه ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم ﷺ.

مقدمة.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

فهذا هو الكتاب الثالث في سلسلة يسرها اللَّه لي عن خلفاء رسول الله ﷺ الراشدين ـ سبقه كتابان عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ ـ وهذا الكتاب خاص بعثمان بن عفان ذي النورين ثالث الخلفاء الراشدين ﷺ، أحد العشرة المبشرين بالجنة، صحب الرسول ﷺ في مكة وكان من ألصق الناس برسول الله ﷺ وبأم المؤمنين خديجة ﷺ في بيت النبوة بمكة بحكم مصاهرته ﷺ للرسول ﷺ في بنته رقية ﷺ في حينه. عرف ﷺ بشرفه وتجارته وسخائه وكرمه.

هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية ﷺ، ثم هاجر معها ﷺ إلى المدينة، رزق منها بعبدالله بن عثمان، وبه كُني. توفيت رقية ﷺ فزوجه ﷺ من بعدها بأختها أم كلثوم ﷺ.

كان ﷺ سندًا لرسول الله ﷺ بنفسه وماله، رجل تستحي منه الملائكة، بشره الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من موضع، أوقف المياه على المسلمين في المدينة المنورة، وسَّع مسجد رسول الله ﷺ مرتين، كان سندًا لأبي بكر ﷺ أثناء خلافته، وسندًا لعمر ﷺ من بعده.

تولى الخلافة بعد عمر ﷺ بشورى من المسلمين، فبايعه الصحابة ﷺ ومنهم علي ﷺ فأحسن الخلافة، وأدار دولة الإسلام، ووسعها وفتح مناطق جديدة نشر فيها الإسلام، وقضى نهائيًا على مملكة فارس، استمر في سياسة عمر ﷺ المالية في العطاء والدواوين، وزاد في أعطيات الناس، ووحد الناس على نسخة واحدة من المصحف مراجعة ومقرة من الصحابة ﷺ وعممها على الأمصار، فوحَّد الناس على كتاب الله ﷻ المحفوظ بلا خلاف، كان خطيبًا وَمُعلِّمًا وقاضيًّا، حكم اثنتي عشرة سنة، هو أطول الراشدين حكمًا. سخي باذل معطاء، بقيت له أوقاف في المدينة إلى وقتنا الحاضر.

كان عثمان ﷺ ـ بحق ـ الخليفة المظلوم الذي افترى عليه بعض الأولين وأولوا، ولم ينصفه المتأخرون ﷺ.

ويل لمن كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ خصمًا له يوم القيامة، وخصوصًا من أحبهم الرسول ﷺ وشهد لهم بالجنة، ومنهم ذو النورين صهر رسول الله ﷺ في ابنتيه، عثمان بن عفان ﷺ.

قتل ﷺ شهيدًا مظلومًا في داره من قبل أهل الفتنة، ولم يستسلم مباشرة، فقد دافع عن نفسه ودافع عنه من حضر حصاره من الصحابة ﷺ، واستعان بالولاة الذين لم تصل نجدتهم في الوقت المناسب، فصرف المدافعين عنه بعد جرح وقتل بعضهم، رافضًا أن يصاب معه أحد، مؤثرًا للآخرين الذين كانوا على استعداد للدفاع عنه، ولعلمي بظلم قتلته لم أتابع ما أخذوه عليه، حيث لم يكن الحق مطلبهم، ولا الإنصاف هدفهم، فرأيت الإعراض عنها مع أنني تتبعت بعضها ولم أجد فيها ما يستحق المتابعة. وهذه المأخذ لا ترقى إلى أي درجة من الحق لتناقش بدقة ـ من

وجهة نظري ـ كي يتم بحثها مع أنه ردَّ عليها الكثيرون في مؤلفات اتسمت بخصوصية مناقشتها لتلك المآخذ. بحثت في الروايات عن عثمان ﷺ فوجدت انتقائية عند من يتهمه، ومنهجًا بعيدًا عن العلم الحقيقي، فاللّٰه المستعان.

وإني هنا أسطر شكري لأستاذي وأخي الدكتور علي بن إبراهيم النملة لتشجيعه ومراجعته وضغطه المستمر لحفظ مقام الصحابة ﷺ الذين زكاهم اللّٰه ورسوله ﷺ. كما أشكر الأستاذ مصعب بشير على جهوده في الطباعة والتنسيق والمتابعة في النشر. ولكل من أعان وشجع خالص الدعاء.

الرياض محرم ١٤٤٥هـ.

نسبه ومولده ﷺ.[1]

(١) وضع البخارى في صحيحه في كتاب المناقب لأصحاب النبى ﷺ، مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٣؛ وعند مسلم في صحيحه فصل في الإشارة إلى شيء من الأحاديث الواردة في فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٧/١١٧؛
ووضع ابن كثير في البداية والنهاية فصلاً في الإشارة إلى شيء من الأحاديث الواردة في فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٦/١٤٧.
أُلِّفت العديد من الكتب عن عثمان بن عفان ﷺ، منها:

- الخرُوف، أحمد.
شهيد الدار عثمان بن عفان. ط ١ ـ عمان، الأردن: دار عمار ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- رضا، محمد رشيد.
ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث. ط ٢ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- السلمي، محمد صامل.
خلافة عثمان بن عفان. ط ١ ـ الرياض: دار الوطن للنشر ١٤١٩هـ.
- الصلابي، علي محمد.
تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، شخصيته وعصره. الإسكندرية: دارالإيمان (د. ت).

هـو **عثمـان بـن عفـان** بـن أبـي العـاص بـن أميـة بـن عبـد شمس بن عبد مناف بنِ قُصَيّ بن كلاب بنِ مُرّة بْنِ كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهرٍ. أموي قرشي، يُكَنّى: أبا عَمْرٍو

- غبان، محمد عبدالله.
فتنة مقتل عثمان (رضي الله عنه وأرضاه). ط ١ ــ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- الغيث، خالد بن محمد.
استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، في تاريخ الطبري، دراسة نقدية. ط ٢ ـ جدة: دار الأندلس الخضراء ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- مال الله، محمد.
شبهات حول الصحابة والرّدّ عليها (ذو النورين عثمان بن عفان)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وتعليق محمد مال الله. ط ١ ـ (د. م) ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
- المالقي، محمد بن يحيى.
التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان، تحقيق منى إزعريين وخديجة إزعريين. ط ١ ــ الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.
- هيكل، محمد حسين.
عثمان بن عفان بين الخلافة والملك. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م.

قبل إسلامه، كما عرف بأبي عبداللَّهِ بعد إسلامه.[١] وأشهر ألقابه ﷺ ذو النورين لزواجه من بنتي رسول الله ﷺ.

وأُمُّ عثمان بن عفان ﷺ هي أروى بنت كُرَيْزِ بن ربيعة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزُومٍ، وأُمُّ أروى هي أُمُّ حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب عمة رسولِ اللَّهِ ﷺ. وأمُّ أُمِّ حكيم هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدة رسول اللَّه ﷺ من أبيه.[٢]

---

(١) كناه البخاري بأبي عبدالله. وكناه بأبي عمرو. انظر: (البخاري، صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﷺ، ج٤/٢٠٢)؛ وانظر: يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، ج١/٢٧١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٧؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٤.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان (نسبه)، ج٩/٧٩، ٨٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٣؛ ابن حجر الإصابة، ج٢/٤٦٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣/٣٧٦؛ النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١٠٢؛
ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٩.

يجتمع ﷺ مع النبي ﷺ في عبد مناف.[١] ولد بعد النبي ﷺ بقرابة ست سنين.[٢]

وكانت ولادته ﷺ في الطائف،[٣] عاش ﷺ ونشأ في مكة، كان منذ حياته في مكة ميسور الحال تاجرًا منذ شبابه، منعمًا موسعًا على نفسه.[٤]

---

(١) ابن حجر الإصابة، ج٤٦٢/٢؛ موسى العازمي، السيرة العثمانية، ص٩.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧٧/٣.

(٣) أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٠.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧٧/٣؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٠.

زَوْجَاتِهِ وَبَنُوه وبناته رضي الله عنهم.[١]

تزوج رضي الله عنه رقيّة بنت رسول الله ﷺ. ((فكان يقال:

أحسنُ زوج رآهُ إنسانُ رقيةٌ وزوجها عثمان

وقالت في ذلك سعدي بنت كريز:

هدى اللّه عثمانًا بقولى إلى الهدى
وأرشـــدهُ واللّهُ يهـــدي إلى الحـــق
فتـــابعَ بالرأي الســـديدِ محمدًا
وكـــــانَ برأي لا يصدُ عن الصدق
وأنكـــحه المبعـــوثُ بالحق بنتهُ
فكانا كبدر مازجَ الشمسَ في الأفق
فـداؤكَ يا ابن الهاشميين مهجتي
وأنت أمـــينُ اللّهِ أرسلـــتَ للخـــلق[٢]

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١٣٦/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٩/٧؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٤.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢٠٠/٧.

فولد له منها عبدالله، وبه كان يُكَنّى، بعد ما كان يُكَنّى في الجاهلية بأبي عمرو، واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبدالله. فبلغ عبدالله ستَّ سنين فنقره ديك على عينيه فمرض فمات في جُمادى الأولى سنة أربع من الهجرة. فصلى عليه رسول اللّه ﷺ، ونزل في حفرته عثمان بن عفان ﷺ ولمَّا تُوُفِّيَتْ رقية ﷺ تزوّجَ بأختها أُمّ كلثوم ﷺ بنت رسول الله ﷺ، ثُمّ تُوُفِّيَتْ فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر ﷺ، فولد له منها عبيداللّه الأصغر، وتزوّجَ بأم عمرو بنت جُندُب بن عمرو الأزديّة ﷺ، فولدت له عمروًا، وخالدًا، وأبانا، وعمر، ومريم، وتزوّج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزُومِيّة ﷺ، فولدت له الوليد وسعيدًا. وتزوّج أُمّ البنين بنت عُيَيْنَةَ بن حصن الفزاريّة ﷺ، فولدت له عبدالملك، ويقال وعُتْبَةَ، وتزوّجَ رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأُمّ أبان وأُمّ عمرو ﷺ. وتزوّج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جيان

بن كليب ﷺ، فولدت له مريم، ويقال وعَنْبَسَةَ. وقتل ﷺ وعنده أربع: نائلة، ورملة، وأُمُّ البنين، وفاختة، ويقال إنّه طلَق أُمّ البنين وهو محصُورٌ.(١)

عن عمر بن سعيد قال: ((كان عثمان بن عفان إذا ولد له ولدٌ دعا به وهو في خرْقَةٍ فيَشُمُّهُ. فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: إنِّي أحِبُّ إنْ أصابه شيءٌ أن يكون قد وقع له في قلبي شيءٌ. يعني الحُبّ)).(٢)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٩/٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٣/٣ ـ ٥٤.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٩/٣.

صفَته ﷺ.[١]

كان ﷺ حسن الوجه دقيق البشرة، كبير اللِّحية، معتدل القامة، عظيم الكرَادِيسِ، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، حسن الثغر، فيه سمرة، وقيل كان في وجهه شيءٌ من آثار الجُدَرِيّ، ﷺ، مربوعًا، أصلع، أزوج الرجلين يخضب بالصفرة. وقد كان يشد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر.[٢]

اشتهر عثمان ﷺ بحسنه، عن أسامة بن زيد ﷺ قال: ((بعثني رسول اللَّه ﷺ إلى عثمان بصحفةٍ فيها لحمٌ، فدخلت عليه ورقيّة جالسةٌ، فما رأيت اثنين أحسن منهما، فجعلت مَرّةً أنظر إلى رقيّة ومرّةً أنظر إلى عثمان، فلمّا

---

(١) أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦؛ ابن قتيبة، المعارف ص ٨٢؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٤.

رجعت قال لي النّبيُّ ﷺ: أدخلت عليهما؟ قلت: نعم قال: فهل رأيت زوجًا أحسن منهما؟ قلت: لا يا رسول اللّه، لقد جعلت مرّةً أنظر إلى رقيّة ومرّةً أنظر إلى عثمان)).[1] ومن المعروف أن أسامة بن زيد ﷺ كان صغير السن عند الهجرة وهو ووالده ووالدته كأنما هم من آل البيت، ورقية ﷺ توفيت في السنة الثانية من الهجرة والحجاب لم يفرض بعد.

وعن عبداللّه بن حزم المازني قال: ((رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قَطُّ ذكرًا ولا أنثى أحسن وجهًا منه)).[2]

عن أبي عبدالله مولى شداد بن الهاد قال: ((رأيت عثمان بن عفان على المنبر يوم الجمعة وعليه إزار عدني غليظ قيمته أربعة دراهم أو خمسة دراهم، وريطة كوفية

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٠.

ممشقة ضرب اللحم طويل اللحية حسن الوجه)).[١]

عن عبيدالله بن دارة: ((أن عثمان كان قد سلِسَ بَوْلُهُ عليه فداواهُ ثُمّ أرسلهُ. فكان يتوضّأُ لكل صلاة)).[٢]

وورد في الخُطبة التي خاطب بها عثمان ﷺ الناس من داره: ((والله ما تغنيت ولا تمنّيتُ ولا زنيت في جاهلِيّةٍ ولا إسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول اللّه ﷺ، ... وكان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم ﷺ)).[٣]

وكان عثمان ﷺ يتنشّفُ بعد الوضوء.[٤]

عن بنانة قالت: ((كان عثمان إذا اغتسل جئْتُهُ بثيابه

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج١٠٣/٣؛ وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٠/٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٨/٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٨١/٧، ٢١١؛ الطبري، تاريخه، ج١٣٠/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٩/٣.

فيقول لي: لا تنظري إليّ فإنّهُ لا يَحِلُّ لَكِ. قالت: وكنت لامرأته)).[١] ـ يعني جارية لإمرأته ـ.

وعرف عنه ﷺ تخليله للحيته ثلاثًا عند الوضوء.[٢]

وعن عبدالله بن عون القارئ قال: ((رأيت عثمان بن عفان أبيض اللحية)).[٣] وعن ابن أبي ذئب، عن عبدالرحمن بن سعد قال: ((رأيت عثمان بن عفان أصفر اللحية)).[٤] ولا شك أن رواية بياض لحيته أو صفارها صحيحة؛ لأنه قد يترك الصبغ أحيانًا فتصير بيضاء، وإذا صبغ بالحناء صارت صفراء، فهي متغيرة من وقت لآخر.

وقد ذكر أحد الرواة أنه دخل المسجد، فإذا عثمان بن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٩.

(٢) انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص٢٢٩.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٠؛ انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/٥٩.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٠.

عفان ﷺ مُتّكِئًا على ردائه، فأتاه سَقَّاءَان يختصمان إليه، فقضى بينهما. ثم أتيته فنظرت إليه فإذا رجل حسن الوجه، بوجهه نُكْتَاتُ جُدَرِيّ، وإذا شعره قد كسا ذراعيهِ.(١)

وذكر في وصفه أنه: كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل. حسن الوجه. رقيق البشرة. كبير اللحية عظيمها. أسمر اللون. عظيم الكراديس. بعيد ما بين المنكبين.(٢)

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/ ٨٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ٥٨.

لِبَاسِه ﷺ.

عن محمود بن لبيد: ((أنّهُ رأى عثمان بن عفان على بغلَةٍ له. عليه ثوبان أصفران. له غديرتان)).[١]

وروى أحدهم قال: ((رأيت عثمان بن عفان وهو يبنى الزوراء. على بغلة شهباء مصفرًا لحيته)).[٢]

ورؤي عثمان بن عفان ﷺ يخطب وعليه خميصة سوداء وهو مخضوبٌ بِحِنّاء.[٣]

وذكر أحد الرواة قال: ((رأيت على عثمان قميصًا قُوهِيًّا على المنبر)).[٤]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧. و(الغديرة): هي الذؤابة من الشعر أو العمامة (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢/١٠٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥/١٠).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧. و(الخميصة): كساء أسود له علمان (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢/٣٠٢).

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧. (قميص قوهي): ضرب من الثياب أبيض ينسب إلى قوهستان في فارس (ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٤١٦).

عن الحسن ﷺ قال: ((رأيت عثمان ينام في المسجد مُتَوَسِّدًا رداءه)).[١]

وعن موسى بن طلحة قال: ((كان عثمان يوم الجمعة يتوكَّأُ على عصًا، وكان أجمل الناس، وعليه ثوبان أصفران: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، حتى يأتي المنبر فيجلس عليه)).[٢]

عن الأحنف بن قيس قال: ((رأيت على عثمان بن عفان مُلاءَةَ صفراء)).[٣]

عن موسى بن طلحة قال: ((رأيت عثمان بن عفان وعليه ثوبان مُمَصّرَانِ)).[٤]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٨؛ صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر مغفرة الله ـ جل وعلا ـ لعثمان بن عفان ﷺ بتسبيله رومة، ج١٥/٣٦٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٨. و(الثوب الممصر): هو المصبوغ بحمرة أو صفرة خفيفة (ابن منظور، لسان العرب، ج٥/١٠).

عن سليم أبي عامر قال: ((رأيت على عثمان بن عفان بُرْدًا يمانيًّا ثمن مئة درهمٍ)).[١]

عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال: ((كان أصحاب رسول الله ﷺ يُوسِعُونَ على نسائهم في اللِّبَاسِ الذي يصان ويتجمل به. ثُمّ يقول: رأيت على عثمان مطرف خَزّ ثمن مئتي درهم. فقال: هذا لنائلة كَسَوْتُهَا إيّاهُ فأنا ألبسه أسُرُّهَا به)).[٢]

ورُوي ((أنّ عثمان بن عفان أعتق عشرين عبدًا مملوكًا، ودعا بسراويل فشدّهَا عليه ولم يلبسها في جاهليّةٍ ولا إسلام، وقال: إنّي رأيت رسول اللّه ﷺ البارحة في المنام رأيتُ أبا بكر وعمر وإنّهم قالوا لي: اصبر، فإنّك تفطر عندنا القابلة، ثُمّ دعا بمصحف فنشره بين يديه

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٨. (مطرف خز): أي ثوب مصنوع من قماش الخز وهو الإبْرَيْسَم (ابن منظور، لسان العرب، ج٥/٣٤٦).

فَقُتِلَ، وهو بين يديه)).[١]

كان ﷺ يحب الطيب تأسيًّا برسول الله ﷺ،[٢] كما ذكر أنه ﷺ كان يكتحل.[٣]

وقد كان ﷺ حسن الشّكل، مليح الوجه، كريم الأخلاق.[٤]

كان ﷺ يتختم بخاتم رسول الله ﷺ، فسقط منه في بئر أريس، سنة (٣٠) من الهجرة،[٥] فبحث عنه عثمان ﷺ واجتهد في ذلك أيما إجتهاد ولم يعثر عليه.[٦]

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٦، ٩٧.

(٢) انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ١٩.

(٣) انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ١٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٧.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٥.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥٥؛ انظر: رواية أنس بن مالك ﷺ في صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ج٧/٥٣.

وسُئل ابن عباس ﷺ عن عثمان ﷺ ما كان على فص خاتمه قال: ((لقد كان على فص خاتمه من صدق نيته اللهم أحينى سعيدًا وأمتنى شهيدًا فوالله لقد عاش سعيدًا ومات شهيدًا)).[١] كما ورد أنّ عثمان ﷺ تَخَتَّمَ في اليسار.[٢]

عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: ((كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوّى. وقال محمد بن المبارك بلغني أنّه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان باللّه العظيم)).[٣]

وكل هذه الروايات واردة، فلا شك أن عثمان ﷺ لبس أكثر من خاتم، وبالتالي تغير الخاتم قد يغير شكله ونقشه.

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٥ ـ ٥٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٤؛ وانظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٥.

طعامه ﷺ.

كان عثمان ﷺ رجلاً ثريًّا في مكة قبل هجرته، وكان صاحب نعمة، واشتهر عنه ذلك، ولم يكن يبخل على نفسه في الطعام الحسن مما أحل الله من خالص ماله، وكان كبار السن من قريش مولعين ببعض الأطعمة ومنها الْخَزِيرَةِ،[1] وروى أحدهم قال: ((كنت أتعشّى مع عثمان خزيرًا من طبخ من أجود ما رأيت قَطُّ، فيها بطون الغنم، وأُدْمُهَا اللَّبَن والسّمن، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلت قطُّ، فقال: يرحم اللّه ابن الخطَّاب! أكلت معه هذه الْخَزِيرَةَ قطُّ؟ قلت: نعم، فكادتِ اللُّقْمَةُ تَفْرُثُ في يدي حين أهوي بها إلى فمي، وليس فيها لحمٌ، وكان أدمها السّمن ولا لبن فيها.

فقال عثمان ﷺ: صدقت، إن عمر ﷺ أتعب واللّهِ من تبع أثره، وإنّهُ كان يطلب بثنيه عن هذه الأُمُورِ ظلفًا، أما

(١) (الخزيرة): هي الحساء الدسم من الدقيق (الزبيدي، تاج العروس، ج٣/١٧٣).

واللَّه ما آكُلُهُ من مال المسلمين، ولكِنِّي آكُلُهُ من مالي، أنت تعلم أنِّي كنت أكثر قريش مالاً، وأجَدّهُمْ في التِّجارة، ولم أزل آكُلُ من الطَّعام ما لانَ منه، وقد بلغت سِنًّا فأحبُّ الطَّعام إليّ ألينه، ولا أعلم لأحدٍ عليّ في ذلك تبعة)).[1]

كما روي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه، قال: ((كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر، قد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد وصغار الضأن كل ليلة، وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولاً، ولا أكل من الغنم إلا مسانها، فقلت لعثمان في ذلك، فقال: يرحم اللَّه عمر! ومن يطيق ما كان عمر يطيق!)).[2]

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٩/٧؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج١٣٦/٥.

فضل عثمان رضي الله عنه.

كتب العديد من المحدثين والعلماء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه. وعنونوا لذلك.[١]

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في أكثر من موضع.[٢]

فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهم أفضل الصحابة رضي الله عنهم بإجماع الأمة، وأحد الستة أصحاب الشورى عند وفاة عمر رضي الله عنه وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من السِّتّةِ، ثُمّ تَعَيّنَتْ فيه بإجماع المهاجرين والأنصارِ رضي الله عنهم،

---

(١) أورد البخاري في صحيحه، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه وقال النبي ﷺ: ((من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان، وقال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان))، ج٤/٢٠٢؛
ومسلم، صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان الأموي رضي الله عنه، ج٧/١١٦ ـ ١١٩؛ والترمذي في صحيحه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٥/٦٢٥؛
صحيح ابن حبان، ذكر عثمان بن عفان الأموي رضي الله عنه، وفيه عدة أبواب، ج١٥/٣٦٢.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/ ٤٦٢.

فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديّين، المأمور باتِّباعهم والاقتداء بهم.[١]

عن ابن عمر ﷺ قال: ((كُنّا في زمن النّبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثُمّ عمر، ثم عثمان، ثم نذر أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)).[٢]

عنون ابن كثير ﷺ: (فصل في ذكر شيءٍ من سيرته وهي دالة على فضيلته).[٣]

قال ابن مسعود ﷺ: ((لَمَّا تُوُفِّيَ عمر بايعنا خيرنا ولم نَأْلُ))، وفي روايةٍ: ((بايعوا خيرهم ولم يَأْلُوا)).[٤]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٩.

(٢) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٤؛ وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٤.

وقد أمر ﷺ عثمان بن عفان ﷺ بالصبر على البلوى التى ستصيبه، ففى رواية ذكرناها وخرجناها أكثر من مرة، لكل موضع منها شاهد، عن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان متكئًا في حائط من حيطان المدينة وهو يقول بعود في الماء والطين ينكت به، فجاء رجل فاستفتح فقال ﷺ: ((افتح له وبشره بالجنة فإذا هو أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح آخر فقال: افتح له وبشره بالجنة، فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال: افتح له وبشره بالجنة على بلوىً. قال: ففتحت له فإذا هو عثمان، فبشرته بالجنة وقلت له الذي قال، فقال: اللهم صبرًا أو قال: الله المستعان)).[1]

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر سؤال عثمان بن عفان الصبر على ما أوعد من البلوى التي تصيبه، ج١٥/٣٤١، ٣٤٢؛ وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ، ج٧/١١٧، ١١٨؛ سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٣١، ح رقم: ٣٧١٠؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٩.

عن ابن عمر ﷺ قال: ((كنت مع رسول اللّه ﷺ إذْ جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فصافحه، فلم ينزِع النبي ﷺ يده من يد الرجل حتى انتزع الرجل يده، ثُمّ قال له: يا رسول اللّه، جاء عثمان قال: امْرُؤٌ من أهل الجنّة)).(١)

روى الأمام أحمد ﷺ: عن جابر بن عبداللّه ﷺ. أنّهُ كان يحدث أنّ رسول اللّه ﷺ قال: ((أُرىَ اللّيلة رجلٌ صالحٌ أنّ أبا بكر نيط برسول الله، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر، فلمّا قمنا من عند رسول اللّه ﷺ قُلْنَا: أمّا الرجل الصالح فرسول اللّه ﷺ، وأمّا ما ذكره رسول اللّه ﷺ من نوط بعضهم ببعض، فهؤلاء ولاة هذا الأمْرِ الّذِي بعث اللّه به نبيّهُ ﷺ)).(٢)

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٧/٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢٠٥/٧؛
الإمام أحمد في مسنده، ج٣٥٥/٣؛
ورواه أبو داود في سننه، باب في الخلفاء، ص ٨٣٨، ح رقم: ٤٦٣٦.

عن ابن عمر ومعاذ بن جبل ﷺ قال رسول اللّه ﷺ: ((إنِّى رأيتُ أَنِّى وضُعت في كفَّةٍ وأُمّتِى في كفَّةٍ فعدلتُهَا، ثمّ وضُع أبو بكر في كفَّةٍ وأمتى في كفَّةٍ فعدلها، ثُمّ وضُع عمر في كِفَّةٍ وأمتى في كفَّةٍ فعدلها، ثُمّ وضُع عثمان في كفَّةٍ وأمتي في كفَّةٍ فعدلها)).[١]

عن عائشة ﷺ قالت: ((لَمّا أسّس رسول اللّه ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول اللّه ﷺ عن ذلك فقال: هم أمراء الخلافة من بعدي)).[٢]

وفي بعض الروايات: فقال رسول اللّه ﷺ: ((هذه خلافة النبوة)).[٣]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٥.

(٢) أبو يعلى، مسنده، ج٨/٧٠، ح رقم: ٤٨٨٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٦.

عن ابن عمر ﷺ قال: ((كنا نعد رسول اللّه ﷺ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثُمّ نسكت)).[١]

حدثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه. قال: ((كُنّا نقول في عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان ـ يعني في الخلافة ـ)).[٢]

عن المهلب بن أبي صفرة قال: ((لم يتزوّج رجلٌ من الأوّلين والآخرين ابنتي نبيٍّ غيره)). رواه ابن عساكر.[٣]

ولعل من فضائل عثمان ﷺ روايته عن النبى ﷺ لأكثر من مئة وستة وأربعين حديثًا نقل بعضها البخاري ومسلم،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/١٤؛
ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٣.

ونقل البقية أصحاب السنن والمسانيد.[١]

ومن فضائل عثمان ﷺ بيعة المصطفى ﷺ عنه في بيعة الرضوان بضربه ﷺ إحدى يديه على الأخرى عنه وفصلناها في موضع آخر.

وروي عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ أنّ أبا بكر ﷺ استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه لابسٌ مرط عائشة ﷺ، فأذن لإبي بكر ﷺ وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثُمّ انصرف، فاستأذن عمر ﷺ فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثُمّ انصرف، قال عثمان ﷺ: ثُمّ استأذنت عليه فجلس وقال: اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثُمّ انصرفت، فقالت عائشة ﷺ: يا رسول الله! ما لي لا أراك فزعت لإبي بكر وعمر كما فَزِعْتَ لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: ((إنّ عثمان رجلٌ حييٌّ، وإنِّي خشيت إنْ أذنت له على تلك الحالة لا يُبْلِغُ إلي

(١) انظر: عبر الأشجان من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ص٣٤٩.

حاجته)).[١]

في رواية أخرى عن عائشة ﷺ قالت: ((كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه. فاستأذن أبو بكر ﷺ فأذن له وهو على تلك الحال. فتحدث. ثم استأذن عمر ﷺ فأذن له. وهو كذلك. فتحدث. ثم استأذن عثمان. فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ـ قال الراوي: ولا أقول ذلك في يوم واحد ـ فدخل فتحدث. فلما خرج قالت عائشة ﷺ: دخل أبو بكر فلم تهتش له. ولم تباله. ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله. ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة")).[٢]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان ﷺ، ج١١٧/٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ، ج١١٦/٧، ١١٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨١/٩؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٢٢.

عن زيد بن أسلم عن أبيه ﷺ قال: ((شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا وليس معه من أصحابه غيري وغيرك، فقال لك: يا طلحة إنه ليس من نبي إلا وله رفيق من أمته معه في الجنة وإنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنة، فقال طلحة: اللهم نعم، قال ثم انصرف طلحة)).[١]

وقد جمع ابن كثير ما ورد من أحاديث في فضل عثمان ﷺ وعنون له: (فصل في الإشارة إلى شيء من الأحاديث الواردة في فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ).[٢]

من ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: أنّ أنسًا ﷺ حدّثهم قال: ((صعد النّبيُّ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١٠٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٩.

بكر وعمر وعثمان، فرجف فقال: اسكن أُحد ـ أظنُّه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان)).[١]

وفي الصحيحين أيضًا من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى الأشعري ﷺ، وفيه ((أنّ أبا بكر وعمر دلَّيَا أرجلهما مع رسول اللّه في باب القف وهو في البئر، وجاء عثمان فلم يجد له موضعًا)) قال سعيد: فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان.[٢]

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ؛ أنه توضأ في بيته ثم خرج. فقال: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا. قال فجاء المسجد. فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج. وجه ههنا. قال فخرجت على أثره أسأل عنه. حتى دخل بئر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٤؛ وانظر: رواية الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٢٥، ح رقم: ٣٦٩٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦.

أريس.[١] قال فجلست عند الباب. وبابها من جريد. حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ. فقمت إليه. فإذا هو قد جلس على بئر أريس. وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر. قال: فسلمت عليه. ثم انصرفت فجلست عند الباب. فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك. قال ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن. فقال: ((ائذن له، وبشره بالجنة)) قال: فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل. ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. قال: فدخل أبو بكر. فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف.[٢] ودلى رجليه في البئر. كما صنع النبي ﷺ. وكشف عن ساقيه. ثم رجعت فجلست. وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني. فقلت: إن يرد الله بفلان ـ يريد أخاه ـ خيرًا يأت به. فإذا إنسان يحرك الباب. فقلت: من هذا؟

---

(١) (بئر أريس): بئر مشهورة منذ أيام الرسول ﷺ وبها سقط خاتم النبي من يد عثمان رضي الله عنه.

(٢) (القف): حافة البئر العلوية.

فقال: عمر بن الخطاب. فقلت: على رسلك. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن. فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة)) فجئت عمر فقلت: أذن ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. قال: فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف، عن يساره. ودلى رجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا ـ يعنى أخاه ـ يأت به. فجاء إنسان فحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك. قال: وجئت النبى ﷺ فأخبرته. فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة. مع بلوىً تصيبه)) قال: فجئت فقلت: ادخل. ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك. قال: فدخل فوجد القف قد ملئ. فجلس وجاههم من الشق الآخر. قال شريك: فقال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.[1]

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١١٨/٧، ١١٩.

أن النبى ﷺ دخل حائطًا وأمرنى بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة)). فإذا أبو بكر ﷺ، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة)). فإذا عمر ﷺ، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ((ائذن له وبشره بالجنة، على بلوىً ستصيبه)). فإذا عثمان بن عفان ﷺ. وزاد بعضهم: أن النبى ﷺ كان قاعدًا في مكان فيه ماء، قد انكشف عن ركبتيه، أو ركبته، فلما دخل عثمان ﷺ غطاها.(١)

عن زيد بن أسلم عن أبيه ﷺ قال: ((شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز، ولو أُلقِىَ حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التى تلى باب مقام جبرئيل، فقال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثُمّ قال: أيها الناس! أفيكم طلحة بن عبيداللّه؟

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٢؛ وانظر: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن بشرى عثمان بن عفان بالجنة ...، ج١٥/٣٤٠، ٣٤١.

فسكتوا، ثُمّ قال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيداللّه فقال له عثمان: ألا أراك هاهنا؟ ما كنت أرى أنّك تكون في جماعة قوم تسمع نداى آخر ثلاث مرات، ثم لا تجيئنى؟ أنْشُدُكَ اللّه يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول اللّه ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم! قال: فقال لك رسُول اللّه ﷺ أنّه ما من نبىّ إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنّة، وإنّ عثمان بن عفان هذا ـ يعنى نفسه ـ رفيقى في الجنّة؟ فقال طلحة: اللّهمّ نعم!)).[1]

عن عبيداللّه بن عدي بن الخيار: ((أنّ عثمان بن عفان قال له: يا ابن أخى، أدركت رسول اللّه ﷺ؟ فقال: لا. ولكن خلص إلىّ من علمه واليقين ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال: فتشهد، ثُمّ قال: أما بعد، فإن اللّه ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنت فيمن استجاب للّه ولرسوله، وآمن بما بعث به محمدٌ ﷺ ثُمّ هاجرت الهجرتين

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٢.

كما قلت، ونلت صهر رسول اللّه ﷺ وبايعت رسول اللّه ﷺ فواللّه ما عصيته، ولا غششتُهُ حَتّى تَوَفَّاهُ اللّهُ ﷻ.(١)

وقد رؤي ﷺ رافعًا يديه يدعو لعثمان رضي الله عنه يقول: ((اللّهمّ عثمان رضيت عنه فارض عنه)). وفي رواية يقول لعثمان رضي الله عنه: ((غفر اللّه لك ما قدّمت وما أخّرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة)).(٢)

وقد بعث رسول اللّه ﷺ إلى عثمان رضي الله عنه يستعينه في غزاة غزاها، فبعث إليه عثمان رضي الله عنه بعشرة آلاف دينار، فوضعها بين يديه، فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له: ((غفر اللّه لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها)).(٣)

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٨٨؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/٧٥.

(٢) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١٥؛ وانظر: رواية الترمذي، سننه، كتاب المناقب، في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٥/٦٢٦، ح برقم: ٣٧٠٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٣. (علمًا أنه لم يسم الغزوة ولعلها غير غزوة تبوك).

علاقته ﷺ بالنبي ﷺ.

عثمان ﷺ قد ربطته بالنبي ﷺ قرابة ومصاهرة ورحم، قبل مبعث النبي ﷺ وزادت بإسلامه في مكة ثم زواجه ﷺ من رقية وهجرته للمدينة مع رسول الله ﷺ ومجاورته له، ولمَّا تُوُفِّيَتْ رقية ﷺ زوّجهُ رسول اللَّه ﷺ بأختها أُمِّ كلثوم ﷺ فَتُوُفِّيَتْ في صحبته، وقال رسول اللَّه ﷺ: ((لو كان عندنا أُخرى لزوّجْنَاها عثمان)).[1]

وعنون ابن حبان ﷺ (ذكر رضا المصطفى ﷺ عن عثمان بن عفان ﷺ عند خروجه من الدنيا).[2]

وكان ﷺ يستخلف عثمان ﷺ أحيانًا على المدينة في غزواته ﷺ، منها في غزوته إلى ذات الرِّقَاعِ.[3]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٩.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر رضا المصطفى ﷺ عن عثمان بن عفان ﷺ عند خروجه من الدنيا، ج١٥/٣٥٠، ٣٥٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٥ ـ ٥٧.

واستخلفه رسول اللَّه ﷺ أيضًا على المدينة في غزوته إلى غطفان بذِي أَمَرٍّ بنجدٍ.(١)

كما كان مصدرًا للبذل والعطاء حين يرى حاجة رسول الله ﷺ لذلك، ويكون بين يدي رسول الله ﷺ كثيرًا في المدينة. ولعل لهذه العلاقة تفصيلاتها التى أشرنا إليها في سخاؤه، وفي صدقاته.

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول اللّه ﷺ اعتنق عثمان رضي الله عنه وقال: ((أنت وليّي في الدُّنْيَا ووليّي فِي الآخرة)).(٢)

كِتَابَتِهِ الْوَحْيَ.

كتابة الوحي للرسول ﷺ تعد مفخرة لأصحابها، وقد نص الرواة على أن عثمان رضي الله عنه كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ.(٣)

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٥ ـ ٥٧.

(٢) انظر: المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/٢٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٥؛ وانظر: عمر قحطان العزاوي، المرويات التاريخية والمآثر لكتاب الوحي في الكتب الستة، ص ٣٩.

فقد كتب التنزيل، كما كتب بعض رسائله ﷺ للقبائل، ومنها كتابه ﷺ لرجل من باهلة، وكتابته لقسمة خيبر.[١] وقد أحسن الأعظمي في حصر ما يزيد عن العشرة من المصادر التي ذكرت كتابته لرسول الله ﷺ.[٢]

وقد أكد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: ((بأنه ممن يكتب الوحي بين يدي رسول اللّه ﷺ بما ينزل به جبريل عليه)).[٣]

---

(١) أحمد عبدالرحمن عيسى، كُتاب الوحي، ص ٢٤٥.

(٢) مصطفى الأعظمي، كُتاب النبي ﷺ، ص ١٤٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٥/٧.

حياته ﷺ في مكة.

لعثمان ﷺ مكانته الخاصة بين قريش قبل الإسلام، فقد كان تاجرًا يتردد إلى الشام وغيرها من الأسواق، وقد امتدت هذه المكانة بعد إسلامه وهجرته، ولذلك بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش لمفاوضتهم أثناء غزوة الحديبية؛ لما له من الاحترام والمكانة.(١)

أثناء تجارة عثمان ﷺ في الجاهليّةِ كان يدفع ماله قراضًا ومضاربة، ويتعامل مع تجار قريش بأخلاق عالية، مما جعله مقبولاً لديهم وساهم ذلك في ثرائه.(٢)

عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه أن عثمان ﷺ دفع إليه مالاً مضاربةً على النّصْف.(٣)

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٧/٣ ـ ٦٠؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٧/٣ ـ ٦٠.

كان عثمان رضي الله عنه وفيًّا صادقًا مع من شاركه في مكة قبل هجرته من تجار قريش حتى وفاته رضي الله عنه.[١]

وعثمان رضي الله عنه محبوب لدى سائر قريش حتى قيل فيه: ((أحبك الرحمن حب قريش لعثمان إذا دعا بالميزان)).[٢]

وكان رضي الله عنه يترفع عمَّا يقع فيه الناس في الجاهلية، فقد قيل له: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها؟ فقال: إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئًا يذهب جملة ويعود جملة.[٣]

ولعل روايات هجرته رضي الله عنه إلى الحبشة مع زوجته رقية رضي الله عنها تبين شيئًا من حياته بمكة وعلاقاته مع أهلها. حيث كان لصيقًا ببيت النبوة، كأنه الإبن لخديجة رضي الله عنها.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٠٨/٥.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ٨٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤٧/٨.

إسلام عثمان ﷺ.

عنون ابن سعد ﷺ: (ذكرُ إسلام عثمان بن عفان ﷺ) وفيه: خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عبيداللَّه ﷺ على أثر الزُّبير بن العوّام ﷺ فدخلا على رسُول اللَّه ﷺ فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن وأنبأهُمَا بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من اللَّه. فآمنا وصدّقَا ... وقد شارك ﷺ في الدفاع عن رسول الله ﷺ في مكة في حين آذاه بعض قومه.(١)

يُعد إسلام عثمان ﷺ قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.(٢)

ولَمَّا أسلم عثمان بن عفان ﷺ أخذه عمُّهُ الحكم بن أبي العاص بن أُمَيّةَ فأوثقَهُ ربَاطًا وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدثٍ؟ واللَّه لا أحُلُّكَ أبدًا حتّى تدع ما أنت عليه

(١) علي سعد حجازي، عِبر الأشجان، من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ١٦.
(٢) الطبري، تاريخه، ج١٤٧/٥.

من هذا الدِّين. فقال عثمان ﷺ: واللَّه لا أدعه أبدًا ولا أفارقه. فلمّا رأى الحكم صلابتهُ في دينه تركه.[١]

روي عن عبدالرحمن بن عديس البلوي ﷺ، وكان ممن بايع تحت الشجرة، أنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عثمان، فقال: فدخلت على عثمان وهو محصور فقال: إني لرابع الإسلام.[٢]

وقيل أسلم عثمان ﷺ على يدي أبي بكر الصديق ﷺ.[٣] ولا يستبعد أن الذي دعا عثمان ﷺ إلى الإسلام هو الصديق ﷺ كعادته، حيث كان ﷺ يوجهه، ثم يأتي من يرغب في الدخول في الإسلام للقاء رسول الله ﷺ، مع

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٣ ـ ٥٤.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، إسلام عثمان بن عفان، ج١٤/٣١٤، ٣١٥، برقم: ١٨٤٤٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨١؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٧.

الترجيح أن عثمان ﷺ لم يكن قد صاهر رسول الله ﷺ عند دخوله في الإسلام، وإنما صاهره بعد ذلك.[١]

هجرته ﷺ إلى الحبشة.

كان عثمان ﷺ ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية. ومعه فيهما جميعًا امرأته رقية بنت رسول اللّه ﷺ.[٢] واحتبس على النّبيّ ﷺ خبرهم، فكان يخرج يتوكَّفُ عنهم الخبر، فجاءته امرأةٌ فأخبرته، فقال النّبيُّ ﷺ: ((إنّ عثمان لأَوّلُ من هاجر إلى اللّهِ بأهله بعد لوط)).[٣]

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: ((ما كان بين عثمان ورقيّة ولوط من مهاجر. يعني أنّهما أوّلُ من

---

(١) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص١٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج١٤٧/٥.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٠/٩، ٨١.

هاجر إلى الحبشة)).[١]

وفي الحبشة كانت لهما مكانة خاصة عند المهاجرين المصاحبين لهما في الحبشة، وعند النجاشي ملكها.[٢]

وحينما عادا من الحبشة إلى مكة كانت أم المؤمنين خديجة ﵂ قد توفيت، فحزنت عليها رقية ﵂ حزنًا عظيمًا.[٣]

هجرته ﵁ إلى المدينة.

هاجر عثمان ﵁ ورقية بنت رسول الله ﷺ إلى المدينة مبكرين.

عن محمد بن جعفر بن الزبير قالا: ((لَمَّا هاجر عثمان

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﵁، ج٩/٨١.

(٢) انظر: الهجرة إلى الحبشة. من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج ٢/٣١١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤؛ وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج٥/١١٨٢. (مرَّ الشاهد في موضوع آخر).

إلى المدينة نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت في بني النجار)).[١]

وقد آخى رسول اللَّه ﷺ بين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ﷺ. وآخى بين عثمان وأوس بن ثابت أبي شداد بن أوس ﷺ. ويقال أبي عبادة سعد بن عثمان الزُّرَقِيّ ﷺ.[٢]

وقد خط رسول الله ﷺ دار عثمان ﷺ المجاورة لحجرات النبي ﷺ، فكانت له خوخة تجاه باب النبي ﷺ فيدخل ﷺ بيت عثمان ﷺ منها.[٣] وبالتالي جاورا رسول الله ﷺ.

عن عبيداللَّه بن عبداللَّه بن عتبة قال: ((لَمَّا أقطع رسول اللَّه ﷺ الدُّور بالمدينة خطَّ لعثمان بن عفان داره اليوم. ويقال إنّ الْخَوْخَةَ التي في دار عثمان اليوم وِجَاه باب النّبِيّ الذي

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٥ ـ ٥٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦.

كان رسول اللّه ﷺ يخرج منه إذا دخل بيت عثمان)).[١]

وقد مرضت رقية ﷺ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل عثمان ﷺ بتمريض زوجته ابنة رسول اللّه بأمره ﷺ، وأقام بسبب ذلك في المدينة، وضرب له رسول اللّه ﷺ بسهمه من بدر وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها.[٢]

وقد توفيت رقية ﷺ بهذا المرض الذي مرضته فلما عاد رسول اللّه ﷺ إلى المدينة زار قبرها.[٣]

واستمر عثمان ﷺ مجاورًا لرسول اللّه ﷺ بعد زواجه من أُمّ كلثوم ﷺ.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦.

(٢) انظر: رواية البخاري عند ابن عمر ﷺ، في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢.

(٣) انظر ترجمة رقية بنت الرسول ﷺ، في الجزء الخامس من كتابي: (رسول اللّه وخاتم النبيين)، ص ١١٨٠؛
وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، ج٤/٢٠٣.

أخلاقه وتواضعه ﷺ.

كان كريم الأخلاق، ذا حياءٍ كثير، وكرم غزير، يُؤْثِرُ أهله وأقاربه في اللَّه؛ تأليفًا لقلوبهم من متاع الحياة الدُّنيا الفانى، لعلَّهُ يُرَغِّبُهُمْ في إيثار ما يبقى على ما يفنى، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج على رسول اللَّه ﷺ في الإيثار.(١)

عرف ﷺ بصمته وهدوئه، فقد روي أنّ عثمان ﷺ كان يَتَمَطَّرُ.(٢)

وعرف عنه ﷺ تواضعه وعدم اتخاذه للحرس أثناء خلافته. وكان ﷺ ينام في المسجد ويخالط الناس كواحد منهم، ويردف على الدابة.(٣)

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢٠٧/٧. (وتعنت كابر وعاند ولم يقتنع).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٥/٣ ـ ٥٧. و(يتمطر): ساكت طالب للخير (انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١٣٤/٢).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٥/٣ ـ ٥٧؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٣٤.

كان عثمان ﷺ يلي وضوء الليل بنفسه. فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك. فقال: لا. الليل لهم يستريحون فيه.(١)

عن عبدالرحمن بن عثمان القرشي ﷺ: ((أنّ رسول اللّه ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: يا بُنَيّةُ، أحسني إلى أبي عبداللّه ؛ فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقًا)).(٢)

حياؤه ﷺ.

عرف ﷺ بشدة حيائه، بل قيل إنه أصدق الأمة حياءً.(٣)

عن أنس بن مالك ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: ((أصدق أمتي حياءً عثمان)).(٤)

عن ابن أبي أوفى قال: استأذن أبو بكر ﷺ على النبي

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨١.

(٣) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص٤٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٠.

ﷺ وجارته تضرب بالدُّف، فدخل، ثُمّ استأذن عمر ﷺ ودخل، ثُمّ استأذن عثمان ﷺ فأمسكت. قال: فقال رسول اللّه ﷺ: ((إنّ عثمان رجلٌ حييٌّ)).[١]

وعن الحسن ﷺ وذكر عثمان ﷺ وشدّة حيائه قال: ((إنْ كان ليكون في البيت والباب عليه مغلقٌ فما يضع عنه الثّوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أنْ يقيم صلبه)).[٢]

وفي اليوم الذي بويع فيه ﷺ كان مستحيًا يجلس في آخر الناس في المسجد.[٣]

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨١/٩؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٢/٩؛ ورواه أحمد، في مسنده، ج٧٤/١.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧.

كرمه ﷺ وسخاؤه.[١]

كان عثمان ﷺ رجلاً تاجرًا في الجاهلية والإسلام. ولا شك أن هذا الثراء لعثمان ﷺ ساعده في جُوده وعطائه، فكان ﷺ سخيًا.

وقد شارك عثمان ﷺ بماله في حاجة الإسلام، ولبى نداء رسول الله ﷺ للنفقة في أكثر من موضع، فمن ذلك تجهيزه لجيش العُسرة المتوجه إلى تبوك، حيث جهز ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. وقال عنه رسول الله ﷺ: ((من جهز جيش العُسرة فله الجنة)). وقال عنه ﷺ: ((ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه)).[٢]

---

(١) انظر: عنوان "الكرم والجود والعطاء" عند مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٣٦.

(٢) انظر: رواية البخاري، ابن حجر، فتح الباري، ج١٤/١٢٥؛
وانظر: غزوة تبوك، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج٣/٨١٥. (وقد مرَّ موضوع الشاهد في رواية أخرى سابقة) والشهود مختلفين.

عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ: ((أنّه شهد ذلك حين أعطى عثمان بن عفان رسول اللّه ﷺ ما جهّز به جيش العُسرة، وجاء بسبع مئة أوقيّة ذهب)).(١)

وعن أنس قال ﷺ: ((جاء عثمان بن عفان بدنانير، فألقاها في حجر النبي ﷺ فجعل رسول اللّه ﷺ يُقَلِّبُهَا ويقول: ما على عثمان ما فعل بعد هذا اليوم)).(٢)

عن عبدالرحمن بن خباب ﷺ قال: ((شهدت النبي ﷺ وهو يحثُّ على جيش العُسرة فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول اللّه علي مئة بعير بأحْلاسِهَا وأقْتَابِهَا فِي سبيل اللّه، ثُمَّ حَضَّ على الجيش. فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مئتا بعير بأحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سبيل اللّه. ثُمَّ حَضَّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول اللّه

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٥.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٥؛ وانظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٢٥، ٦٢٦، ح رقم: ٣٧٠٠.

علي ثلاث مئة بعير بأحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سبيل اللَّه، فأنا رأيت رسول اللَّه ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه)).[1]

وفي رواية عن عبدالرحمن بن سمرة قال: ((جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار. في كُمِّهِ حين جهَّزَ جيش العُسرة فينثرها في حجره. قال عبدالرحمن: فرأيت النبي ﷺ يُقَلِّبُهَا في حجره ويقول: ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين)).[2]

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((كُنّا مع النبي ﷺ في غزاة، فأصاب الناس جهدٌ حتى رأيت الكآبة في وجوه المسلمين، والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول اللَّه ﷺ

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٥/٦٢٥، ٦٢٦، ح رقم: ٣٧٠٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٥/٦٢٦، ح رقم: ٣٧٠١.

قال: واللَّه لا تغيب الشمس حتى يأتيكم اللَّه برزق. فعلم عثمان أنّ اللَّه ورسوله سيصدقان، فاشترى عثمان أربع عشرة راحلةً بما عليها من الطَّعام، فوجّهَ إلى النبي منها بتسع، فلما رأى ذلك النبي ﷺ قال: ما هذا؟ قال: أهدى إليك عثمان، فعُرف الفرح في وجْهِ رسول اللَّه ﷺ والكَآبة في وُجُوهِ المنافقين، فرأيت رسول اللَّه ﷺ قد رفع يديه حتى رُئِيَ بياض إبطيه يدعو لعثمان دعاءً ما سمعته دعا لأحدٍ قبله ولا بعده: اللهم أعط عثمان اللهم افعل بعثمان)).[1]

وقد عنون ابن حبان في صحيحه (ذِكْرُ مغفرة اللّه ـ جل وعلا ـ لعثمان بن عفان بتسبيله رومة) روى فيه عن الأحنف بن قيس قال: ((قدمنا المدينة، فجاء عثمان رضي الله عنه فقيل: هذا عثمان وعليه ملية له صفراء قد قنع بها رأسه. قال: ها هنا علي؟ قالوا: نعم قال: ها هنا طلحة قالوا: نعم ... قال: فقال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٨٥.

أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع رومة غفر الله له، فابتعتها بكذا وكذا، ثم أتيته فقلت: قد ابتعتها، فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك، قال: فقالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال من جهز هؤلاء غفر الله له يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطامًا قالوا: اللهم نعم قال: اللهم اشهد ثلاثًا)).[1]

كان متسامحًا في بيعه وشرائه، روي أنّ عثمان ﷺ اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه فلقيهُ فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنّكَ غبنتني، فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم! قال: فَاخْتَرْ بين أرضك ومالك، ثُمّ قال: قال رسول اللّه ﷺ: ((أدخل اللّه الجنة رجلاً كان سهلاً مشترِيًا وبائعًا وقاضيًا

(١) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر مغفرة الله ــ جل وعلا ــ لعثمان بن عفان ﷺ بتسبيله رومة، ج١٥/٣٦٢.

ومُقتَضِيًّا)).[1] وروي أنّ طلحة ﷺ لقي عثمان ﷺ وهو خارِجٌ إلى المسجد، فقال له طلحة ﷺ: إنّ الخمسين ألفًا التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إنّا قد وهبناكها لمروءتك.

واستعمل ابن عامر وهو أمير لعثمان ﷺ على البصرة، وقطن بن عوف الهلالي على كرمان، فأقبل جيش من المسلمين ــ أربعة آلاف ــ وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطنٌ الفوت فقال: من جاز الوادي فله ألف درهم [يعني أربعة ملايين]، فحملوا أنفسهم على العوم، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطنٌ: أعطوه جائزته، حتى جازوا جميعًا وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فأبى ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب عثمان: أن احسبها له، فإنّه إنّما أعان المسلمين في سبيل اللّه، فمن ذلك اليوم سميت

(١) من حديث البخاري في صحيحه ((رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا قتضى))، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، ج٣/٩.

الجوائز لإجازة الوادي، فقال الكناني في ذلك:

فِدًى لِلأَكْرَمِينَ بَنِي هِـلالِ
عَلَى عِـلاتِهِمْ أهــلي ومــالي
هموا سَنُّوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدٍّ
فَعَـادَتْ سُـنّةً أُخْـرَى اللَّيَـالِي
رمَــاحُهُمُ تَزيدُ عَلَى ثَمَــان
وَعَشْرٍ قَبْلَ تركيب النصال[1]

قال ابن سعيد بن يربُوع بن عتكة المخزوميُّ: ((انطلقت وأنــا غــلامٌ في الظَّهـيرة ومعــي طـير أرسـله في المسـجد، والمسجد بيننا، فإذا شيخٌ جميلٌ حسن الوجه نائمٌ، تحت رأسه لبنةٌ أو بعض لبنةٍ، فقمت أنظر إليه أتعجّب من جماله، ففتح عينيه فقال: من أنت يا غلام؟ فأخبرته، فإذا غلام نائم قريبًا منه فدعاه فلم يجبه، فقال لي: ادعه! فدعوتُهُ فأمرهُ بشيء وقال لي: اقعد! فذهب الغلام فجاء

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٧.

بِحُلَّةٍ وجاء بألف درهم، ونزع ثوبي وألبسنى الحلة؟ وجعل الألف درهم فيها، فرجعت إلى أبي فأخبرته؟ فقال: يا بني من فعل هذا بك؟ فقلت: لا أدري إلا أنّه رجلٌ في المسجد نائمٌ لم أر قطُّ أحسن منه، قال: ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان)).[1]

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥.

ورعه وزهده ﷺ.

أسلم عثمان ﷺ مبكرًا، وتعلم من رسول الله ﷺ الورع وحُسن العبادة، والإحسان وحب الإيمان، روى عن ابن عمر ﷺ أنّهُ قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزمر: ٩] قال: هو عثمان بن عفان.(١)

وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[النحل]. قال: هو عثمان.(٢)

وقال حسان:

ضَحّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ
يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا(٣)

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٥/٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٠/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٥/٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٠/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢١٥/٧.

قالت امرأة عثمان ﷺ حين قتل عثمان ﷺ: ((لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة)).[١]

وكان يصلي وغلام خلفه كلما تعايا عليه فتح عليه.[٢]

روي ((أنّ رجلاً قال: قلت لأغلبنّ الليلة النفر على الحجر ـ يعني المقام ـ فلما قمت فإذا رجل يرجمني مقنّعًا قال فالتفتُّ فإذا بعثمان، فتأخّرت عنه فصلى فإذا هو يسجد بسجود القرآن، حتّى إذَا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثُمّ انطلق)).[٣]

وقد روي أنّه ﷺ صلّى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة.[٤]

وعن عطاء بن أبي رباح أن عثمان بن عفان ﷺ صلى

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥ ـ ٧٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥ ـ ٧٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥ ـ ٧٦.

بالناس ثم قام خلف المقام، فجمع كتاب الله في ركعة كانت وترة فسميت البُتَيْرَاء.[١]

وكان يبكي حين تلاوته للقرآن.[٢]

وروي أن عثمان ﷺ قال: ((لو أنّ قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربّنا، وإنّي لأكره أن يأتي عليَّ يومٌ لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه)).[٣]

قالت امرأة عثمان ﷺ يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يحيى الليل بالقرآن في ركعة. وقيل إنه ﷺ كان لا يوقظ أحدًا من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يقظان.[٤]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥ ـ ٧٦.

(٢) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص١٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥.

ويتأكد من ذلك أنه كان ﷺ من العباد وأهل الطاعة بالليل والنهار، كثير الصلاة والصيام والصدقة، واصلاً لرحمه وذوي قرابته.[1]

(١) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص٤٧.

علم عثمان ﷺ وفقهه.

تعلم عثمان ﷺ من رسول الله ﷺ، وكان ﷺ فقيهًا، وله اجتهاده في عدة أمور، وقد جمعت بعض الروايات عن فقه عثمان ﷺ في أبحاث ومؤلفات مستقلة.(١)

عرف عنه ﷺ علمه بالمواريث.(٢)

وكذلك أحكام النكاح وما يرتبط به.(٣)

---

(١) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، بحث ضمن أعمال سلسلة بحوث وندوات حول الصحابة والتابعين، ندوة علمية (عثمان بن عفان ﷺ صحبة صادقة وخلافة راشدة)، ط١ ـ الرباط: مركز عقبة بن نافع للدراسات والأبحاث، ١٤٣٤هـ، ج٢/٤٧٧؛
محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ.

(٢) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/ ٥٠٣، ٥٢٧؛ انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص٣٣ ـ ٤٨.

(٣) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/ ٤٩٤ ـ ٤٩٨؛
ومحمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص٣٥٣.

والأهلة ومايرتبط بها من ثبوت دخول الشهر وخروجه.[١]

وله فتاواه المتعددة في أحكام الحج، ومن ذلك التقييد في المواقيت، وتفضيله لبعض النسك، وحج المرأة المعتدة، وفدية من يصيد محرمًا، أو يصيد في الحرم.[٢]

وقد مرَّ ﷺ بقبر قد ارتفع يسيرًا فأمر بتسويته.[٣]

وله فتاواه ﷺ الخاصة بسجود التلاوة، فهو يرى السجود لمن قصد الاستماع.[٤]

كان يحرص على تسوية صفوف المصلين خلفه وهو

---

(١) انظر: د. عمر أنور الزبداني الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٤٩٤.

(٢) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٤٨١ ـ ٤٨٦؛
انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢١.

(٣) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٨٩.

(٤) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ١٩٩.

إمامهم، ويأمرهم بذلك؛ بل يوكل جماعة من الناس بتسوية الصفوف ثم يخبرونه باستقامتها.[١]

وله رأي في صلاة الجمعة فكان يقدمها، وربما صلاها قبل الزوال.[٢]

كما كان له رأي في ضَوَال الإبل بعدما كثرت حيث يرى جواز أخذها مع تعريفها، أو بيعها ووضع مالها في بيت المال فإن جاء صاحبها أعطي المال.[٣]

عمل على منع بعض أنواع اللهو من ذلك اللعب بالنرد وتطيير الحمام.[٤]

---

(١) محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٣٨.

(٢) انظر: انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٥١٤؛
ومحمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص٢٢٩.

(٣) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣١٢.

(٤) انظر: د. عمر أنور الزبداني الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٥١٨؛ انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

وكان يرى استتابة المرتد، فإن تاب قبلت توبته وحقن دمه.[١]

وله آراؤه المتعلقة بالجانب الفقهي للدولة وتنظيمها والنظر في أحوال الرعية.[٢]

(١) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص٤٩.

(٢) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٥١٨.

صدقات عثمان ﷺ وأوقافه.

كان عثمان ﷺ من أسرع الناس استجابة لدعوات النبي ﷺ للصحابة بالصدقة، التي كانت لها مناسبات متعددة، ولعل من أشهرها الحاجة للنفقة في غزوة تبوك وقد تقدم الحديث عن ذلك في موضوع "سخاؤه وكرمه" من هذا الكتاب.

أسهم ﷺ في توفير الماء للمسلمين في المدينة بشرائه بئر رومة، ـ كما مرَّ بنا ـ بناءً على طلب رسول الله ﷺ، حين قال: ((من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة))،[1] فلما بلغ عثمان ﷺ ذلك اشتراها وجعلها للمسلمين.[2]

وفي قصة شراء عثمان ﷺ تظهر حنكته التجارية، فقد كانت البئر ليهودي يبيع ماءها على الناس، فاشترى

---

(١) صححه الألباني في السلسلة، ج٢/٧٦٦؛ وانظر تخريجه عند: الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ج٥/٤٠١، (الحكمة في الدعوة إلى الله).

عثمان ﷺ نصفها من اليهودي باثني عشر ألفًا ثم قال لليهودي: اختر إما أن تأخذها يومًا وآخذها يومًا، وإما أن تنصب لك عليها دلوًا وأنصب عليها دلوًا، فاختار اليهودي يومًا يومًا، فكان الناس يستقون منها مجانًا يوم عثمان ﷺ لليومين. فقال اليهودي: أفسدت عليّ بئري فاشتر باقيها، فاشترى عثمان ﷺ باقيها بثمانية الآف.[١]

وقد أكد الرواة على تسبيل عثمان ﷺ لهذه البئر على المسلمين. ولعلها من أول الأوقاف للسُّقيا في تاريخ الإسلام.[٢] كما حبس عثمان ﷺ وأوقف دورًا على بنيه.[٣]

---

(١) انظر: البرهان فوري، كنز العمال، ج٦٣٤/١٦؛ محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣٤٧.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر تسبيل عثمان بن عفان رومة على المسلمين، ج٣٥٧/١٥، ٣٦١؛ وانظر: كتابي الأوقاف العامة وما في حكمها في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ص ٥٨.

(٣) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٢٩.

عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: كان لعثمان بن عفان ﷺ عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمس مئة ألف درهم وخمسون ومائة ألف دينار، فانتهبت، وذهبت، وترك ألف بعير بالربذة، وترك صدقات كان تصدق بها ببراديس[1] وخيبر ووادي القرى قيمة مئتي ألف دينار.[2]

كان عثمان ﷺ يدرك قيمة ما عمل من إحسان عبر حياته مع النبي ﷺ، وما كان يُذكِّر به إلا عند الحاجة، وخصوصًا حيت تحرك أهل الفتنة ضده، فعن أبي عبدالرحمن السُّلميِّ قال: ((لَّما حُصِرَ عثمان أشرف عليهم فوق داره ثُمَّ قال: أُذَكِّرُكُم باللَّه هل تعلمون أنَّ حِرَاء حين انتفض قال رسول اللَّه ﷺ: اثبت حِرَاء فليس عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهِيدٌ قالوا نعم. قال: أُذَكِّرُكُمْ باللَّه هل تعلمون أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال في جيش العُسرة: من ينفق

(١) (براديس): يظهر أنه اسم مكان ولم أقف عليه في المصادر التي بين يدي.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٨ ـ ٧٩.

نفقةً مُتَقَبَّلَةً والناس مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثُمَّ قال: أُذَكِّرُكُمْ باللَّه هل تعلمون أنَّ بئر رومة لم يكن يشرب منها أحدٌ إلا بثمن فابتعتُهَا فجعلتُهَا للغنيِ والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم وأشياء عدَّدها)).[1]

وما تزال أوقاف في المدينة قائمة منسوبة لعثمان ﷺ، منها مزرعة في شمالى المدينة قريبة من حى الأزهري شمال المدينة عرف بها جزء من الحى، مؤجرة لوزارة الزراعة، وقفت عليها بنفسي، وحكمت أبحاثًا مرتبطة بها.[2]

زيادته ﷺ في المسجد الحرام والنبوي.

كان لعثمان ﷺ دور في توسعة المسجد النبوي في حياة النبي ﷺ والزيادة فيه.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٢٥، ح رقم: ٣٦٩٩. (وقد مرَّ بنا الشاهد في موضع سابق).

(٢) انظر: كتابي: (الأوقاف العامة وما في حكمها في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين)، ص ٥٨؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٩.

عن الأحنف بن قيس قال: قدمنا المدينة فجاء عثمان ﷺ فقيل: هذا عثمان ﷺ وعليه ملية له صفراء قد قنع بها رأسه قال: ها هنا علي؟ قالوا: نعم قال: ها هنا طلحة؟ قالوا: نعم قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من ابتاع مربد بني فلان ببيت له في الجنة، فابتعته بعشرين ألفًا أو خمسة وعشرين ألفًا، فأتيت النبي ﷺ فقلت له: قد ابتعته فقال: اجعله في مسجدنا وأجره لك قال: فقالوا: اللهم نعم.(١)

عن أبي المليح، عن أبيه قال: ((قال النبي ﷺ لصاحب البُقعة التي زيدت في مسجد المدينة، وكان صاحبها من الأنصار، فقال النبي ﷺ: لك بها بيتٌ في الجنّة. فقال: لا. فجاء عثمان، فقال له: لك بها عشرة آلاف درهم، فاشتراها منه، ثُمّ جاء عثمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول

(١) انظر: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر مغفرة الله ـ جل وعلا ـ لعثمان بن عفان ﷺ بتسبيله رومة، ج١٥/٣٦٢.

اللَّـه، اشـتر مـني البُقعـة الـتي اشـتريتها مـن الأنصـاري، فاشتراها منه ببيت في الجنة. فقال عثمان: فإني اشتريتها بعشرة آلاف درهم، فوضع النبي ﷺ لبنةً، ثُمّ دعا أبا بكر فوضع لبنةً، ثُمّ دعا عمر فوضع لبنةً، ثُمّ جاء عثمان فوضع لبنةً، ثُمّ قال للناس: ضَعُوا. فوضعُوا)).[1]

وقـد قـام رضي الله عنه في خلافتـه باستشـارة النـاس في توسـعة المسجد النبوي، فشجعوه على ذلك سنة (٢٩هـ) وقيل سنة (٣٠هـ).[2] ولا يستبعد أن البداية كانت سنة ٢٩هـ وتمام

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٨٦/٩؛ وانظر: الترمذي، صحيحه، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٦٢٧/٥؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٨٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣٦/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥٤/٧؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٥٠٥/٢؛ وانظر: تفصيلات ذلك عند: صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ٦٤؛ وعبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج١٥٦/١؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة. ص ٨٤، الترمذي، سننه، ج٦٢٧/٥، ح رقم: ٣٧٠٣.

البناء سنة ٣٠هـ، وقد بنى أعمدته بالأجر فكانت ثابتة زمنًا طويلاً.(١)

وجعل ﷺ طوله مائة وستين ذراعًا وعرضه مائة وخمسين ذراعًا، وترك أبوابه ستة كما كانت على عهد عمر ﷺ، ولا شك أن هذا العمل الجليل زاد في استيعاب المسجد للمصلين.(٢) وما تزال إشارات على أعمدة المسجد النبوي، فيها ما يدل على حدود توسعة عثمان ﷺ قائمة حتى اليوم لمن يعرفها.

---

(١) من رواية أبي داود في سننه، باب في بناء المساجد، ص ٨٥، ح رقم: ٤٥٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٦؛ وانظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٥؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٨٢.

جهاده ﷺ مع النبي ﷺ.

كانت بدر أولى غزوات النبي ﷺ وأهمها، شارك فيها عدد محدود من الصحابة ﷺ، ونالوا بذلك أجرًا عظيمًا، وقال عنهم ﷺ: ((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم)).[1]

ويدرك المسلم أن تزكية رسول الله ﷺ لهؤلاء وبشارة من بُشِّرَ منهم بالجنة كان عن وحى يوحى، وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

ولَمَّا خرج رسول اللَّه ﷺ إلى بدر خَلَّفَ عثمان ﷺ على ابنته رقية ﷺ. آمرًا له برعايتها، وكانت مريضةً فماتت ﷺ يوم قدم زيد بن حارث للمدينة بشيرًا بما فتح اللَّه على رسولِ اللَّه ﷺ ببدر.[2] ـ كما مرَّ ذكره ـ.

وضرب رسول اللَّه ﷺ لعثمان ﷺ بسهمه وأجره في بدر

---

(١) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، ج١٠/٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٦/٣.

فكان كمن شهدها.[١]

وفي تفاصيل الروايات: عن ابن عمر ﷺ: ((أنّ ابنة رسول اللّهِ ﷺ اشتكت، فقال رسول اللّه ﷺ: أقم عليها فإنّهُ لا بدّ لها مني أو منك، وأنت أحقُّ. فخلفه رسول اللّه ﷺ عليها، فلما فتح الله عليه أرسل رسول اللّه ﷺ يبشره أنّ اللّه قد أتمّ عِدّتَهُمْ بِكَ)).[٢]

وعن عروة قال: ((عثمان بن عفان تَخَلَّفَ بالمدينة على امرأته بنت رسول اللّه ﷺ وكانت معَزّةً وَجِعةً، فضرب له رسول اللّه ﷺ بسهمه قال: وأجري يا رسول اللّه؟ قال: وأجرك)).[٣]

وشهد أحدًا، وَفَرّ يومئذٍ فيمن فرَّ، وقد نص الله على

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٦.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣، ٨٤.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣، ٨٤.

العفو عنهم ـ وقد مرَّ سابقًا ـ، وقال عثمان ﷺ معتذرًا عن يوم أحدٍ: ذنبٍ قد عفا اللَّه عنه. قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران].[1] كما شهد الخندق.

وفي الحديبية بايع عنه رسول اللَّه ﷺ يوْمئذٍ بإحدى يديه، فكانت يد رسول الله ﷺ خيرًا من يد عثمان ﷺ لنفسه. بعثه النبي ﷺ يوم الحديبية مندوبًا عنه لمفاوضة زعماء قريش، فاحتبس عثمان ﷺ وشاع الخبر أنه قد قُتل، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وبايعوا النبي فيما عرف ببيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣، ٨٤.

فقال ﷺ: ((إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله))، فضرب بإحدى يديه على الأخرى عن عثمان فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم عن أنفسهم.(١)

عن سلمة بن الأكوع: ((أنّ النبى ﷺ لمَّا بعث عثمان إلى أهل مكَّة فبايع أصحابه بيعة الرّضوان، بايع لعثمان بإحدى يديه على الأُخرى، فقال الناس: هنيئًا لأبى عبداللّه يطُوفُ بالبيت آمنًا، فقال النبىُّ ﷺ: لو مكث كذا وكذا ما طاف بالبيت حتى أطُوفَ)).(٢)

وشهد خيبر، وكتب قسمة غنائمها لرسول الله ﷺ.(٣) وكما شهد عُمْرَةَ الْقَضَاءِ. ومن المشهور أن عثمان ﷺ صحب رسول الله ﷺ في غزوة فتح مكة، وشفع لبعض

---

(١) انظر: رواية البخاري في حديثه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٤؛
انظر: غزوة الحديبية، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، ج٣/٦٩١.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣، ٨٤.

(٣) احمد عبدالرحمن عيسى، كُتاب الوحي، ص ٢٤٥.

أهلها، ومنهم عبدالله بن سعدبن أبي السرح، فأجاز ﷺ شفاعته، ثم أصبح ابن أبي السرح من أشهر قواد الفتوح في زمن عثمان رضي الله عنه.(١)

وقد شارك في غزوة حنين والطائف ودافع عن رسول الله ﷺ وقاتل بين يديه.(٢) وفي غزوة تبوك.(٣) لم يكتفِ عثمان بالمشاركة فيها، بل جهز جيشها جيش العسرة يومئِذٍ بثلاث مئة بعير بأَقْتَابِهَا وَأَحْلاسِهَا، وجاء يومئذٍ بألف دينار فصَبّهَا في حِجْرِ رسول اللّه ﷺ فقال: ما ضَرّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرّتين. وَحَجّ مع رسول اللّه ﷺ حَجّةَ الوداعِ، وَتُوُفِّيَ وهو عنه راضٍ.(٤)

---

(١) انظر: سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم على المرتد، ج١٠٦/٧؛ وانظر: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ص١٤٣، ١٤٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٩٠٢/٣.

(٣) انظر تفاصيل هذه الغزوات في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، القسم الثالث: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٥/٣ ـ ٥٧. (أشرنا إلى ذلك في سخائه من هذا الكتاب).

وكان ﷺ يشارك النبي ﷺ في استقبال الوفود، وكتابة عهودهم مع النبي ﷺ، كما حصل مع وفد نصارى نجران حيث شهد ﷺ على عهدهم مع النبي ﷺ.(١)

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ القاسم بن سلام، الأموال ص٢٤٥؛ علي حجازي، عبرة الأشجان من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ٤٤.

عثمان ﷺ ووفاة النبي ﷺ:

ورد عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: ((وددت لو أن عندي بعض أصحابي، قلنا: يا رسول الله ﷺ ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، فقلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: نعم. فجاء، فخلا به فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير)).[1]

وقد ورد عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يا عثمان إنه إن ولاك الله هذا الأمر يومًا فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قَمَصَك الله فلا تخلعه، يقول ذلك ثلاث مرات)).[2]

وكانت وفاة النبي ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة الموافق ٨ حزيران ٦٣٣م،

---

(١) رواه ابن ماجه، في المقدمة، ص ١١٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج٦٦/٣؛ وصححه الألباني؛ انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٧٦.

(٢) من رواية الترمذي في صحيحه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٦٢٨/٥، ح برقم: ٣٧٠٥.

وذلك في الضحى قبل منتصف النهار في فصل الصيف.[١]

كان الوضع في مسجد رسول الله ﷺ صعبًا، حيث كان الناس يتجمعون، ليسألوا عن صحته ﷺ ويطمئنوا عليه، ولشدة محبتهم له لا يكاد بعضهم يفارق مسجده، وكان عمر ﷺ غير مصدق بوفاة الرسول ﷺ، يتكلم ويزمجر ويتوعد.[٢] قائلاً: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله ﷻ المنافقين.

فخرج أبو بكر ﷺ من حجرة عائشة ﷺ إلى المسجد، فلما رآه الناس انصرفوا عن عمر ﷺ وتوجهوا إلى أبي بكر ﷺ ليسمعوا ما يقول، وكان عمر ﷺ ما يزال يتكلم في الناس ويصف ابن عباس ﷺ المشهد وهو شاهد عيان حاضر فيقول: ((إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبي عمر أن يجلس فأقبل الناس

(١) أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٤٢؛ وعبدالسلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٢٩.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج١٤٣/٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٦٥٥/٤.

إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]. قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها وقال سعيد بن المسيب: إن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي ﷺ قد مات)).[1] لقد كان فقه أبي بكر رضي الله عنه وحكمته واضحين، كان صاحب الموقف ورَجُله، أوعى الناس للقرآن وأكثرهم استحضارًا له، ولذلك فإن الكثيرين ما

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٣؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٧.

أن سمعوا الصديق رضي الله عنه يقرأ تلك الآية حتى أحسوا وكأنها نزلت الساعة، فخرج الناس من المسجد إلى طرقات المدينة يتلون الآية وكأنها أنزلت للتو.(١)

حزن عثمان رضي الله عنه كغيره من الصحابة رضي الله عنهم لموت رسول الله ﷺ.(٢)

كان عثمان رضي الله عنه حاضرًا في المسجد مذهولاً وقد أُخرس، وبدأ يذهب ويجيء ولا يتكلم.(٣)

---

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ص ٣٩١.

(٢) انظر: وفاة رسول الله ﷺ، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، ج٤/١٠٤٥.

(٣) انظر السهيلي، الروض الأنف، ج٤/٤٦٨.

علاقته ﷺ بآل البيت.

علاقة عثمان ﷺ بآل بيت النبى ﷺ علاقة قرابة من خلال جدته البيضاء بنت عبدالمطلب حيث أن ابنتها أروى بنت كريز بنت لعمة النبى ﷺ، هى أم لعثمان ﷺ، ولعل تلك العلاقة هى سبب زواجه من رقية ﷺ بنت النبى ﷺ وشرفه بذلك، وزواجه بعد ذلك من أم كلثوم ﷺ، وقد وضع ابن كثير ﷺ بابًا بعنوان: (باب تزويجه ﷺ) أورد فيه عن ابن عباس ﷺ، عن النبى ﷺ قال: ((إنّ اللّه ﷻ أوحى إلي أن أزوج كريمتي من عثمان)).(١)

وهذا الزواج كان بعد مبعث النبى ﷺ، حيث أنه لَمَّا ماتت أم كلثوم ﷺ بنت رسول اللّه ﷺ التى تحت عثمان قال ﷺ: ((زَوّجُوا عثمان، لو كانت عندي ثالثةٌ لزوّجْتُهُ، وما زَوّجْتُهُ إلا بوحيٍ من اللّه ﷻ)).(٢)

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣.

وعن أُمّ عيّاش ﷺ قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ((ما زَوّجْتُ عثمان أُمّ كلثوم إلا بوحيٍ من السماء)).[١]

ولدت رقيّة ﷺ لعثمان ﷺ غلامًا، فسمّاهُ رسول اللّه ﷺ عبدالله، وكنّى عثمان بأبي عبداللّه.[٢] وجده النبي ﷺ.

ولزواجه من بنات رسول الله ﷺ كان شديد الالتصاق ببيت النبوة، كثير الاحتكاك برسول الله ﷺ وبأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ في مكة قبل الهجرة.

وزَوَّجَهُ رسول الله ﷺ بعد رقية بأم كلثوم ﷺ فماتت عنده سنة (٨هـ)، فقال ﷺ: ((لو كان عندي ثالثة زوجتها عثمان)).[٣]

عنِ ابن عباسٍ ﷺ: ((أنّ أُمّ كلثوم جاءت إلى رسول اللَه

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٨٣.

(٣) انظر: ترجمة أم كلثوم ﷺ، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة)، ج٥/١١٨٣.

ﷺ فقالت: يا رسول اللّه، زوج فاطمة خيرٌ من زوجي. فأسكت رسول اللّه ﷺ ثُمّ قال: زوجك يحبه الله ورسوله، ويحبُّ اللّه ورسوله، وأزيدك لو قد دخلت الجنة فرأيت منزله، لم تري أحدًا من أصحابي يعلوه في منزله)).[1]

كان عثمان رضي الله عنه يهدي لرسول الله ﷺ فقد ورد خبص الخبيص فخلط بين العسل والنّقيّ، ثُمّ بعث به إلى رسول اللّه ﷺ إلى منزل أُمّ سلمة، فلم يصادفه، فلما جاء وضعوه بين يديه، فقال: ((من بعث هذا؟)). قالوا: عثمان: قالت: فرفع يديه إلى السماء فقال: ((اللهم إنّ عثمان يَتَرَضّاكَ فارض عنه)).[2]

روت عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخل علي رسول اللّه ﷺ فرأى لحمًا فقال: من بعث بهذا؟ قلت: عثمان. قالت: فرأيت

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٨٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٣.

رسول اللَّه ﷺ رافعًا يديه يدعو لعثمان)).[١]

وقد حزن آل البيت عمومًا على مقتل عثمان ﷺ، وقد شارك بعضهم في الدفاع عنه كما سيأتي ذكره في موضعه مفصلاً.[٢]

وقد تأكدت المحبة بين آل عثمان وآل علي ﷺ في حياتهما وبعد وفاتهما، وكانوا أصهارًا لبعض وأصحابًا لبعض.[٣]

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٥/٩.

(٢) انظر: المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٤٢/٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨٠/٣، ٨٢؛ علي حجازي، عبر الأشجان من سيرة عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٠٣.

(٣) انظر: علي حجازي، عبر الأشجان من سيرة عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٠٣.

علاقته ﷺ بالصحابة ﷺ.

كان أصحاب النبي ﷺ يحترمون عثمان ﷺ، ويكرهون مخالفته، فعبداللّه بن مسعود ﷺ دخل مسجد منًى فقال: ((كم صلّى أمير المؤمنين الظهر؟ قالوا: أربعًا، فصلّى ابن مسعود أربعًا فقالوا: ألم تحدثنا أنّ رسول اللّه ﷺ وأبا بكر وعمر صلّوا ركعتين؟ فقال: نعم! وأنا أحدثكموه الآن، ولكنى أكره الاختلاف)).[1]

وقد حكى الزُّهريُّ وغيره أن عثمان ﷺ إنما أتم خشيةً على الأعراب أن يعتقدوا أنّ فرض الصلاة ركعتان، وقيل بل قد تأهّل بمكَة.[2]

وقد دافع الصحابة ﷺ عن مواقف عثمان ﷺ أمام المشككين فيه، فقد سأل رجل ابن عمر ﷺ عن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢١٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٨.

عثمان ﷺ أشهد بدرًا؟ فقال: لا، فقال: أشهد بيعة الرضوان؟ فقال: لا. قال: كان فيمن تولى يوم التقى الجمعان؟ قال: نعم. قال الرجل: الله أكبر، ثم انصرف فقيل لابن عمر: ما صنعت، ينطلق هذا فيخبر الناس أنك تنقصت عثمان قال: ردوه عليَّ فلما جاء قال: تحفظ ما سألتني عنه فقال: سألتك عن عثمان أشهد بدرًا فقلت: لا. قال: فإن رسول الله ﷺ بعثه يوم بدر في حاجة له وضرب له بسهم، وقال: وسألتك أشهد بيعة الرضوان فقلت: لا. قال: إن رسول الله ﷺ بعثه في حاجة له ثم ضرب بيده ليده أيتهما خير يد رسول الله ﷺ أو يد عثمان، قال: وسألتك هل كان فيمن تولى يوم التقى الجمعان فقلت: نعم، قال: فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[آل عمران] اذهب فاجهد على جهدك.[1]

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر بيعة المصطفى ﷺ عثمان بن عفان ﷺ في بيعة الرضوان بضربه ﷺ=

كان موقف ابن عمر ﷺ واضحًا في الدفاع عن عثمان ﷺ وتبرئة ساحته أمام المشككين فيه، ونفع هذا الإيضاح، وكان بيانًا للأمة إلى يوم القيامة.

سمح عثمان ﷺ لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاءوا من البلاد، وكان عمر ﷺ يحجُرُ عليهم في ذلك، حتى ولا في الغزو، ويقول: إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها.[1]

ومما يدل على حسن علاقة عثمان ﷺ بالزبير بن العوام ﷺ ما رواه هشام بن عروة عن أبيه: أنّ عثمان ﷺ أوصى إلى الزبير. وقال الأصمعيُّ عن العلاء بن الفضل عن أبيه. قال: لمَّا قتل عثمان وجدوا في خزانته صندوقًا مقفلاً

=إحدى يديه على الأخرى عنه، ج١٥/٣٣٧، ٣٣٨؛
وانظر: النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١٠٤، ١٠٥. (وسيرد تفصيلات أكثر عند الحديث عن موقفهم من قتله واستشهاده ﷺ).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٩.

ففتحوه وبه ورقةٌ مكتوبٌ فيها: ((هذه وصيّةُ عثمان. بِسْمِ اللَّـهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، عثمان بن عفان يشهد أنْ لا إِلَـهَ إلا اللَّـهُ وَحْدَهُ لا شَـرِيكَ لَـهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنّ الجنة حقٌ، وأنّ النار حقٌ، وأنّ اللّه يبعث من في القبور، ليوم لا ريب فيه إنّ اللّه لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء اللّه تعالى)).[1]

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٤.

عمله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر ﷺ.

بعد مبايعة أبي بكر ﷺ بالخلافة كان من مستشاريه الملازمين له في المدينة، يساعده في اختيار ذوي الكفاءة من الولاة والعمال.[١]

وهو ممن أشار على أبي كر ﷺ ببعث العلاء بن الحضرمي على البحرين؛ لما له من خبرة فيها،[٢] كان له رأي في اختيار عمر ﷺ للخلافة من بعد أبي بكر ﷺ،[٣] وهو الذي كتب بأمر من أبي بكر ﷺ كتابًا في استخلاف عمر ﷺ.[٤] كان صاحب تجارة في زمن أبي بكر ﷺ، يجلب الطعام إلى المدينة، ويكثر من الصدقة،[٥] كما أنه كان أكثر الناس ملازمة للصديق

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٢٢/٤؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٩.

(٢) البرهان فوري، كنز العمال، ج٦٢٠/٥، ح رقم: ١٤٠٩٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧٩/٢.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٢٢/٤.

(٥) أحمد بن شعبان بن أحمد، عثمان بن عفان ﷺ، ص ٤٩.

ﷺ في مرضه الذي مات فيه.[١]

كما كان ضمن من دخل قبر الصديق ﷺ عند دفنه.[٢]

ويلخّص عثمان ﷺ ـ كما مرَّ ذكره ـ أدواره منذ زمن النبي ﷺ حتى آخر خلافة عثمان ﷺ كما في رواية البخاري عن عثمان ﷺ، قال: ((أما بعد فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين، كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلِفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟)).[٣]

وفي خلافة عمر ﷺ كان نعم المستشار والمعين على أموره المختلفة، فكان الناس إذا أرادوا من عمر ﷺ شيئًا

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٥٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/٤١٩.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٣.

رمـوه بعثمان بن عفان ﷺ، وكـان يسـمى الرديف. فكـان بمثابة الـوزير لعمـر ﷺ.[١] وكـان لعثمـان ﷺ رأي في اتخـاذ عمر ﷺ للديوان.[٢] وكذلك في إتخاذ التأريخ الهجري.[٣]

كما شارك ﷺ في الرأي قبيل فتح بيت المقدس والعهد مع أهلها، وكذلك في إشخاص عمرو بن العاص ﷺ إلى مصر.[٤]

كما أن له دورًا في تدبير حج أمهات المؤمنين زمن عمر بن الخطاب ﷺ؛ ولعل ذلك بأمر من عمر ﷺ.[٥]

وفي خلافة عمر ﷺ لم يكونوا يشكّون في أن الخلافة

---

(١) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٦٠، ٦١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٢٠٣/٥؛ الصلابي، مصدر سابق، ص ٦١؛ أحمد بن شعبان بن أحمد، عثمان بن عفان ﷺ، ص ٥٠.

(٣) صادق إبراهيم عرجون، عثمان بن عفان، ص ٦٠.

(٤) علي سعد حجازي، عبر الأشجان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص ٦٥؛ انظر: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ص١٣٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج١٣٤/٣.

من بعده لعثمان رضي الله عنه.[١]

وصحب عمر رضي الله عنه فأحسن صحبته، وتُوُفِّيَ وهو عنه راض. ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خَيْرَهُمْ.[٢]

عن حارثة بن مضرب قال: ((حججت في إمارة عمر رضي الله عنه فلم يكونوا يشكون في أن الخلافة من بعده لعثمان رضي الله عنه)).[٣]

---

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠١.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٨٨، ح برقم: ١٨٩٢٢.

الشورى وبيعة عثمان بن عفان ﷺ بالخلافة.

عنون بعض أصحاب الحديث لخلافة عثمان ﷺ كابن حبان وغيره، حيث وضع عنوانًا: (ذكر الخبر الدال على أن الخليفة بعد عمر بن الخطاب عثمان بن عفان ﷺ).[١]

وقد رويت بعض الإرهاصات عن خلافة عثمان ﷺ، فعن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إني أريت الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ وأما ما ذكر من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ)).[٢]

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الخبر الدال على أن الخليفة بعد عمر بن الخطاب عثمان بن عفان ﷺ، ج١٥/٣٤٣.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الخبر الدال على أن الخليفة بعد عمر بن الخطاب عثمان بن عفان ﷺ، ج١٥/٣٤٣.

عن المسور بن مخرمة قال: كان عمر بن الخطاب وهو صحيحٌ يُسأل أنْ يسْتَخْلِفَ فيأبى. فصعد يومًا المنبر فتكلم بكلماتٍ وقال: إنْ متُّ فأمركم إلى هؤلاء الستة، الذين فارقوا رسول اللّه ﷺ وهو عنهم راض: علي بن أبي طالب ونظيره الزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف ونظيره عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله ونظيره سعد بن مالك. ألا وإني أوصيكم بتقوى اللّه في الحكم والعدل في القسم.[1]

وقد بويع عثمان رضي الله عنه خليفة للمسلمين عند استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قصة الشورى المشهورة التي بوب لها البخاري في صحيحه[2] بعنوان: (باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان)[3] وفيه رواية طويلة عن عمرو بن ميمون، وهو

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧ ـ ٦٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٤.

(٣) في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٦.

شاهد عيان لما جرى بعد طعن عمر رضي الله عنه، حيث تيقن من حوله بدنو أجله...، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة... فلما فُرِغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيّ وَاللَّهُ عَلَيّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا:

نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.(١)

وبالتالي فإن ((أوّلُ من بايع لعثمان عبدالرحمن ثُمّ عليٌّ بن أبي طالب ﷺ)).(٢)

وفي رواية: ((أن عليًّا بايع عثمان أوّلَ الناس، ثُمّ تتابع الناس فبايعوا)).(٣)

وقد عنون ابن كثير ﷺ (خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وأورد باب: قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٤ ـ ٢٠٧.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٢ ـ ٦٤.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٢ ـ ٦٤.

عفان ﷺ).[١]

ويعبر ابن كثير ﷺ عن الحال بقوله: ((كان عمر ﷺ قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعليٌّ بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف ﷺ. وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين، وقال لا أتحمل أمرهم حيًّا وميتًا، وإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خير هؤلاء، كما جمعكم على خيركم بعد نبيّكُمْ ﷺ.

ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ لأنّه ابن عمه، خشي أن يراعى فيولَّى؛ لكونه ابن عمه، فلذلك تركه. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، بل جاء في رواية المدائنيّ عن شيوخه أنّه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٤.

استثناه من بينهم، وقال لست مدخله فيهم، وقال لأهل الشورى: يحضركم عبداللّه ـ يعني ابنه ـ وليس إليه من الأمر شيء ـ يعنى بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئًا ـ. وأوصى أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناسٌ حتى ينبرم الأمر. ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مستحثًا أبا طلحة الأنصاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحدًا، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه)).[1]

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحاب الشورى: تشاوروا في أمركم فإن كان اثنان واثنان فارجعوا في الشورى. وإن كان أربعةٌ واثنان فخذوا صنف الأكثر.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٥.

وإن اجتمع رأي ثلاثةٍ وثلاثةٍ فاتبعوا صنف عبدالرحمن بن عوفٍ واسمعوا وأطيعوا.

وحين طعن عمر ﷺ قال: ليصل لكم صهيبٌ ثلاثًا وتشاوروا في أمركم والأمر إلى هؤلاء الستة. فمن بعل أمركم فاضربوا عنقه. يعني من خالفكم.[١]

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي طلحة قبل أن يموت بساعةٍ فقال: يا أبا طلحة كن في خمسين من قومك من الآن مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فلا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم. اللهم أنت خليفتي عليهم)).[٢]

عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة قال: ((وافى أبو طلحة في أصحابه ساعة قبر عمر، فلزم أصحاب الشورى. فلما جعلوا أمرهم إلى عبدالرحمن بن عوف يختار لهم منهم

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٧ ـ ٦٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦١ ـ ٦٢.

لزم أبو طلحة باب عبدالرحمن بن عوف بأصحابه حتى بايع عثمان)).[١]

لَمَّا مات عمر رضي الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها عليٌّ وعثمان أيهما يصلي عليه، فقال لهما عبدالرحمن بن عوف: لستما من هذا في شيء، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلي بالناس. فتقدم صهيبٌ وصلَّى عليه، ونزل في قبره مع ابنه عبدالله أهل الشورى سوى طلحة رضي الله عنه فإنّه كان غائبًا، فلما فُرغ من شأن عمر رضي الله عنه جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة، ... وقام أبو طلحة يحجبهم.[٢]

... كانوا في بيت يتشاورون في أمرهم، فكثر القول، وعلت الأصوات وقال أبو طلحة: إني كنت أظن أن تدافعوها، ولم أكن أظن أن تنافسوها، ثم صار الأمر بعد

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٢/٣ ـ ٦٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٥/٧.

حضور طلحة إلى أنْ فَوّض ثلاثةٌ منهم، ما لهم في ذلك إلى ثلاثةٍ، ففوّض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبدالرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان ﷺ، فقال عبدالرحمن لعليّ وعثمان: أيكما يبرأُ من هذا الأمر فنفوّضَ الأمر إليه واللَّهُ عليه والإسلام ليُوَلِّيَنّ أفضل الرجلين الباقيين؟ فأسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبدالرحمن: إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أنْ أجتهد فَأُوَلِّيَ أولاكما بالحق.(١)

ويؤكد أكرم العُمري، توجه الرأي العام لعثمان ﷺ.(٢)

ويذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان، حتى أنّهُ قال لعلي: أرأيت إن لم أو لك بمن تشير به عليَّ؟ قال: بعثمان.(٣)

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤٥/٧ ـ ١٤٦.
(٢) أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٥٨.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧.

وقال لعثمان: أرأيت إنْ لم أولك بمن تشير به؟ قال: بعليّ بن أبي طالب... ثُمّ نهض عبدالرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما، ويجمع رأى المسلمين برأي رءوس الناس وأقيادهم جميعًا وأشتاتًا، مثنى وفرادى، ومجتمعين، سرًّا وجهرًا، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، والولدان في المكاتب، و من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة، في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان. ونقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب، وقد بايعا مع الناس حينها.

ويذكر أنه لما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء عبدالرحمن بن عوف إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة فقال: أنائمٌ يا مسور؟ واللّه لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث، اذهب فادع إليّ عليًّا وعثمان، قال المِسْوَرُ: فقلت: بأيّهمَا أبدأُ؟ فقال بأيهما شئت، قال فذهبت إلى عليٍّ فقلت: أجب خالي، فقال:

أمـرك أن تـدعو معـي أحـدًا؟ قلـت: نعـم! قـال: مـن؟ قلـت: عثمان بن عفان، قال: بأيِّنا بدأَ؟ قلت لم يأمرني بذلك، بل قـال أدعُ لـي أيِّهمـا شـئت أوّلاً، فجئـت إليـك، قـال: فخـرج معـي، فلمّـا مررنـا بـدار عثمـان بـن عفـان جلس علـيٌّ حتـى دخلت، فوجدته يوتر مع الفجر، فقال لي كما قال لي عليٌّ سواءً، ثُمّ خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائمٌ يُصَلِّي، فلمّا انصرف أقبل على عليّ وعثمان، فقال: إنما قـد سـألت النـاس عنكمـا فلـم أجـد أحـدًا يعـدل بكمـا أحـدًا، ثُـمّ أخـذ العهـد علـى كُـلّ منهمـا أيضًـا لـئن ولاه ليعدِلَنّ، ولـئن ولّـى عليـه ليسـمعنّ ولِيُطِيعَنّ، ثُمّ خرج بهما إلى المسـجد وقـد لـبس عبـدالرحمن العمامـة الـتي عممـه رسول اللّه ﷺ بها، وتقلّدَ سيفًا، وبعث إلى وجوه النـاس من المهـاجرين والأنصـار، ونـودي في النـاس عامـةً: الصـلاة جامعةٌ، فامتلأ المسجد حتى غصّ بالناس، وتراصّ النـاس وتراصُّوا حتى لم يبقَ لعثمان موضعٌ يجلس إلا في أُخريات النـاس، وكـان رجـلاً حييًّـا رضي الله عنه ثُمّ صـعد عبـدالرحمن بـن

عوف منبر رسول اللّه ﷺ، فوقف وقوفًا طويلاً، ودعا دعاءً طويلاً، لم يسمعه الناس ثُمّ تكلّم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرًا وجهرًا بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إمّا عليٌ وإمّا عثمان، فقم إليَّ يا عليُ، فقام إليه فوقف تحت المنبر، فأخذ عبدالرحمن بيده فقال: هل أنت مُبايعي على كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللّهمّ لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده وقال: قم إليَّ يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم! قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم اسمع واشهد، اللّهمّ اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان.

قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، قال: فقعد عبدالرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس

عثمان تحته على الدرجة الثانية، وجاء إليه الناس يبايعونه، وبايعه عليٌّ بن أبي طالب أولاً، ويقال آخرًا..[١]

ويعلق ابن كثير ﷺ بقوله: ((والمظنُونُ بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القُصّاصِ الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب)).[٢]

وروي أنّ عبدالله بن مسعود ﷺ سار من المدينة إلى الكوفة ثمانيًا حين استُخْلِفَ عثمان بن عفان ﷺ، فحمد اللَّهَ وأثنى عليه، ثُمّ قال: أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﷺ مات فلم نَرَ يومًا أكثر نشيجًا من يومئذٍ. وإنّا اجتمعنا أصحاب محمدٍ ﷺ فلم نألُ عن خيرها ذي فوق. فبايعنا أمير المؤمنين عثمان ﷺ فبايعوه.[٣]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٧/٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٧/٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٢/٣ ـ ٦٤.

وروي عن عبدالله بن مسعود ﷺ حين استخلف عثمان ﷺ ما ألونا عن أعلانا ذا فوق.(١)

وروي أنه قال: ((استخلفنا خير من بقي ولم نَأْلُ)).(٢)

واستقبل عثمان ﷺ بخلافته المُحَرَّمَ سنة أربع وعشرين، وقد دخل وقت العصر عند بيعة عثمان ﷺ وقد أذّنَ مُؤَذِّنُ صهيب، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة، فخرج فصلّى بهم العصر وزاد النّاس يعني في أُعْطِيّاتِهِمْ مئةً، ووفَّدَ أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك.(٣)

إن بيعة عثمان ﷺ لا تعني نقصًا أو قدحًا في علي ﷺ، فكلهم خيار أبرار مشهود لهم بالجنة والعمل الصالح، لكن نتيجة الترجيح كانت لواحد، وهذا أمر طبيعي، ولا

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٨٨، ح برقم: ١٨٩٢٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٢ ـ ٦٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٣.

قداسة لشخص بعينه، فكلهم من فضلاء الصحابة، ولعل فارق السن وكون عثمان ﷺ أسنّ من عليٍّ هو من أسباب تقديمه بالخلافة، ومن المعروف مبايعة علي لعثمان ﷺ في نفس اللحظة.[١] وكان علي ﷺ طيلة أيام عثمان مستشارًا ووزيرًا ومعينًا له في سائر أعماله ﷺ.[٢]

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، المبحث الثالث (علي ﷺ في عهد عثمان ﷺ)، ص ١٩٣.

خُطب عثمان رضي الله عنه.

وضع ابن كثير رحمه الله عنوانًا: (فصل في ذكر شيء من خطبه).[1]

وجميع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كانوا خطباء مسجد رسول الله ﷺ أثناء خلافتهم. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها، فلمّا ولي عمر رضي الله عنه نزل درجةً أخرى عن درجة أبي بكر رضي الله عنهما، فلمّا ولي عثمان رضي الله عنه قال إنّ هذا يطول، فصعد إلى الدّرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ، وزاد الأذان الأول يوم الجمعة، قبل الأذان الذي كان يُؤذّنُ به بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر.[2]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥؛ وانظر: الطبري، تاريخه، ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه، ج٥/١٤٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٨؛ انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ص ٢٩.

لم تُعرف عن عثمان ﷺ خطبٌ قبل بيعته بالخلافة، وبالتالي ربما شقت عليه الخطبة في بداية خلافته، فقد ورد أنّ عثمان ﷺ لمَّا بويع خرج إلى النّاس فخطبهُم، فحمد اللّه وأثنى عليه. ثُمّ قال: ((أيها الناس إنّ أول مركبٍ صعبٌ. وإنّ بعد اليوم أيّامًا. وإنْ أعش تأتكم الخطبة على وجهها. وما كنّا خطباء وَسَيُعَلِّمُنَا اللَّهُ)).(١)

ويعلق ابن كثير ﷺ على ذلك بقوله: ((وما يذكره بعض الناس من أنّ عثمان ﷺ لمَّا خطب أول خُطبةٍ أُرْتِجَ عليه، فلم يدر ما يقول، حتى قال: أيها الناس، إنّ أول مركب صعب، ... هو شيءٌ يذكرُهُ صاحب العقد وغيره، ممَّن يذكُرُ طرف الفوائد، ولكن لم أَرَ هذا بإسنادٍ تسكن النفس إليه واللّه أعلم)).(٢)

ومع هذا فموقف الخطبة في الخلافة موقف صعب

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٢/٣ ـ ٦٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٨/٧. (وهو يقصد صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه).

ومهيب، ولا غرابة في أن يُرتج على عثمان رضي الله عنه فيه، خصوصًا أنه على منبر رسول الله ﷺ ومن بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقد فُقِدَ عمر رضي الله عنه للتو، فلا شك أن للحزن تأثيره في هذا الموقف.

وهذا أمر طبيعي ـ في الغالب ـ لكل من يواجه الناس بخطبة أو حديث عام.

كما روي عن أول خطبة خطبها بالمسلمين أنه لَمَّا بايع أهل الشورى عثمان رضي الله عنه خرج وهو أشَدُّهُمْ كآبةً، فأتى منبر النبي ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قلعةٍ وفي بقيّةِ أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صُبِّحْتُمْ أو مُسِّيتُمْ، ألا وإنّ الدنيا طويت على الغرور، فلا تَغُرّنّكُمُ الحياة الدنيا ولا يَغُرّنّكُمْ بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثُمّ جِدُّوا ولا تَغْفُلُوا.

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومُتِّعُوا

بها طويلاً؟ ألم تَلْفِظْهُمْ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى اللَّهُ بها، واطلبوا الآخرة فإنّ الله قد ضرب لها مثلاً، بالذي هو خيرٌ فقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف]. قال: وأقبل الناس يبايعونه.[1]

وخطب عثمان ﷺ مرَّةً فقال: أما بعد، فإنِّي قد حُمِّلْتُ وقد قبلت، ألا وإنِّي مُتّبِعٌ ولستُ بمُبْتَدِع، ألا وإنّ لكم علىّ بعد كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ثلاثًا: اتِّبَاع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسَنَنْتُمْ، وَسَنَ سُنّةَ أهل الخير فيما لم تَسِنُّوا عن مَلإ، والكَفَ عنكم إلا فيما استوجَبْتُمْ ألا وإنّ الدنيا خضرةٌ قد شُهِّيَتْ إلى الناس، ومال إليها كثيرٌ منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها،

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٨.

فإنّها ليست بثقةٍ، واعلموا أنّها غير تاركةٍ إلا من تركها. إنّ اللّهَ ﷻ إنّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تَشْغَلَنّكُمْ عَن الباقية، فآثِرُوا ما يبقى على ما يفنى، فإنّ الدنيا مُنْقَطِعَةٌ، وإنّ المصير إلى الله، اتقوا اللّهَ ﷻ، فإنّ تقواهُ جُنّةٌ من بأسه، ووسيلةٌ عنده، واحذروا من اللّهِ الغير، والزموا جماعتكُمْ لا تصيروا أحزابًا، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران، من الآية: ١٠٣].(١)

وروي عن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه قال: سمعته يقول: ((ما رأيت أحدًا من أصحاب رسولِ اللّهِ ﷺ كان إذا حَدّثَ أتمّ حَدِيثًا ولا أحسن من عثمان بن عفان. إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث)).(٢)

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٤٢/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢١٦/٧.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥٥/٣ ـ ٥٧.

كما ورد أنّ عثمان ﷺ خطب، فحمد اللَّهَ وأثنى عليه، ثُمّ قال: أيها الناس! اتقوا اللَّهَ فإنّ تقوى اللَّهِ غُنْمٌ، وإنّ أكيس الناس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورًا لظلمة القبر، وليخش عبدٌ أنْ يحشره اللَّهُ أعمى، وقد كان بصيرًا، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم، والأصمُّ ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئًا، ومن كان اللَّهُ عليه فمن يرجو بعده؟

وقال مجاهد: خطب عثمان فقال: ابن آدم! اعلم أنّ ملك الموت الذي وُكِّلَ بك لم يزل يخلفك ويتخطَّى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنّهُ قد تخطَّى غيرك إليك، وقصدك، فخذ حذرك، واستعدّ له، ولا تغفل فإنّهُ لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم إنْ غفلت عن نفسك ولم تستعدّ لها لم يستعدّ لها غيرك، ولا بدّ من لقاء اللَّهِ، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام.[1]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٥ ـ ٢١٦.

عن موسى بن طلحة بن عبيدالله ﷺ قال: ((رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران فيجلس على المنبر، فيؤذن المُؤَذِّنُ، وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن قدّامِهِمْ وعن مرضاهم. ثُمّ إذا سكت المُؤَذِّنُ قام يتوكّأُ على عصًا عقفاء فيخطب وهي في يده. ثُمّ يجلس جلسة فيبتدئ كلام الناس فيسائلهم كمسألته الأولى. ثُمّ يقوم فيخطب. ثم ينزل ويقيم المُؤَذِّنُ)).[1]

وروي كذلك في رواية أخرى أن عثمان بن عفان ﷺ وهو على المنبر والمُؤَذِّنُ يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم، وأسفارهم.[2]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٥٥ ـ ٥٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٦.

أوّليَّات عثمان ﷺ.[١]

لعل من أَوَّل ما نظر فيه عثمان ﷺ حال عبيدالله بن عمر وقتله الهرمزان، حيث رؤي مع الهرمزان خنجر أبي لؤلؤة قاتل عمر ﷺ، فقتل عبيدالله الهرمزان، فأمر عمر ﷺ بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده، وروي إن عثمان ﷺ سلمه لابن الهرمزان ليقتص منه، فأخذ الناس يشفعون فيه، فتأكد أنهم لا يستطيعون منعه، وأن من حقه القصاص فعفا عنه.[٢]

وفي روايات أخرى لَمَّا ولى عثمان ﷺ وجلس للناس كان أَوّلَ ما تُحُوكِمَ إليه في شأن عبيدالله، فقال عليٌّ ﷺ: ما من العدل تركه، وأمر بقتله، وقال بعض المهاجرين: أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم؟ فقال عمرو بن العاص ﷺ: يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك، قضيّةٌ لم تكن في

---

(١) انظر: مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٨٢، (سجل أوليات ذي النورين).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤.

أيامك فدعها عنك، فَوَدَى عثمان ﷺ أولئك القتلى من ماله، لأنّ أمرهم إليه، إذْ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلّى سبيل عبيدالله. قالوا: فكان زياد بن لبيد البياضيُّ إذا رأى عبيدالله بن عمر يقول:

أَلا يَا عُبَيْدَاللَّهِ مَالَكَ مَهْرَبٌ
وَلا مَلْجَأٌ مِن ابْنِ أَرْوَى وَلا خَفَرْ
أَصَبْتَ دَمًا وَاللَّهِ فِي غَيْرِ حِلِّهِ
حَرَامًا وَقَتْلُ الْهُرْمُزَان لَهُ خَطَرْ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ قَالَ قَائِلٌ
أَتَتّهِمُونَ الْهُرْمُزَانَ عَلَى عُمَرَ
فَقَالَ سَفِيهٌ وَالْحَوَادِثُ جَمّةٌ
نَعَمْ أَتّهِمْهُ قَدْ أَشَارَ وَقَدْ أَمَرَ
وَكَانَ سِلاحُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ
يُقَلِّبُهَا وَالأَمْرُ بِالأَمْرِ يُعْتَبَرْ

قال: فشكا عبيداللَّه بن عمر زيادًا إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زيادٌ يقول في عثمان:

أَبَا عَمْرٍو عُبَيْدُاللَّهِ رَهْنٌ
فَلا تَشْكُكْ بِقَتْلِ الْهُرْمُزَانِ
فَإِنَّكَ إِنْ غَفَرْتَ الْجُرْمَ عَنْهُ
وَأَسْبَابُ الْخُطَا فَرَسَا رِهَانِ
أَتَعْفُو إِذْ عَفَوْتَ بِغَيْرِ حَقّ
فَمَا لَكَ بِالَّذِي يُخْلَى يَدَانِ

قال فنهاه عثمان ﷺ عن ذلك وَزَبَرَهُ، فسكت زياد بن لبيد عمّا يقول.

كما أن من أوائل عثمان ﷺ أن كتب إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثُّهم على طاعة اللَّه وطاعة رسوله، ويحرِّضهم على الاتِّباع وتركِ الابْتِدَاعِ.

ومن أوائل أعماله ﷺ عزله المغيرة بن شعبة ﷺ عن الكوفة، حيث ولَّى عليها سعد بن أبي وقاص ﷺ فكان أَوّلَ عامل ولاه، لأنّ عمر ﷺ قال: فإنْ أصابت الإمرة سعدًا فذاك، وإلا فَلْيَسْتَعِنْ به أيُّكم وَلِيَ، فإنِّي لم أعزله عن عجز ولا خيانةٍ. فاستعمل سعدًا عليها سنةً وبعض أُخْرَى.(١)

وكان من أوّليَّات عثمان ﷺ تنفيذ وصايا عمر ﷺ، وكان عمر ﷺ أوصى أنْ تُقَرّ عماله سنةً ففعل ذلك.(٢)

عثمان ﷺ أوّل من زاد الأذان الأوّل يوم الجمعة، قبل الأَذَان الذي كان يُؤَذّنُ به بين يدي رسول اللّه ﷺ إذَا جلس على المنبر.(٣)

واتّخَذَ سماطًا في المسجد للمُتَعَبّدِينَ، وَالْمُعْتَكِفِينَ،

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٥٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٨. (وقد مرَّ ذكره).

وأبناء السبيل، والفقراء، والمساكين، ﷺ.[١]

وبالتالى فهو ﷺ أول من وضع إفطار الصائمين وإطعام المحتاجين في المساجد.

وعثمان ﷺ أوّل من أحاط المسجد الحرام بجدار في أيامه، حيث لم يكن له حائط قبل ذلك.[٢]

ويعتبر عثمان ﷺ أول من أقام الشرطة من الخلفاء.[٣]

وهو أوّل من مدّ الفتوح الإسلامية عبر البحر، حيث أعد أسطولاً إسلاميًا ضخمًا،[٤] قام بعدة فتوح منها فتح قبرص

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٥؛ انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/ ٥٠٩؛ علي سعد حجازي، عبر الأشجان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ١١٢.

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، ج٢/١٥٩؛ علي سعد حجازي، عبرة الأشجان من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ٨١.

(٣) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٤٨١ ـ ٤٨٦.

(٤) انظر: السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الجزء الأول وفيه=

سنة ٢٧هـ.[١]

كما حرص ﷺ على إثبات قوة المسلمين، رغم وفاة خليفتهم، وكتب عثمان لأمرائه أنْ يُمِدّوا أهل الشام على حرب أهل الرُّوم، بعد أن بعث أهل الشام إلى عثمان ﷺ يستمدُّونه، فكتب إلى الوليد بن عقبة:

((أنْ إذَا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أمينًا كريمًا شجاعًا في ثمانية آلافٍ أو تسعة آلافٍ أو عشرة آلافٍ إلى إخوانكم بالشّام. فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيبًا حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحَثّهُمْ على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام، وأمّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلافٍ

=تفاصيل متعددة؛ وعبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٥٢. (وستأتي تفصيلات فتوحه البحرية لاحقًا بإذن الله).

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧، ١٥٩.

فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهريُّ، فلمّا اجتمع الجيشان شَنُّوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئًا كثيرًا وفتحوا حصونًا كثيرةً ولله الحمد)).[١]

كما بعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلم فقاتلوا ثمانين ألفًا من الروم والترك.[٢]

جمعه ﷺ الناس على مصحف واحد.

لعل من أهم الأعمال وأرجاها لعثمان ﷺ جَمعُهُ الناس على مصحف واحد، سنة (٢٤هـ).[٣]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٥٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٤٦.

(٣) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٨٣؛ محمد بن عبدالرحمن الشايع، البيان في علوم القرآن، ص ١٧٢؛ وانظر: الطبري، تاريخة، ص ٤٦.

في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه يوضح صورة ذلك بالتفصيل، فقد روى ((أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن

يُحرق...)).[١]

من الواضح أن النسخ كان بشورى من الصحابة وبدقة متناهية، واعتُمد فيها على المصحف الأصلي، الذي جُمِع في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[٢]

وقام عثمان رضي الله عنه بإرسال نسخ إلى الأمصار الإسلامية وأمر بتوحيد مصاحف الناس ومراجعتها عليها. وعُد كل نسخة في مصر من الأمصار أصلاً للمراجعة والتطبيق. وهذه الأصول كما هو معروف رويت عن شيوخ القراء من الصحابة، وخبراء لغة قريش ومن تابع نزول القرآن وترتيبه

(١) البخاري، صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦/٩٩؛ انظر: محمد بن عبدالرحمن الشايع، البيان في علوم القرآن، ص ١٧٤.

(٢) انظر: رواية البخاري السابقة؛ وانظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٧٨؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١؛ وانظر: كتابي: (أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ ثاني اثنين)، ص ٢٦٢؛ محمد بن عبدالرحمن الشايع، البيان في علوم القرآن، ص ١٧١ ـ ١٧٣؛ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٧٧.

وحفظه على رسول الله ﷺ، متصلة السند إلى رسول الله ﷺ عن جبريل عن الرب تبارك وتعالى.

((... وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملى عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبدالله بن الزبير الأسدي وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفًا وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا. ويقال لهذه المصاحف الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه.

ولما نسخ عثمان رضي الله عنه المصاحف دخل عليه أبو هريرة رضي الله عنه فقال: أصبت ووفقت، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أشد أمتي حبًا لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق)). فقلت: أي

ورق؟ حتى رأيت المصاحف، قال: فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبى هريرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا ﷺ. ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف)).[١]

وما تزال بعض هذه النسخ محفوظة إلى اليوم، منها نسخة في طاشكند في أوزبكستان، وقف عليها زميلنا أ. د. صالح بن حسين العايد وزملاء آخرون معه.

ونسخة في اليمن شاهدتها بنفسي في جامع صنعاء سنة ١٣٩٧هـ، ونسخة في إسطنبول في متحف توب قابي، ووقفت عليها سنة ١٤٠٧هـ.[٢]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٧؛ محمد بن عبدالرحمن الشايع، البيان في علوم القرآن، ص١٧٢؛ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٨٦.

(٢) انظر المبحث الذي كتبه: صبحي الصالح، في: مباحث في علوم القرآن، موضوع: (أين أصبحت المصاحف العثمانية الآن؟)، ص ٨٧؛ ومحمد بن عبدالرحمن الشايع، البيان في علوم القرآن، ص ١٨٢.

وهناك أخبار عن نسخة أخرى كانت في جامع عمرو بن العاص بالقاهرة.

ولعل بقاء هذه النسخ الأصلية إلى الآن مما يؤيد مصداقية روايات المسلمين حول إرسال النسخ إلى الأمصار زمن عثمان بن عفان ﷺ.

وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته.

وروي أن عليًّا ﷺ حين حرق عثمان ﷺ المصاحف قال: ((لو لم يصنعه هو لصنعته)).[1]

وقَالَ: ((أيها الناس! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل)).[2]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٨.

وقد روي عن ابن مسعود ﷺ أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فَحُرِّقَ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت ﷺ الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يَغُلُّوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران، من الآية: ١٦١]. فكتب إليه عثمان ﷺ يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة، وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين.(١)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١٨.

سياسة عثمان رضي الله عنه المالية.

زاد دخل الدولة في خلافة عثمان رضي الله عنه، وخصوصًا من الجزية والخراج بعد توسع الفتوح في مناطق جديدة في خلافته رضي الله عنه.[١]

وقد سار رضي الله عنه على سياسة مالية شبيهة بسياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العطاء والخراج والدواوين المختلفة وتنظيمها، وإعطاء الحقوق لأهلها وحفظ المال العام.[٢]

كما زاد الناس مائة مائةً في عطاء كل واحدٍ من جند المسلمين زاده على ما فرض له عمر رضي الله عنه مائة درهم من بيت المال. وكان عمر رضي الله عنه قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلةٍ من رمضان درهمًا من بيت المال يفطر عليه، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين.[٣] فلما ولي عثمان رضي الله عنه أقر ذلك وزاده.[٤]

---

(١) أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٤.

(٢) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٢٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٨.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٣؛ انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء=

كما أن من الأوليات أنه ﷺ أول من وضع أرزاق المؤذنين من بيت المال.(١) ولا شك أن هذا يحتاج لمصروفات جديدة. وقد استمر ﷺ على ما وضعه عمر ﷺ من فرض العطاء لكل مولود من يوم ولادته.(٢)

وكان ﷺ يعطي عطاءً عامًا في المناسبات، مثل شهر رمضان المبارك وغيره.(٣)

وروي عن الحسن ﷺ يقول: ((أدركت عثمان على ما نقموا عليه، ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيْرًا، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرةً، ثُمّ يقال لهم: اغدوا على

=الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٥٠٩؛ علي سعد حجازي، عبر الأشجان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ١١٢.

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، بأخبار دار المصطفى، ج٢/٥٣٠.

(٢) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٧٢.

(٣) انظر: محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٢٩.

أرزاقكم فيأخذونها وافرةً، ثُمّ يقال لهم اغدوا على السمن والعسل، الأعطيات جاريةٌ، والأرزاق دارةٌ، أوالعدوُّ متّقًى، وذات البين حسنٌ، والخير كثيرٌ، وما من مؤمن يخاف مؤمنًا، ومن لقيه فهو أخوه، قد كان من أُلفتُهُ ونصيحتُهُ ومودّتُهُ قد عهد إليهم أنّها ستكون أكثره، فإذا كانت فاصْبِرُوا. قال الحسن: فلو أنّهُم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير)).[1]

وقال محمد بن سعد: ((عن محمد بن هلال عن جدّته ـ وكانت تدخل على عثمان وهو محصورٌ ـ فولدت هلالاً، ففقدها يومًا فقيل له: إنّها قد ولدت هذه الليلة غلامًا، قالت: فأرسل إلي بخمسين درهمًا وشقيقةً سُنْبُلانِيّةً، وقال: هذا عطاء ابنك وكسوته، فإذا مرّت به سنة رفعناه إلى مائة)).[2]

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٤؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢١٤.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٤.

وقال عثمان ﷺ: ((أيها الناس إنّ أبا بكر وعمر كانا يتأوّلان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوي أرحامهما وإني تأوّلت فيه صلة رحمي)).[1]

ولا شك أنه يقصد بذلك ماله الخاص، وليس المال العام؛ لأن عثمان ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ ما كانوا يجهلون أحكام المال العام وحرمة تخصيصه لأناس دون آخرين.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٢/٣ ـ ٦٤.

إدارة الدولة وبلدانها في عصر عثمان رضي الله عنه.

حينما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة في آخر ذي الحجة سنة (٢٣هـ) كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها وانتصارها وامتدادها وتنظيمها وإدارتها، فاستمرت على ذلك، وعمل عثمان رضي الله عنه على استمرار الجهاد والفتوح في أيامه،[١] حيث واصل فتوح شمال إفريقيا وأعاد فتح الإسكندرية. كما فتح بلاد النوبة وأرمينية.[٢]

كما خاض معركة ذات الصواري،[٣] وهي من أشهر المعارك البحرية في التاريخ، فرض المسلمون بعدها سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط.

كما أتم في أيامه فتح أذربيجان وأرمينية والديلم، حتى

---

(١) انظر تفصيلات ذلك عند: عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٤٨؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٩٣ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص ٢٩٩؛ عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٤٨.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦١.

وصل إلى بحر قزوين.[١] وامتدت الفتوحات إلى كابُل وما جاورها. وفي أيامه تم التخلص نهائيًّا من مملكة الفرس بقتل آخر ملوكها يزدجرد.[٢]

وقد امتد الإسلام في زمانه في سائر المناطق المفتوحة، وحاول المسلمون الامتداد إلى إيطاليا والأندلس من خلال البحر الأبيض المتوسط بواسطة الأساطيل البحرية.[٣] كما هدد القسطنطينية وممراتها المائية.

ولا شك أن ذلك تطلب ترتيبات إدارية قوية ودقيقة ساهمت في التنظيم وتحديد المسؤليات والتمويل، ونشر العدل والاستقرار واستمر في ترتيب ولاياتها وقضاتها وعمالها على ما كانت عليه زمن عمر ﷺ، وزادت تلك

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨، ١٦٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥٨ (ستأتي تفصيلات أكثر عند الحديث عن الفتوح في خلافة عثمان ﷺ).

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٣، بعنوان (ذكر غزو الأندلس).

الولايات بمناطق فتحت في زمنه ﷺ، وتعد أشهر الولايات في زمنه ﷺ.[١]

مكة المكرمة.

توفي عمر بن الخطاب ﷺ ووالیه على مكة [خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي].[٢] وقد أبقاه عثمان ﷺ فترة من الوقت يصعب تحديدها ثم قام بعزله،[٣] ولم ترد أخبار عن سبب ذلك، إضافة إلى صعوبة تحديد أهم

---

(١) معظم ما ورد هنا هو من كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، الفصل الخاص بالولاية على البلدان في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٢٣.

(٢) قتل أبوه مع قريش يوم بدر، وأسلم هو يوم الفتح وأقام بمكة. تولى لعمر ﷺ ثم لعثمان ﷺ على مكة، وعاش إلى زمن معاوية ﷺ ويزيد وتولى لهما على مكة (البلاذري، أنساب الأشراف، ق ٤، ج١/٣٥٤؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ص ١٥١؛ ابن حجر، الإصابة ج١/٤٠٨).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٣، ١٧٨؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/١٥١؛
ابن حجر، الإصابة، ج١/٤٠٨.

أعماله، وقد قام عثمان ﷺ بعد عزله بتولية [علي بن ربيعة بن عبدالعزى].[١]

ثم قام عثمان ﷺ بعد ذلك بتولية مجموعة من الأمراء على مكة، يصعب تحديد فترات ولاياتهم؛ ومنهم [عبدالله بن عمرو بن الحضرمي][٢] الذي كان أحد عمال عثمان على مكة. كما أن النصوص تثبت أن عثمان ﷺ قد أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة مرة أخرى، ولعل إعادته كانت في الشهور الأخيرة، التي وقع فيها حصار عثمان ﷺ،[٣] ومن المؤكد أن عثمان ﷺ عزل خالد بن العاص ـ كما أشرنا ـ في بداية خلافته، وكان قد ولاه

---

(١) من بني عبد شمس ولد لأبوين مسلمين على عهد النبي ﷺ ولم تعرف له صحبة، شهد الجمل مع جيش عائشة وبها قتل (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/٣٩٣؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٨١).

(٢) حليف بني أمية وهو ابن أخ العلاء بن الحضرمي، ولد على عهد النبي ﷺ، وله رواية عن عمر (ابن عبدالبر، الاستيعاب حاشية على الإصابة، ج٢/٣٥٠؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/٣٢٥؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٥١).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٠.

عمر بن الخطاب ﷺ. ووردت أسماء العديد من ولاة عثمان ﷺ بعد عزله. وتؤكد بعض المصادر أن عثمان ﷺ توفي وخالد بن العاص على مكة، فقام علي ﷺ بعزله وتولية غيره،[١] وهذه الرواية على ما يبدو أثبت من الروايات التي تذكر أن عبدالله بن الحضرمي هو الوالي على مكة حين قتل عثمان ﷺ.[٢]

وتعد الروايات عن مكة في عهد عثمان ﷺ قليلة جدًا، سوى ما ذكر من أمر توسعة المسجد الحرام في عهده، وذلك في السنة السادسة والعشرين من الهجرة.[٣] وقد أمر عثمان ﷺ بهدم بعض الدور القريبة من المسجد وتوسعته منها، فرفض بعض أهلها ذلك، ورفضوا تسلُّم أثمان منازلهم، مما أغضب عثمان ﷺ، حتى قال: إنما جرأكم

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٨؛
الفاسي، العقد الثمين، ج٤/٢٦٨.

(٢) ومن هذه الروايات ما ذكره الطبري في تاريخه، ج٥/١٦٥؛ ابن الأثير الكامل، ج٣/٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢٧.

(٣) بن الأثير، الكامل، ج٣/٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥١.

عليّ حلمي عنكم، فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد، فاحتذيت على مثاله فصيحتم بي، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كُلمٍّ فيهم فأطلقهم.(١)

وقد تميزت مكة في عهد عثمان ﷺ بالهدوء المستمر، رغم ما ذكر في بعض الأمصار من فتنة في أواخر عهد عثمان ﷺ، ويعلل الأستاذ أحمد السباعي ﷺ هذا الهدوء بقوله: ((وأحسب أن من أهم أسباب الهدوء في مكة أن عمال عثمان عليها كانوا لا يملكون اضطهادهم، بقدر ما يملك غيرهم من الأمصار؛ لاتصال العائلات الكبيرة فيها بأقربائهم من كبار المهاجرين بالمدينة، وسهولة نقل الأخبار والشكاوى بين المدينتين كلما دعت الحاجة إلى نقلها من طريق المترددين من الأقارب)).(٢)

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢/١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٧.

(٢) أحمد السباعي، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة الرابعة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج١/٧٠.

وهذا الكلام من وجهة نظري فيه اتهام شديد لولاة عثمان رضي الله عنه، وكأنهم يترصدون الناس ليضطهدوهم، مع أن تقواهم وتورعهم هو الذي كان يمنعهم من ظلم الناس أو اضطهادهم، وليس قرب المكان أو بعده، كما أن في هذا الكلام اتهامًا لبقية ولاة عثمان رضي الله عنه على الأمصار الأخرى بصفة إجمالية غير دقيقة.

ومن المعروف في عصر عثمان رضي الله عنه وغيره أن بعد المكان لم يمنع أحدًا من الوصول إلى الخليفة وتقديم الشكوى ضد الولاة أو غيرهم، فضلاً عن أن مكة تحتل مكانة خاصة لوقوع موسم الحج فيها كل عام، وبالتالي فإن الخليفة في الغالب مقيم فيها أيام الحج، ويتولى شؤونها ويقود الحجيج، وفي حال غيابه عن شهود الحج يبعث من يقوم مقامه في الناس، أو يعين أمير مكة أميرًا على الحج.

وقد وجه عثمان رضي الله عنه على الحجّ تلك السنة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فحجّ بالناس سنة أربع وعشرين من الهجرة.

ثُمّ حجّ عثمان رضي الله عنه في خلافته كلها بالناس عشر سنين

ولاءً إلا السّنَةَ التي حُوصِرَ فيها، فوجّهَ عبداللّه بن عباس ﷺ على الحج بالناس. وهي سنة خمس وثلاثين من الهجرة.[١]

المدينة المنورة.

تعد من أهم المدن الإسلامية في عهد عثمان ﷺ، وبها مركز الخلافة، وإليها تفد الوفود من مختلف الأمصار والأجناد الإسلامية، ويقيم بها كثير من شيوخ الصحابة المهاجرين والأنصار، وبذلك تكتسب أهمية خاصة، وقد كان عثمان ﷺ بحكم خلافته مقيمًا بها، ويتفقد أحوالها رحيمًا لين الجانب محسنًا للناس حتى أنه كان يسأل عن أسعار المواد الغذائية وعن أخبار الناس[٢] ويناقشهم في أمورهم.

وكان عثمان ﷺ إذا سافر إلى الحج يستخلف أحد الصحابة على المدينة المنورة حتى يرجع، وكثيرًا ما كان

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٢ ـ ٦٤.
(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٦١، ٩٦٢؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ٣٤.

يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنه.[١] وهو بهذا يسير على سنة الرسول ﷺ وصاحبيه في الاستخلاف على المدينة المنورة في حال السفر، وكان في المدينة المنورة بيت مال وديوان للأعطيات كغيرها من الأمصار. وتعد المدينة من أكثر الأمصار الإسلامية هدوءًا خلال عصر عثمان رضي الله عنه سوى ما حدث في أيامه الأخيرة من اضطراب الأحوال فيها بعد وصول جيوش الفتنة، وحصار عثمان رضي الله عنه وخروج بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم منها.

البحرين واليمامة.

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى البحرين [عثمان بن أبي العاص الثقفي]،[٢] فأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه عليها فترة من الوقت. وتدل الروايات على أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٨.
من الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكثر من استخلاف زيد بن ثابت رضي الله عنه على المدينة أثناء غيابه، انظر: ص ٩٣ من كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين).
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٨٠؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٣١.

كان على ولاية البحرين بعد مبايعة عثمان ﷺ بثلاث سنين أي سنة (٢٧هـ)، بدليل مشاركته بجيشه مع جيش البصرة في بعض الفتوح،[١] ويبدو أن التعاون الذي بدأ بين ولاية البحرين وولاية البصرة في عهد عمر ﷺ أخذ يشتد ويقوى في عهد عثمان ﷺ، خصوصًا بعد تولية [عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ][٢] على البصرة، حيث أصبح عامل البحرين أحد القواد التابعين لعبدالله بن عامر ﷺ والي البصرة، كما أن النصوص التاريخية تفيد تبعية ولاية البحرين للبصرة ـ إلى حد ما ـ واندماجها معها، بحيث أصبح ابن عامر يعين العمال عليها من قبله.[٣]

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٩؛ ابن خلدون، تاريخه، ج٢/١٣١.

(٢) (عبدالله بن عامر بن كريز): من بني عبد شمس من قريش، ولد بمكة في السنة الرابعة من الهجرة، حنّكه الرسول ﷺ في عمرة القضاء وتفل في فيه فتلمظ فدعا له الرسول ﷺ، ولي البصرة لعثمان واشتهر بفتوحه في المشرق توفي في خلافة معاوية (ابن سعد الطبقات، ج٥/٤٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٠).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٨٠.

ويؤكد أحد الباحثين هذا التعاون في قوله: ((وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ألحقت البحرين بالبصرة عندما أصبحت الأخيرة قاعدة لفتوح فارس وجنوب إيران، فصار ولاتها تابعين لأمير البصرة، وقد عزّز هذا صلة البصرة بالبحرين ووثقها)).[١]

وقد ذكر من ولاة عثمان ﷺ على البحرين [مروان بن الحكم][٢] و[عبدالله بن سوار العبدي]،[٣] وقد توفي عثمان

---

(١) عبدالرحمن النجم، البحرين في صدر الإسلام، ص ١٤١.

(٢) (مروان بن الحكم بن أبي العاص): من بني عبد شمس ولد زمن النبي ﷺ، روى عن عمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ﷺ كان كاتب عثمان بن عفان ﷺ تولى الخلافة الأموية ثم تولى أبناؤه من بعده حين توفي في سنة ٦٥هـ (الزبيري مصعب بن عبدالله، نسب قريش، تصحيح ليفي بروفنسال، القاهرة، ص ٦٥٩، ١٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٤٧٨).

(٣) (عبدالله بن سوار العبدي): أحد قواد عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ، وقد اشترك معه في العديد من المعارك والفتوح في المشرق، ولعله هو عبدالله بن سوار الذي ذكره ابن حجر ضمن عمال النبي ﷺ على البحرين (ابن سعد، الطبقات، ج٥/٤٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٩٢).

ﷺ وعبدالله على البحرين،[١] وقد كان للبحرين في أيام عثمان ﷺ دور كبير في بعث الأجناد لفتوح شرق فارس، كما كان لواليها عثمان بن أبي العاص ﷺ دور كبير في تلك الفتوح.[٢]

وما ورد من نصوص تاريخية عن البحرين في خلافة عثمان ﷺ يدور في الغالب حول هذا الأمر، وتكاد تندر النصوص التفصيلية عن البحرين خلال تلك الفترة، سوى ما ذكر من اشتراك بعض الأفراد المنتمين إلى قبائل البحرين خصوصًا من هاجر منهم إلى البصرة في أحداث الفتنة، وفي مقتل الخليفة عثمان ﷺ.[٣] أما الأوضاع داخل البحرين فيبدو أنها كانت مستقرة حتى وفاة عثمان ﷺ.

أما اليمامة فقد كانت في عهد عمر ﷺ تابعة لولاية

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٢/١٥١.

(٢) انظر: محمد بن ناصر الملحم، البحرين في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض للعام الجامعي ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ، ص ١٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

البحرين وعُمان إلى حد كبير، بل إن والي البحرين هو الذي كان يبعث عليها الأمراء أحيانًا، أما في عهد عثمان رضي الله عنه فالذي يبدو أن اليمامة كان عليها والٍ من قبل عثمان رضي الله عنه مباشرة. وقد ورد ذكره في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه مباشرة، إذ وصلته بعض الكتب في تلك الفترة ممن غضبوا لمقتل عثمان رضي الله عنه.(١)

اليمن وحضرموت.

لم تكن الولاية في اليمن وحضرموت طوال عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مركزة في مكان واحد، بل وجدت ولايات متعددة يقيم في كل واحدة منها عامل مختص بإقليمه، وكان ذلك امتدادًا لما كانت عليه أيام الرسول ﷺ، حيث بعث الرسول ﷺ إلى اليمن وحضرموت ما يقرب من عشرة عمال أو أكثر.(٢)

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٨١/٥، وقد ذكر الطبري أن اسمه سَبُرَة بن عمرو العنبري، ولم أقف له على ترجمة.

(٢) راضي دغفوس، اليمن في عهد الولاة، بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية، العدد: ١٠٧ ـ ١٠٨، المجلد: ٢٥ لعام ١٩٧٩م، ص ٤٩.

وقد توفي عمر ﷺ وعامله على اليمن [يعلي بن مُنَيَّة]، وكان في طريقه إلى المدينة بناء على طلب عمر ﷺ، إذ جاءه كتاب يخبره بوفاة عمر ﷺ وبيعة عثمان ﷺ واستعمال عثمان ﷺ له على صنعاء، فاستمر على صنعاء إلى وفاة عثمان ﷺ.(١)

وكان على مدينة الجَنَد [عبدالله بن أبي ربيعة]، الذي استمر واليًا عليها طيلة عهد عثمان ﷺ.(٢)

ويبدو أن هناك ولاة آخرين كانوا على بقية مدن اليمن، ولكن المصادر الرئيسة ركزت على هذين الواليين في الغالب، كما أن المصادر لم تفصل القول في أحداث اليمن خلال عصر عثمان ﷺ، كما يقل إيرادها للمراسلات بين عثمان ﷺ وولاته في اليمن، سوى ما ذكر

(١) الخزرجي، أبو الحسن، الكفاية والإعلام، مخطوط مصوّر ميكروفلم معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم: ٧٣٦، ص١٤؛ وراضي دغنوس، اليمن في عهد الولاة، ص ٦٠.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٩؛ الطبري تاريخه، ج١٤٨/٥؛ الخزرجي، المصدر السابق، ورقة: ١٤.

من أوامر عامة مرسلة لكافة الولاة.[١]

وقد اشتهر عن أهل اليمن خلال عصر عثمان ﷺ طاعتهم وانقيادهم لولاتهم، يدل على ذلك ما روي من أن عثمان ﷺ بعث رجلاً ثقفيًا إلى اليمن. فلما عاد سأله عثمان ﷺ عن أهلها، فقال: ((رأيت قومًا ما سئلوا أعطوه حقًا كان أو باطلاً)).[٢]

ومن المعروف أن العديد من القبائل اليمنية هاجرت خلال الفتوح في أيام عمر بن الخطاب ﷺ إلى الأمصار الإسلامية الجديدة، سواء في العراق أم مصر أم الشام؛ وبالتالي فإن صلات اليمن وأهلها بهذه الأمصار كانت مستمرة، كما أن الهجرات ـ ولو بشكل فردي من اليمن إلى بقية هذه الأمصار ـ لم تتوقف طيلة عهد عثمان ﷺ،

---

(١) انظر، محمد بن علي الأكوع الحولي، الوثائق السياسية اليمنية قبيل الإسلام حتى سنة ٣٣٢هـ، ط ١ ـ بغداد: دار الحرية ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦، ص ١٨٧، ١٨٨.

(٢) حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى ـ بغداد: ١٩٦٩م، ص ٧٩.

حيث نجد لأناس من يهود اليمن دورًا خطيرًا في أحداث الفتنة التي قامت أواخر عهد عثمان ﷺ، واستشهد فيها عثمان ﷺ، وعلى رأس هؤلاء الوالغين في الفتنة [عبدالله بن سبأ][1] الذي تظاهر بالإسلام، وأخذ يجول في الأمصار الإسلامية ويبذر فيها شرور الفتنة.[2]

وبعد مقتل عثمان ﷺ ترك اليمن عدد من ولاتها، وقدموا إلى الحجاز للمشاركة فيما يجري من أحداث، ومنهم يعلى بن منية وعبدالله بن أبي ربيعة.[3]

---

(١) (عبدالله بن سبأ): أصله من اليمن كان يهوديًا من أمة سوداء فأظهر الإسلام وطاف ببلاد المسلمين ليبعدهم عن طاعة أمرائهم ويلقي بينهم الفتنة، وإليه تنسب السبئية، وهم أول الرافضة وقد خالف عليًّا ﷺ، فنفاه إلى المدائن (بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج٧/٤٣١).

(٢) انظر: رسالة ماجستير للدكتور سليمان بن حمد العودة بعنوان: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٥هـ؛ انظر: كتابي: (الولاية على البلادن في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٣٩.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٦؛ =

وهكذا فقد وجدت العديد من الولايات داخل الجزيرة العربية، إلا أنها تفاوتت فيما بينها في الأهمية، فلا مقارنة مثلاً بين مكة المكرمة والمدينة المنورة واليمامة والبحرين؛ إذ يفاوت الثقل السياسي والبشري والمعنوي لهذه الولايات الأخيرة، وبناءً على ذلك وقعت أحداث مختلفة في كل من هذه الولايات خلال عهد عثمان رضي الله عنه واختلفت مواقف سكانها من الخليفة عثمان رضي الله عنه في أواخر خلافته.

ولاية الشام.

يتبادر إلى الذهن حين نتحدث عن ولاية الشام أيام الخليفة عثمان رضي الله عنه اسم [معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه]، ولعلنا نذكر أن أول من ولّى معاوية رضي الله عنه على بعض جيوش الشام هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم في خلافة عمر رضي الله عنه تولى بعض مناطق الشام، وفي أواخر عهد عمر رضي الله عنه كان يتولى

=اليماني: تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد (تاريخ النجف المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: مطبعة مخيمر ١٩٦٥م، ص ١٥).

معظم الشام،[١] حيث ضمت إليه بعض المناطق لظروف خاصة لمقتضيات الأحداث. وحينما جاء عثمان ﷺ إلى الخلافة، كان معاوية ﷺ ـ كما ذكرنا ـ واليًا على معظم الشام، فأقره عثمان ﷺ عليها،[٢] كما أقر بعض الولاة الآخرين على ولايتهم، كاليمن والبحرين ومصر وغيرها من الولايات.

وقد تطورت الأحداث وضمت إلى معاوية ﷺ بعض المناطق الأخرى، حتى أصبح معاوية ﷺ هو الوالي المطلق لبلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان ﷺ، وأشدهم نفوذًا. ولعلنا نذكر هنا أنه في بداية خلافة عثمان ﷺ كان هناك ولاة آخرون؛ منهم [عمير بن سعد الأنصاري] وكان على حمص، وينافس معاوية بن أبي سفيان ﷺ في المكانة لدى عثمان ﷺ، إلا أن عميرًا مرض مرضًا أعياه

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٢٥، ١٤١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٥.

عن القيام بأعباء الولاية، فطلب من الخليفة عثمان أن يعفيه، فأعفاه وضم ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ.[١] وبذلك زاد نفوذ معاوية، فامتد إلى حمص التي ولى عليها من قبله [عبدالرحمن بن خالد بن الوليد].[٢]

كما توفي [علقمة بن محرز]، وكان على فسلطين فضم عثمان ﷺ ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ.[٣]

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٦٩.

(٢) (عبدالرحمن بن خالد بن الوليد): كان غلامًا على عهد رسول الله ﷺ ثم أصبح من فرسان قريش وفضلائها. اشترك مع معاوية ﷺ في صفين وغيرها وكان من أمراء معاوية ﷺ، وتوفي في خلافته. (ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين، ص ٣٠٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٦٧).

(٣) انظر: ما كتبه ابن العربي، في العواصم من القواصم، بتحقيق محب الدين الخطيب والذي له تعليقات جيدة حول هذا الموضوع في ص ٨١، ٨٢، ٨٣؛
وكذلك ما كتبه صادق إبراهيم عرجون في كتابه: عثمان بن عفان، ط ١ ـ القاهرة: ١٣٦١هـ، في ص ٢١٢، ٢١٣ وكذلك ما كتبه راضي عبدالله عبدالرحيم في رسالته: النظام الإداري والحربي ...، ص ٨٦.

فاجتمعت الشام لمعاوية ﷺ بعد سنتين من خلافة عثمان ﷺ، وأصبح الوالي المطلق فيها طيلة السنوات الباقية من خلافة عثمان ﷺ، حتى توفي عثمان ﷺ وهو عليها كما هو معروف.

وقد كانت فترة ولاية معاوية ﷺ على الشام مليئة بالأحداث، حيث كانت الشام من أهم مناطق الجهاد، ومع أن الشام في داخلها قد استقرت أوضاعها وسادها الإسلام، وقلت محاولات الروم لإثارة القلاقل فيها، إلا أن الشام كانت متاخمة لأرض الروم، وبالتالي كان المجال مفتوحًا أمام معاوية للجهاد في تلك النواحي، وقد كانت الشام أيام عثمان ﷺ تقوم بأعمال جهادية برية إضافة إلى أعمال جهادية بحرية، تعد جديدة في حينها على المسلمين.

ومن أهم أعمال معاوية ﷺ الجهادية غزوة (قبرص).[1]

---

(١) (قُبْرُص) أو قبرس كما كانت تسمى: جزيرة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وهي مشهورة وبها دولة يتقاسمها الأتراك المسلمون واليونان النصارى حاليًا (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٠٥؛ صلاح الدين، المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٧٠).

وهي أول غزوة بحرية إسلامية. يقول البلاذري: ((غزا معاوية بن أبي سفيان في البحر غزوة قبرس الأولى، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها، وكان معاوية استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له، فلما ولي عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه: إني قد شهدت ما رد عليك عمر ﷺ حين استأمرته في غزو البحر. فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرس فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا، فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته)).[1] ولعل في ذلك الاطمئنان إلى سلامة المجاهدين في هذه الغزوة. وهذه الغزوة كانت سنة (٢٧هـ) أو (٢٨هـ).[2]

---

(١) فتوح البلدان، ص ١٥٧ (واصطحاب معاوية لامرأته، لمزيد من الاطمئنان من عثمان على أرواح المسلمين).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٠، وذكرها في حوادث سنة ٢٨هـ؛ الذهبي، العبر، ج١/٢١، وذكرها في حوادث سنة ٢٧هـ، وليس لدينا ما يرجح إحدى السنتين.

وهذا النص يعطينا دلالة قوية على المفاوضات التي كانت تجري بين معاوية وعثمان ﷺ في شؤون الجهاد وغيرها. وقد تمكن معاوية ﷺ من فتح قبرص بصفة نهائية سنة (٣٢هـ)، ونقل إليها مجموعة من المسلمين قُدِّر عددهم باثني عشر ألف مسلم، بنوا فيها المساجد، ونشروا فيها الإسلام.[١]

وفي أثناء ولاية عثمان ﷺ كان معاوية ﷺ يبعث الصوائف إلى أرض الروم في كل عام، ويولي عليها القواد والأمراء من قبله[٢] فتقوم بالجهاد والفتح ونشر الإسلام في بلاد الروم.

وقد قام معاوية ﷺ بالغزو بنفسه حتى وصل في سنة (٣٢هـ) إلى مضائق القسطنطينية،[٣] عاصمة الروم. وهذا يعطينا دلالة قوية على مقدار قوة جيش الشام الذي استطاع أن يقطع أرض الروم في آسيا الصغرى (تركيا

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٨٠.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٧؛ الذهبي، العبر، ج١/٢٤.

حاليًا) حتى وصل إلى القسطنطينية نفسها والتقى مع جيشها.

وقد كان لمعاوية رضي الله عنه دور كبير في فتح بلاد (أرمينية)[١] فقد ذكرت بعض الروايات أن معاوية رضي الله عنه هو الذي وجه [حبيب بن مسلمة الفهري] بجيش من أهل الشام لفتح أرمينية،[٢] كما اشتركت جيوش أخرى في فتحها، وكان معظم أجنادها من أهل الشام.

وتعد ولاية الشام في أيام عثمان رضي الله عنه ولاية واسعة، وبالتالي فقد كانت بحاجة إلى تولية عدد من الأمراء في بعض المناطق، حيث يساعدون على إدارتها والقيام

---

(١) (أرمينية): بكسر أوله وفتحه إقليم كبير يقع بين بحر الخزر ـ البحر الأسود ـ شرقًا ووادي الفرات غربًا وهو مقسم حاليًا بين ثلاث دول: إيران وتركيا والإتحاد السوفيتي (سابقًا). (ياقوت الحموي معجم البلدان ج١/١٥٩؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ١١).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري فتوح البلدان، ص٢٠٢؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٠٨؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣١٦.

بشؤونها.

ومن أهم عُمَّال معاوية ﷺ على مناطق الشام [حبيب بن مسلمة] على (قنسرين) و[عبدالرحمن بن خالد بن الوليد] على حمص وشمال الشام و [أبو الأعور بن سفيان][(١)] على الأردن و[عبدالله بن قيس الفزاري][(٢)] على نواحي البحر، كما كان على القضاء أبو الدرداء ﷺ.[(٣)]

وكان لمعاوية ﷺ ثقله السياسي في الدولة الإسلامية أواخر خلافة عثمان ﷺ، إذ كان ضمن الولاة الذين

---

(١) (أبو الأعور بن سفيان): ويسمى عمرو بن سفيان السلمي، واشتهر بكنية (أبو الأعور السلمي)، أدرك الجاهلية واختلف في صحبته، شهد فتوح الشام واشتهر في فتح بعض مواقعها أيام عمر، حارب مع معاوية في صفين، أدرك خلافة مروان بن الحكم (ابن حجر، الإصابة، ج٢/٥٤١).

(٢) (عبدالله بن قيس الفزاري): يكنى أبا بحريه وهو من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية، له رواية عن كثير من الصحابة، اشتهر بفقهه وورعه، مات في خلافة الوليد بن عبدالملك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٥٩٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٨.

جمعهم عثمان ﷺ ليستشيرهم حين بدأت ملامح الفتنة تلوح في الأفق، كما ظهرت له آراء خاصة في هذا الاجتماع وجهها إلى عثمان وإلى شيوخ الصحابة،[١] بل كانت له آراء وجهها إلى الناس جميعًا بإذن من عثمان ﷺ في موسم الحج.[٢]

أرمينية.

بدأت الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرمينية لأول مرة في عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، حيث توجه أول جيش إسلامي إلى تلك المنطقة من بلاد الشام ـ وهي من أقرب الولايات إليها ـ يقوده حبيب بن مسلمة الفهري، وقوامة حوالي ثمانية آلاف مقاتل. واستطاع هذا الجيش أن يفتح العديد من المواقع في أرمينية،[٣] إلا أنه أحسّ بالخطر

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٣؛ ابن الأثير الكامل، ج٣/١٤٩.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٩١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠١؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٠٨.

نتيجة تجمع حشود من الروم لمساعدة الأرمن في حروبهم ضد المسلمين، فطلب المساعدة من الخليفة الذي أمر بتسيير جيش من الكوفة قوامه ستة آلاف رجل تقريبًا، يقوده [سلمان بن ربيعة الباهلي].[١] وقد حدث نزاع بعد ذلك بين حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة، وقف الخليفة عثمان ﷺ عليه، فقام بالكتابة إلى القوم وحل المشلكة التي بينهما،[٢] ويبدو أن سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش الإسلامية، حيث كتب إليه عثمان ﷺ بإمرته على أرمينية، ثم توغل سلمان بن ربيعة في أرمينية[٣] ثم في

---

(١) (سلمان بن ربيعة): ابن يزيد بن عمرو بن سهم بن غنم له رواية عن عمر بن الخطاب ﷺ ولاه عمر قضاء البصرة، اشتهر بغزواته في خلافة عثمان ﷺ واستشهد في إحدى تلك الغزوات في خلافة عثمان ﷺ (ابن سعد، الطبقات، ج٦/١٣١).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠١؛
ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١١١؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٢٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٢؛
ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٢.

بلاد (الخزر)[١] فاتحًا ومنتصرًا، حتى وقعت معركة حامية بين جيشه وقوامه عشرة آلاف رجل وجيش ملك الخزر وقوامه ثلاثمائة ألف ـ كما تقول الروايات ـ فقتل سلمان وجميع جنوده في سنة (٢٩هـ).[٢]

وقد كتب عثمان رضي الله عنه إلى [حبيب بن مسلمة رضي الله عنه] أن يسير مرة أخرى إلى بلاد أرمينية فاتجه بجيشه، وقام بفتح المواقع مرة أخرى وثبت أقدام المسلمين فيها، وعقد بعض المعاهدات مع أهل البلاد،[٣] ثم رأى عثمان رضي الله عنه أن يوجهه إلى ثغور الجزيرة لخبرته بها وقدرته عليها، وعين مكانه على أرمينية [حذيفة بن اليمان رضي الله عنه] بالإضافة لولايته[٤] على

(١) (الخَزَر): من بلاد الترك في آسيا الوسطى، وهي الآن في جنوب الإتحاد السوفيتي (سابقًا). (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/٣٦٧؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٤٤).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٦؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٢؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٣.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٤؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١١٤؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٢٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٨.

أذربيجان، حيث قام بعدة غزوات نحو بلاد الخزر[١] من أرمينية.

وبعد ما يقرب من سنة عزله عثمان ﷺ وولى على أرمينية المغيرة بن شعبة ﷺ، فاستمر واليًا عليها من قبل عثمان ﷺ حتى توفي عثمان ﷺ وهو عليها وعلى أذربيجان في الوقت نفسه.[٢]

وقد دخلت مناطق أرمينية لأول مرة في الدولة الإسلامية في خلافة عثمان ﷺ، واختلفت الروايات حول تاريخ فتحها.[٣]

وتعد هذه الولاية إضافة جديدة أضافها عثمان ﷺ إلى

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/١١١.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٨؛
ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٨٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣، وقد جعلها سنة ٢٩هـ؛
البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠١ وقد جعلها سنة ٢٥هـ؛
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣، وقد جعلها سنة ٢٥هـ.
ولعل بداية البعوث إلى أرمينية كانة سنة ٢٥هـ واستكمال فتحها واستقرارها تحت لواء الدولة الإسلامية كان سنة ٢٩هـ.

الدولة الإسلامية، ولم تكن فتحت قبله، وقد لقي المسلمون عناءً شديدًا في فتحها وتنظيمها وضبط أمورها.

ولاية مصر.

كان والي مصر في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ هو عمرو بن العاص ﷺ، الذي حكمها ما يقرب من أربع سنوات.(١) وتوفي عمر ﷺ وهو وال عليها، وقد أقره عثمان بن عفان ﷺ في بداية خلافته فترة من الوقت. وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر [عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ](٢) الذي كان مصاحبًا لعمرو بن العاص ﷺ منذ أيام فتوحه في فلسطين حيث كان ضمن قواده،

---

(١) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٧٧.

(٢) (عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ): القرشي العامري، أسلم وهاجر إلى المدينة ثم ارتد وأهدر رسول الله ﷺ دمه ثم عفا عنه يوم الفتح، وروى بعد ذلك عن النبي ﷺ وحسن إسلامه، اشترك في فتوح الشام ومصر وولاه عمر ﷺ على بعض نواحي مصر، ثم ولاه عثمان ﷺ عليها، توفي سنة ٣٦هـ بفلسطين (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٣؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج٧/٤٣٥).

واشترك معه في فتوح مصر.[١] وقد عينه عمر ﷺ على بعض صعيد مصر بعد فتحها.[٢] ويبدو أن عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ حدث بينهما خلاف في وجهات النظر، فوفد عمرو بن العاص ﷺ على عثمان ﷺ بعد مبايعته بالخلافة، وطلب منه عزل عبدالله بن سعد عن ولاية الصعيد، فرفض عثمان ﷺ ذلك، وذكر له أن عمر ﷺ هو الذي ولى ابن أبي السرح، وأنه لم يأت بما يوجب العزل، فأصر عمرو ﷺ على عزله، وأصر عثمان ﷺ على عدم موافقته. ونتيجة لإصرار كل من الطرفين على رأيه رأى عثمان ﷺ أن من الأصلح عزل عمرو ﷺ نفسه عن مصر وتولية عبدالله بن أبي السرح ﷺ مكانه، وهذا ما حدث بالفعل.[٣] وفي هذه الظروف قام الروم بالإغارة على

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٣؛ المقريزي، الخطط، ج١/٢٨٩.
(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٣؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٣٣.
(٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٣، ١٧٤؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٥؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٣٤.

الإسكندرية والاستيلاء عليها سنة (٢٥هـ) وقتلوا جميع من فيها من المسلمين، سوى من هرب منهم، فطلب الأقباط من أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن يرد عمْرًا على أجناد مصر لطرد الروم من الإسكندرية، فعين عثمان ﷺ عمرًا على ولاية الإسكندرية، ووجهه بالأجناد لحرب الروم، فقاتلهم واستطاع تطهير الإسكندرية منهم، وهدم أسوارها حتى لا يتمكن الروم من تحصين أنفسهم فيها في حالة استيلائهم عليها مرة أخرى. وقد عامل عمرو أهل القرى الذين لم يشتركوا في حرب المسلمين معاملة طيبة، وأعاد إليهم أموالهم التي استولى عليها الروم، واستعادها المسلمون منهم.(١)

ثم إن عثمان ﷺ أراد أن يعيد عمرو بن العاص ﷺ على ولاية أجناد مصر وحربها وأن يجعل عبدالله بن سعد على الخراج، إلا أن عمروًا ﷺ رفض ذلك، وقال: أنا كماسك

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ المقريزي، ج١/٢٩٩.

البقرة بقرنيها وآخر يحلبها، فجمع عثمان ﷺ الصلاة والخراج لعبدالله بن سعد.[١] [٢]

وتكاد الأخبار تندر عن ولاية عمرو ﷺ في مصر خلال عهد عثمان ﷺ سوى ما ورد من دوره في الجهاد، سواء في رد الروم وطردهم عن الإسكندرية وتثبيت الأمن في أنحاء مصر، أم في قضايا الخراج التي دارت فيها بين عثمان ﷺ وبين عمرو ﷺ وخلافات في الرأي فيها.[٣] كما أننا نجد عددًا من النصوص التي ترد حول مقدار خراج مصر في

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٥؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٣٣؛ المقريزي، الخطط، ج١/٢٩٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٥٥.

(٢) من الملاحظ أن هناك اضطرابًا واضحًا في المصادر التاريخية حول قضية عزل عمرو بن العاص ﷺ عن مصر وهل هو مرة واحدة، أو مرتان في خلافة عثمان ﷺ، ومعظم المصادر لم تشر إلى ذلك، وإنما خلطت الأحداث فذكرت عزله بعد تولية عثمان ﷺ مباشرة ثم ذكرت حربه للروم في الإسكندرية سنة ٢٥هـ، ثم ذكرت عزله سنة ٢٧هـ، ومن الذين أجادوا في عرض القضية بوضوح: البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٢٥؛ والمقريزي في خططه، ج١/٢٩٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٧.

ولاية عمرو ﷺ أثناء خلافة عثمان ﷺ.[١]

ولاية عبدالله بن أبي السرح ﷺ.

بعد عزل عمرو بن العاص ﷺ عن مصر مرة أخرى أو عن ولاية الإسكندرية على أرجح الآراء، وبعد رفضه ما اقترحه عثمان ﷺ من ولايته على الأجناد وولاية ابن أبي السرح ﷺ على الخراج، أقر عثمان ﷺ عبدالله بن أبي السرح ﷺ مرة أخرى على مصر، وأصبح هو الوالي الرسمي لمصر، والمدير الفعلي لولاية مصر بأجنادها وخراجها ومختلف شؤونها، وقد درج المؤرخون ـ في الغالب ـ إذا ذكروا اسم عبدالله بن أبي السرح ﷺ وتولية عثمان ﷺ له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولى عثمان ﷺ على مصر عبدالله بن أبي السرح أخاه من الرضاعة.[٢] وإيراد عبارة (أخيه من الرضاعة) مقرونة بالتولية تعد إيحاء من المؤرخين باتهام عثمان ﷺ، وأنه لهذه الأخوة من

(١) انظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦١.
(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٨.

الرضاعة ولاه على مصر. ونحن لا نرى هذا الذي يراه المؤرخون، ولكي نرد على هؤلاء وعلى ما يغمزون به أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ نستعرض جهود عبدالله بن سعد ﷺ في مصر، وجهاده في نواحيها المختلفة أثناء ولايته.

من الجدير بالذكر أن عبدالله بن سعد ﷺ كان على خبرة ودراية تامة بأحوال مصر ونواحيها؛ نتيجة اشتراكه مع جيش عمرو ﷺ في فتحها، ونتيجة ولايته على بعض النواحي أثناء خلافة عمر ﷺ، وكذلك أول خلافة عثمان ﷺ، مما أهّله لأن يصبح واليًا عامًا على مصر. فكان أقوى المرشحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص ﷺ نتيجة تلك الخبرات، ويبدو أن عبدالله بن سعد ﷺ تمكن من ضبط خراج مصر، حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص ﷺ قبله.

ولعل مرد ذلك إلى اتِّباع عبدالله بن سعد ﷺ لسياسة جديدة في المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو ﷺ، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوفرة في مصر، مما لفت

انتباه الخليفة عثمان ﷺ إلى هذا الفرق، فوجه نوعًا من العتاب إلى عمرو بن العاص ﷺ.[١]

وقد قام عبدالله بن سعد ﷺ أثناء ولايته بالجهاد في عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزو أفريقية سنة (٢٧هـ) وفتوحه فيها، وقتله ملكها جرجير. وكان يصاحبه في تلك الغزوات مجموعة من الصحابة؛ منهم عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ وغيرهم. وانتهت الغزوة بصلح مع بطريق أفريقية على تأدية الجزية للمسلمين.[٢] وقد عاد ابن أبي السرح ﷺ إلى أفريقية مرة أخرى. ووطد فيها الإسلام، وذلك في سنة (٣٣هـ)،[٣] كما

(١) ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٩؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٨٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٧، ٢٢٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٤٧؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٤٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٨٠.

كان من أهم أعمال عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ غزوه لبلاد النوبة، وتسمى غزوة الأساودة أو غزوة الحبشة عند بعض المؤرخين، وقد وقعت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. وقد دار قتال شديد بين أجناد المسلمين وجنود النوبة، وأصيب مجموعة من المسلمين؛ نظرًا لإجادة أهالي النوبة للرمي. وقد انتهت الغزوة بصلح وقعه عبدالله بن سعد ﷺ مع أهالي النوبة بوضع جزية محددة عليهم.(١) ويعد عبدالله بن سعد ﷺ بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقاتل أهلها وفرض عليهم الجزية، واستقرت الحال على ذلك في أيامه بين أهل النوبة وبين المسلمين.

كذلك كان من أهم أعمال عبدالله بن سعد ﷺ العسكرية غزوة (ذات الصواري)، وهي غزوة بحرية قادها عبدالله بن سعد ﷺ لقتال ملك الروم في البحر. وقد التقت

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٨٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٩؛ الطبري، تاريخه، ج٤/ ٢٣٠؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٥٢.

مراكب المسلمين مع مراكب الروم ووقع بينهم قتال شديد، انتهى بهزيمة الروم هزيمة منكرة وانتصار المسلمين انتصارًا عظيمًا. وهي من أولى الغزوات الإسلامية في البحر. وقد انتصر فيها المسلمون رغم أن عدوهم كان أحسن منهم خبرة وأقوى سفنًا. واختلف في تأريخ هذه الوقعة؛ فقيل: سنة (٣٤هـ) وقيل (٣٥هـ)،[١] وهو الأرجح. وقد كان استعداد المسلمين لهذه الغزوة استعدادًا دقيقًا ومنظمًا، واحتاج إلى عناية خاصة بالسفن، ورغم أنهم لم تكن لديهم خبرة كافية في هذا المجال إلا أنهم ـ كما يبدو ـ استعانوا بالأقباط في مصر في بناء السفن وتسييرها كما تدل على ذلك النصوص.[٢] وقد ظهرت بوادر النقمة على عثمان رضي الله عنه وعلى واليه عبدالله بن سعد رضي الله عنه من بعض

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٨؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٩٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١٢٨/٢؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٣٦؛ الذهبي، العبر، ج٢٥/١.

(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١١١٨/٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج١١٨/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥٨/٧.

أصحاب الفتن خلال هذه الغزوة،[١] وعلى رأسهم [محمد بن أبي حذيفة].[٢]

والجدير بالذكر أن الأخبار عن مصر خلال أيام عبدالله بن سعد ﷺ قليلة إلى حد ما، سوى ما ذكرناه من جهود عسكرية، يضاف إلى ذلك بعض الحوادث البسيطة، منها قيام ابن سعد ﷺ بتغيير المصلى الذي كان قد اختاره عمرو بن العاص ﷺ إلى مكان آخر رأى أنه أفضل منه.[٣]

كما ورد ذكر لقاضي مصر [عثمان بن قيس بن أبي

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١١٨.

(٢) (محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي): ولد بالحبشة. وكان أبوه حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قديم الإسلام في مكة، وهاجر إلى الحبشة. وقد استشهد والده في اليمامة فتولى عثمان ﷺ رعايته والنفقة عليه. وكان ممن حرض على عثمان ﷺ واستولى على مصر وسيَّر فيها جيشًا لقتل عثمان ﷺ (ابن سعد، الطبقات، ج٣/٨٤؛ الفاسي العقد الثمين، ج١/٤٥٤).

(٣) الكندي، ولاة مصر، ص ٣٧.

العاص][1] أيام ولاية عبدالله بن سعد ﷺ، حيث كان عبدالله يرفع القضايا والشكايات إليه فينظر فيها.[2] وقد كان قاضيًا في مصر منذ أيام عمر بن الخطاب ﷺ، حيث أمر عمرو بن العاص ﷺ بتعيينه على القضاء.[3]

وقد كان عبدالله بن سعد ﷺ حين يسافر خارج مصر يقوم بتعيين من ينوب عنه في القيام بشؤون الولاية. وكان يخصص نائبًا على الخراج ونائبًا على الجند.[4] وقد كانت فترة ولاية عبدالله بن سعد ﷺ على مصر محمودة على العموم لدى المصريين، ولم يروا منه ما يكرهون، يقول عنه المقريزي: ((ومكث أميرًا مدة ولاية عثمان ﷺ كلها محمودًا في ولايته)).[5]

وذكر الذهبي قريبًا من هذه العبارة، مادحًا لعبدالله

---

(١) (عثمان بن قيس بن أبي العاص): لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكرته هنا من توليه القضاء زمن الخليفة عمر ﷺ.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٣٠.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١/٢٠٠.

(٥) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١/٢٩٩.

بن سعد ﷺ سيرته.[١] وكل هذا يؤكد أن اختيار عثمان ﷺ لابن أبي السرح واليًا على مصر كان اختيارًا موضوعيًا بالدرجة الأولى.

وفي أواخر ولاية عبدالله بن سعد ﷺ على مصر بدأت علامات الفتنة تظهر في مصر، وانتشرت بين الناس الإشاعات الباطلة التي تدعو للثورة على عثمان ﷺ، وكان وراءها أناس من أصحاب الفتنة، حركهم عبدالله بن سبأ اليهودي. وكان لعبدالله بن سعد ﷺ دور رئيس في مقاومة بوادر الفتنة، ومحاولة تهدئة الأوضاع. وقد كتب عبدالله بن سعد ﷺ إلى عثمان ﷺ فيما كان يفعله محمد بن أبي حذيفة وأصحابه. ومن قوله في ذلك: ((إن محمدًا قد أفسد عليّ البلاد)) هو ومحمد بن أبي بكر.[٢] فكتب إليه:

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٤.

(٢) (محمد بن أبي بكر الصديق): ولد في حجة الوداع، سكن مصر بعد فتحها وكان من الناقمين على عثمان ﷺ وصحب جيش الثوار من مصر إلى المدينة، ولاه (علي ﷺ) مصر ثم قتل على يد جيش الشام سنة ٣٧هـ (ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين، ص ٢٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٨١).

((أما ابن أبي بكر، فإنه يوهب لأبيه ولعائشة، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش))، فكتب إليه: ((إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير)).[1]

وهذه المراسلات التي دارت بين عثمان ﷺ وعبدالله بن سعد ﷺ تكشف لنا عن مدى المتابعة الدقيقة من قبل عبدالله بن سعد ﷺ لأحوال ولايته، واكتشافه لإرهاصات الفتنة، ومحاولته التعاون مع الخليفة للقضاء عليها، وإحساسه بالمسؤولية تجاه الأحداث. إلا أن الأمور بدأت تتطور على غير ما كان يتوقع، فقد أصر ابن أبي حذيفة على اتهام عثمان ﷺ واتهام عبدالله بن سعد ﷺ معه، وأخذ يكيل التهم لهم ويصدر الإشاعات هو ومن معه. ومن ذلك أن عثمان ﷺ بعث إليه مالاً في مصر، فأخرج ابن أبي

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٦٥؛ وانظر: قطعة من تاريخ البلاد (سيرة عثمان بن عفان) لمجهول، ولعلها قطعة من كتاب مرآة الزمان لأبي المظفر سبط ابن الجوزي، مخطوط تحت رقم: ٣٢٣٨، مكتبة آيا صوفيا، استانبول تركيا، ورقة: ٢١٦.

حذيفة المال لعامة الناس، وقال: إن عثمان ﷺ يريد أن يرشوني، فزاده ذلك في نظر العامة تعظيمًا.(١) وأخذ يشتد في المكر لإثارة الناس على عثمان ﷺ ووالية، ومن ذلك ((أن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبي ﷺ ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم، فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلوا رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم. وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب، ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي ﷺ، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر لكم عندنا، عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي ﷺ، فيجتمع الناس في المسجد اجتماعًا ليس فيه تقصير، ثم يقوم القارئ بالكتاب، فيقول: إنا لنشكو إلى الله

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٦٥؛ الفاسي، العقد الثمين، ج١/٤٥٥.

وإليكم ما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام، فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول: ثم ينزل عن المنبر وينفر الناس بما قرئ عليهم)).[1]

وهذا النص يدل على مدى الترتيب الدقيق لأصحاب الفتنة في مصر، فضلاً عن مقدرتهم على التزييف وخداع الناس، حتى اغتر بهم كثير من العامة، ونقم كثير من الناس بسببهم في مصر على الخليفة عثمان رضي الله عنه وعلى واليه عبدالله بن سعد رضي الله عنه، فدارت المراسلات في ذلك بين عثمان رضي الله عنه وعبدالله بن سعد رضي الله عنه فاستدعى عثمان رضي الله عنه عمار بن ياسر رضي الله عنه وأمره بالمسير إلى مصر قائلاً له: ((يا أبا اليقظان إن لك سابقة وقدمًا، وقد عرفك الناس بذلك، وقد استمرح أهل مصر واستعلى أمرهم وبغيهم علي، فأنا أحب أن أبعثك إليهم فتعتبهم من كل ما عتبوا وتضمن ذلك عليّ وتقول بالمعروف وتنشر الحسنى، فعسى الله أن يطفئ بك

(١) الكندي، ولاة مصر، ص ٣٨؛ وانظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٤/١١٥٤.

ثائرة ويلم بك شعثًا ويصلح بك فسادًا. وأمر له بنفقة)).[١]

ثم إن عمارًا توجه إلى مصر والتف حوله السبئيون في مصر، وخشي عليه عبدالله بن سعد ﷺ كما خشي من تأجج نار الفتنة، فكتب إلى عثمان ﷺ في المدينة عن أحوال عمار ﷺ فكتب عثمان ﷺ إليه يأمره بتسيير عمار ﷺ إلى المدينة فسيره عبدالله بن سعد ﷺ إلى المدينة.[٢] واستمر ابن أبي حذيفة ومن معه من أصحاب الفتنة في تحريكها بعد سفر عمار بن ياسر ﷺ، بل إنهم استغلوا سفره وأخذوا يشيعون بين الناس أن عثمان اضطهده وآذاه. وكانوا يترصدون الأحداث ليستغلوها في صالحهم، مما زاد من الفتنة بين المصريين وكثرت الإشاعات، مما دعا أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن يستدعي ولاته للتباحث معهم في أمور الفتنة وإرهاصاتها، التي بدأت تطفو على السطح،

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١١٢٢/٣.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١١٢٣/٣؛
الطبري، تاريخه، ج٩٩/٥؛ أبوبكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ص ٦٤، حاشية (١)؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٥٥/٣.

فتوجه عبدالله بن سعد ﷺ إلى المدينة بموجب طلب عثمان ﷺ، وعين من يخلفه على ولاية مصر وخراجها، واشترك في الاجتماع الذي عقد في المدينة بين عثمان ﷺ وولاته وشهده بعض الصحابة ﷺ، وأدلى فيه عبدالله بن سعد ﷺ بما لديه من آراء في القضية. ثم عاد أدراجه إلى مصر.(١) إلا أن الأمور قد تغيرت عليه، إذ إن محمد بن أبي حذيفة قد ثار هو ومن معه على نائب عبدالله بن سعد ﷺ على مصر فأخرجوه من الفسطاط ودعوا إلى خلع عثمان ﷺ والثورة عليه.(٢) واستولوا على حكم مصر، ثم إن عبدالله بن سعد ﷺ قدم إلى مصر حتى إذا وصل إلى النواحي الشرقية منها وجد خيلاً وجنودًا لابن أبي حذيفة تمنعه من دخول مصر رغم إلحاحه عليهم. وذكر لهم أنه إنما أراد أن يكلم جنوده، فلما رأى ذلك منهم توجه إلى نواحي فلسطين، وأقام بها ولم يرجع إلى عثمان ﷺ، وفي

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٩؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٨؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٤.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٢٢٦؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٤٠.

الوقت نفسه لم يتمكن من دخول مصر،[١] ثم أخذ محمد بن أبي حذيفة يكاتب عثمان ﷺ في المدينة باسم أهل مصر بعبارات قاسية صدَّر إحداها بقوله: من الملأ من المسلمين إلى الخليفة المبتلى. أما بعد، فالحمد لله الذي أنعم علينا وعليك واتخذ علينا فيما آتاك الحجة ... إلخ الكتاب.[٢] ويرد عثمان ﷺ على كتب القوم. وفي الفترة نفسها حاول عثمان ﷺ تهدئة الأوضاع ((فبعث سعد بن أبي وقاص إلى أهل مصر يعطيهم ما سألوا، فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطبهم، ثم قال: ألا إن الكذَّاب كذا وكذا بعث إليكم سعد بن مالك ليقل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التخاذل فيكم فانفروا إليه، فخرج إليه منهم مائة أو نحوها فلقوه بمرحلة بني سعد،[٣] وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه،

---

(١) بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج٧/٤٢٦.

(٢) انظر: نص الكتاب في عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٠.

(٣) (مرحلة بني سعد): بحثت عنها فلم أقف لها على تعريف، ويوحي الخبر أنها إحدى المراحل في طريق مصر ـ الحجاز، وأنها قريبة من مصر أو داخله في حدودها.

فركب راحلته وعاد راحلاً من حيث جاء)).[١]

واستمر محمد بن أبي حذيفة والذين معه يدبرون الأمور في مصر، واستطاعوا إثارة الفتنة بها وعملوا على إخراج الجيش الذي توجه إلى المدينة وتمكن من قتل عثمان رضي الله عنه[٢] وكان هذا ما أراده أصحاب الفتنة ومحركوها الرئيسيون.

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه توفي عبدالله بن سعد رضي الله عنه في فلسطين،[٣] ثم تمكن جيش لمعاوية رضي الله عنه من أسر محمد بن أبي حذيفة وقتله.[٤]

وهكذا كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة مستقرة

---

(١) الكندي، ولاة مصر، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١١٢٥/٣؛ الطبري، تاريخه، ج١٠٩/٥؛ الكندي، ولاة مصر، ص ٤١.

(٣) الكندي، ولاة مصر، ص ٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣٥/٣، مجهول قطعة من تاريخ البلاد، سيرة عثمان بن عفان، ورقة: ٢٠٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨٤/٣.

إلى أن تمكن مثيرو الفتنة من أمثال عبدالله بن سبأ من الوصول إليها، وإثارة الناس فيها، فكان[1] لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان ﷺ، كما أن الأحوال في مصر نفسها اضطربت نتيجة طرد الوالي الشرعي لها واستيلاء أقوام آخرين على الأمور بطريقة غير شرعية، وقد تمكنوا خلال تلك الفترة من بث الكراهية في قلوب الناس لخليفتهم عثمان ﷺ؛ نتيجة مكائد قاموا بها وأكاذيب لفقوها ونشروها.

ولاية البصرة.

استشهد عمر بن الخطاب ﷺ ووالياه على البصرة أبو

---

(١) انظر: مرويات الطبري عن سير ابن سبأ إلى مصر وأقاويله التي فتن الناس بها، (تاريخه، ج٥/٩٨).
وانظر: سليمان بن حمد العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط ١ ـ الرياض: دار طيبة ١٤٠٥هـ؛ وانظر: أحمد راتب عرموش، الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي، الطبعة الأولى ـ بيروت: دار النفائس ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

موسى الأشعري.[١] وكان المجتمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشهد تغيرات أساسية في بنيته السكانية والاجتماعية، حيث أصبحت البصرة من أكبر المعسكرات الإسلامية؛ إذ هاجرت إليها العديد من القبائل. وقام جندها بفتح الكثير من المواقع، وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة في بداية عهد عثمان رضي الله عنه.[٢] وقد انشغل الناس بأمورهم الخاصة إضافة إلى الأمور العامة من جهاد وغيره، وبالتالي فإن الولاية على مثل هذه المنطقة وكذلك ما يتبعها من أقاليم أخرى تعد مهمة ليست باليسيرة، وتتطلب دراية خاصة بإدارة تلك الولاية. ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحس بمقدرة أبي موسى رضي الله عنه الخاصة على إدارة تلك الولاية، حيث أوصى الخليفة من بعده أن يترك أبا موسى رضي الله عنه في الولاية من بعده أربع سنوات

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٢.

(٢) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص١٤١؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ٢١٠.

بعد وفاته.[١]

وقد كانت فترة ولاية أبي موسى ﷺ للبصرة فترة جهاد وكفاح، برز فيها دور أهل البصرة، كما برز فيها أبو موسى ﷺ قائدًا أو فاتحًا، ففي تلك الفترة قام أبو موسى ﷺ بفتح العديد من المواقع في بلاد فارس، إضافة إلى تثبيته لأقدام المسلمين في المواقع المفتوحة سابقًا التي حاول أهلها الانتفاض بعد وفاة عمر بن الخطاب ﷺ، فقام أبو موسى ﷺ بغزوهم وتثبيت الإسلام في تلك الربوع.[٢]

وبالإضافة إلى دور أبي موسى ﷺ في الفتوح فإنه قام بدور مهم في تنظيم الري وحفر القنوات والأنهار في البصرة أثناء ولايته زمن الخليفة عثمان ﷺ. وقد قام بحفر قناة لجلب مياه الشرب إلى البصرة، اعتمد عليها الناس بعد

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٣٩١.

(٢) للاطلاع على تفاصيل فتوح أبي موسى ﷺ وجهاده في تلك الفترة، انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٧، ١٥٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٧٢، ٣٧٥؛ الذهبي، العبر، ج١/ ٢٠.

ذلك في شربهم،[١] كما بدأ في مشاريع لحفر قنوات أخرى، إلا أن عزله عن الولاية حال دون إتمامها، فقام خليفته عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ بإتمامها.[٢]

ولم تستمر ولاية أبي موسى ﷺ على البصرة طويلاً، إذ قام عثمان ﷺ بعزله سنة (٢٩هـ) ـ كما ترجح معظم الروايات ـ وعيّن مكانه عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ.[٣]

ويورد المؤرخون عدة روايات حول عزل أبي موسى ﷺ نستخلص منها أن هناك مشكلة قامت بين أبي موسى ﷺ وبين جند البصرة اختلف في سببها، فقيل: إنها ترجع إلى أن أبا موسى ﷺ أراد غزو قوم من الأكراد قد نكثوا العهد وحث الناس على الجهاد وذكر في حديثه فضل

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٩/٤٣٣؛ الذهبي، العبر، ج١/٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج١/١١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٥٣.

الماشي، فخرج بعض جنوده مشاة بعد أن حملوا أناسًا على رواحلهم، فلما شاهدوا أبا موسى ﷺ راكبًا نازعوه وجادلوه وتعلقوا بدابته وأوقفوه وقالوا: ارغب في المشي كما رغبتنا، ومنعوه عن السير فضربهم بسوطه.(١)

وهناك رواية أخرى تذكر في سبب عزل عثمان ﷺ لأبي موسى ﷺ أنه نشب نزاع بين أهل البصرة وأهل الكوفة، نتيجة خلاف على فتح أحد الأماكن التي اشترك الجندان في فتحها في أيام عمر ﷺ، فذكر أبو موسى ﷺ أنه قد أمّن القوم، وبالتالي فلا حقَّ للجندان في السبي، مما أثر في نفوس أهل الكوفة وأهل البصرة على أبي موسى ﷺ.(٢) وقد قدمت مجموعة من أهل البصرة إلى عثمان ﷺ تحرضه على عزل أبي موسى ﷺ قائلين له: ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا بسواه، قال

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٥؛ ابن الأثير؛ الكامل، ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/ ٤٣٢.

(٢) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/١٨٧.

عثمان ﷺ: من تحبون؟ فقالوا: في كل أحد عوض عنه، وطلب القوم من عثمان ﷺ أن يولي عليهم قرشيًّا.[١] فعزل عثمان ﷺ أبا موسى ﷺ وولّى مكان عبدالله بن عامر ﷺ.

وهنا تتجلى لنا حكمة أبي موسى ﷺ وسعة صدره وطاعته لأمر الخليفة، وأنه لم يكن يحرص على الولاية كما يظن البعض، فحينما بلغه عزله وتولية عبدالله بن عامر ﷺ مكانه، صعد المنبر وأثنى على عبدالله بن عامر ﷺ ـ وكان شابًا صغيرًا عمره حوالي (٢٥) سنة ـ وكان مما مدحه به أبو موسى ﷺ قوله: قد جاءكم غلام كريم العمّات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضًا.[٢]

وقد تصور أصحاب الفتنة أن عزل أبي موسى ﷺ عن

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦١؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٩.

البصرة كان خطأ من عثمان ﷺ يجب محاسبته عليه، وأنه أخطأ في عزله.[١]

وقد نسي هؤلاء سعي عثمان ﷺ إلى مصلحة المسلمين العامة وإلى مصلحة أبي موسى ﷺ نفسه من هذا العزل، فالمشهور كما ذكرنا أن عزل أبي موسى ﷺ كان بناء على طلب أهالي البصرة نفسها، كما أن وجود خلاف بين أبي موسى ﷺ وبين أجناده في ظروف عسكرية صعبة شهدتها ولاية البصرة قبل عزل أبي موسى ﷺ من ثورة الأكراد، ونشاط ملك الفرس يزدجرد في تحريك البلدان، ومحاولة زعزعة المسلمين من البلاد التي يسيطر عليها المسلمون.

كل تلك الظروف كانت من الدوافع لعثمان ﷺ في البحث عن قيادة جديدة يستجيب لها الأجناد في البصرة، وبالتالي توحّد صفوفهم أمام الأعداء في تلك الظروف،

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/١٨٧؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ١١٩.

فضلاً عن أن هذا العزل ربما كان تكريمًا لأبي موسى ﷺ من أن يهان من قبل بعض العوام، ممن حملوا في نفوسهم كراهيته والتشهير به، والتقوّل عليه.

ولاية ابن عامر ﷺ على البصرة.

ذكرنا سابقًا أن عزل أبي موسى ﷺ عن البصرة كان في سنة (٢٩هـ) وكان قرار العزل متضمنًا تعيين أمير وقائد جديد لولاية البصرة هو عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ وكانت سِنُّه قريبًا من (٢٥) سنة حينما تولى على البصرة وكان في ريعان شبابه ممتلئًا قوة وحماسة.

كانت ولاية البصرة تمر بظروف صعبة حينما تولى ابن عامر ﷺ، مما دفع عثمان ﷺ إلى إجراء تغيير أساسي في إدارة الولاية، إذ إنه ضم أجناد البحرين وعُمان[1] إلى ابن

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج١/١١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٠.

عامر ﷺ في البصرة حتى يعطيه سلطة أقوى للوقوف أمام التحديات التي تواجهه في تلك الفترة. وقد كان لهذا الدمج أثره الكبير على قوة ابن عامر ونفوذه، كما أنه أثّر من ناحية أخرى على البصرة نفسها، حيث أصبحت إحدى العواصم الإسلامية المستقرة، وزادت هجرة القبائل إليها أكثر من ذي قبل.[١] وبالتالي زادت أعباء الولاية سواء في الديوان أم في تنظيم مختلف شؤون الولاية الإدارية والمالية والأمنية وغيرها.

وقد كانت لولاية البصرة وأجنادها، ولابن عامر نفسه فتوح عظيمة بدأت بعد ولايته مباشرة، وانتهت قبيل مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ.

ومن أهم هذه الفتوحات فتح مدينة اصطخر سنة (٢٩هـ).[٢] وتعد اصطخر في تلك الفترة مركز المقاومة

---

(١) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص ١٤١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٧، ١٦٢؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٨١؛ الذهبي، العبر، ج١/٢٢.

الفارسية ضد المسلمين،[١] ومنها تحركت معظم الفتن في إقليم فارس ضدهم. وكان تركيز ابن عامر شديدًا عليها حتى استسلمت، ووضع عليها ابن عامر رضي الله عنه عاملاً من قبله، وقد تمكن الفرس من قتل العامل ونكثوا العهد مع المسلمين، فتمكن ابن عامر من إخضاعها مرة أخرى بقوة السيف.[٢]

ولأهمية هذا الفتح فإن المؤرخين يعبرون عنه بفتح فارس[٣] أحيانًا؛ نظرًا لأن سقوط المدينة يعني سقوط معظم المواقع الأخرى سواء منها ما فتح سابقًا وأعلن العصيان، أم ما فتح لأول مرة على يد جند ابن عامر، وقد أعقب هذا الفتح اندفاع المسلمين إلى أماكن جديدة في المشرق، كما حرك المنافسة من جديد بين جند البصرة وجند الكوفة على الفتوح،[٤] فانطلق جند ابن عامر فاتحين باتجاه

---

(١) آرثر آربري، شيراز مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة د. سامي مكارم، بيروت: مكتبة لبنان، بدون تاريخ، ص ٦٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٨١.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/٥٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦؛ البلاذري، تاريخه، ص ٣٣٠.

خراسان، وتمكنوا من إخضاعها حوالي سنة (٣٠هـ).[١]

وكانوا خلال فتوحهم تلك يطاردون يزدجرد آخر ملوك الفرس، الذي كان يجمع لقتال المسلمين وطردهم من بلاد فارس، إلا أن ابن عامر لم يتركه ليجهز ما يريد، فكانت الفتوحات في فارس وخراسان موجهة للفتح ولمطاردته،[٢] فأصبح في هذه الفترة شريدًا طريدًا لا يكاد يقر له قرار.

وكانت نتيجة هذه المطاردة ونتيجة انهزام جند الفرس واشتداد ابن عامر في طلب ملكهم يزدجرد أن قام بعض الفرس بقتل يزدجرد؛ بسبب نزاع شب فيما بينهم، وذلك سنة (٣١هـ).[٣] وبهذا انتهى ملك الساسانيين في بلاد الفرس بقتل آخر ملوكهم.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٤٧؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٦٨؛ الذهبي، العبر، ج١/٢٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٤، ١٧٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٢؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٧١؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/١١٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥٨.

كما كان من أعظم فتوح ابن عامر جهاده في نواحي سجستان.[١] حيث تمكن من فتح العديد من المواقع التي يصعب حصرها، وعقد بعض المعاهدات مع أمراء تلك المناطق التي خضعت لنفوذ ابن عامر والنفوذ الإسلامية.[٢] وقد أضاف ابن عامر رضي الله عنه بذلك إلى ولايته مقاطعات جديدة وواسعة، وكان لهذه الفتوح أثرها في إيقاع الرعب في أمراء ما وراء النهر،[٣] الذين ما إن علموا بسيطرة ابن عامر على تلك المناطق حتى طلبوا منه أن يصالحهم وبعثوا إليه بالهدايا والأموال.[٤] وكان من نتائج هذه الفتوح أن فاضت الأموال على أجناد البصرة وعلى بيت مالها، وعلى بيت

---

(١) (سجستان): ناحية كبيرة وولاية واسعة في شرقي بلاد فارس وبعضها في أفغانستان حاليًا، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/١٩٠؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٥٨).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٩٦؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤.

(٣) (ما وراء النهر): يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٤٥؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ١٨٥).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٨.

المال في المدينة المنورة، مما دفع الخليفة إلى البذل وزيادة العطايا.[١]

وبالإضافة إلى جهود ابن عامر ﷺ في الفتوح فقد كان يقوم بتوجيه بعض البعوث للاستكشاف والاطلاع على أحوال البلاد المجاورة ومعرفة قوتها والاستعداد لغزوها، إذا أثبتت الاستخبارات أن المصلحة في الغزو، ومن ذلك توجيهه أحد القواد مع بعض الجنود إلى ثغر الهند (ليعلم علمه وينصرف إليه بخبره).[٢]

وفتوح ابن عامر ﷺ في المشرق كثيرة يصعب حصرها. وكانت بعض هذه المواقع تفتح لأول مرة على يديه وبعضها الآخر سبق فتحها ونكث أهلها وثاروا على المسلمين فافتتحها ابن عامر من جديد.[٣]

---

(١) الذهبي، العبر، ج١/٢٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٠.

(٣) لمزيد من الاطلاع على فتوح ابن عامر، انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥/٤٦؛ خليفة بن خياط، تاريخه من ص ١٦١ حتى ١٦٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٠، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٢٠.

كما كانت لابن عامر رضي الله عنه جهودٌ إصلاحية متنوعة داخل ولايته، أفادت منها البصرة بصفة مباشرة، حيث قام بحفر العديد من الأنهر والقنوات في البصرة؛ منها حفر نهر (الأُبُلَة) وذلك في سنة (٣٠هـ)،[١] كما قام بحفر أنهار أخرى في البصرة في السنوات التالية. وقد كان ينيب عنه من يتولى شؤون الحفر نظرًا لانشغاله بأمور الجهاد، فحفرت له أنهار أخرى سنة (٣١هـ) وما بعدها،[٢] كما قام ابن عامر بتوسعة مسجد البصرة في أيامه وبنائه باللّبن والطين.[٣]

وقد اعتنى ابن عامر رضي الله عنه بسوق البصرة وتنظيمه، حيث اشترى بعض الدور القريبة من السوق وقام بهدمها وإدخالها

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٥١؛ محمد جاسم الحمادي، ولاية عبدالله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي العدد: ٢١، بغداد ١٩٨٢م، ص ١٣٥.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٥٣؛ محمد جاسم الحمادي، ولاية ابن عامر، ص ١٣٥.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٤٦.

في السوق، قام بإعادة تنظيمه من جديد.[١] وتدل هذه التوسعة على الرخاء الذي كانت تنعم به البصرة في أيام عبدالله بن عامر، وعلى مدى نمو السكان فيها وازدهار تجارتها. ولعل ذلك راجع إلى كثرة فتوح البصرة في تلك الأيام، وكثرة سكانها، سواء القبائل العربية التي زادت هجرتها إليها من البحرين وغيرها أم من الفرس الذين دخلوا في الإسلام، وآثروا مخالطة المسلمين في البصرة؛ لتعلم أمور الدين الجديد عليهم. ولم تقتصر إصلاحات ابن عامر على ولايته، بل قام بحفر بعض العيون في نجد، وأقام فيها العبيد ليقوموا بزراعتها ومنها (النِّبَّاحْ)[٢]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/٤٧؛ محمد الحمادي، المرجع السابق، ص ١٣٣، ١٣٤؛ صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٢٦٧.

(٢) (النِّبَاحْ): موضع بين مكة والبصرة حفر فيه ابن عامر وأسكنه أولاده، اشتهر بعيونه ومزارعه ويسمى حاليًا الأسياح. وما يزال عامرًا بالمزارع إلى اليوم. ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة بحوالي ٦٠ كلم، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٢٥٥؛ محمد ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ بلاد القصيم ط ١ ـ الرياض: دار اليمامة ١٣٩٩هـ، ج٦/٣١١).

و(القَرْيَتَيْن)،[١] بل إن حفر ابن عامر للعيون قد وصل قريبًا من المدينة المنورة، وإلى عرفات بالقرب من مكة.[٢]

ولعل الذي دفع ابن عامر رضي الله عنه للقيام بتلك الأعمال اهتمامه الخاص بطريق الحاج العراقي وتجهيز المياه فيه وإقامة بعض القرى حوله، حتى تساعد بالتالي على حماية الطريق وتأمين الحجاج من إغارات الأعراب وقطاع الطرق. ولعل مما يؤيد ذلك قول ابن عامر: ((لو تركت لخرجت المرأة في حِداجتها[٣] على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافي مكة)).[٤]

---

(١) (القَرْيَتَيْن): قريبة من النباح في طريق مكة من البصرة. وهي بلد نخل به عيون ولعلها القريّة والعيّارية بالقرب من مدينة عنيزة بالقصيم، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٥٦؛ ومحمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي ... ـ بلاد القصيم، ج٥/١٩٦٢).

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٠؛ محمد الحمادي، ولاية ابن عامر، ص١٣٧.

(٣) (الحِدَاجْة): والحِدَاجْ هي مركب لنساء الأعراب، يوضع فوق الإبل ويختلف عن الهودج، (الزبيدي، تاج العروس، ج٢/١٩).

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٠.

واكتسبت البصرة في أيام ابن عامر ﷺ مكانة خاصة بين الولايات الإسلامية لفتت نظر الخليفة عثمان ﷺ؛ نتيجة فتوحها وتوسعها في مختلف المجالات، فأصبحت مركزًا إداريًا مرموقًا[1] تدار منها العديد من المناطق الإسلامية. وكان ابن عامر مسؤولاً عن توزيع الأمراء في مختلف المناطق التابعة لولايته، باتفاق مسبق مع الخليفة عثمان ﷺ، وبالتالي كانت مسؤولياته عظيمة، حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أسماء هؤلاء الولاة مقرونين بابن عامر.. يقول خليفة بن خياط: ((وقد كتبنا عمال ابن عامر على خراسان وسجستان في تاريخ السنين في ولاية ابن عامر)).[2] وقد قام ابن عامر بتوزيع الأمراء على المناطق التابعة له بمجرد أن تولى الأمارة، حيث اختار بعض القوّاد والأمراء وعيّنهم على تلك المناطق، ومن أهمها عُمَان

(١) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة، ص ١٤١؛ وانظر بتوسع: محمد الحمادي، ولاية عبدالله بن عامر، مجلة المؤرخ العربي، العدد: ٢١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٨.

والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز،[١] بما في هذه المناطق من مدن مختلفة ومناطق شاسعة.[٢] وكان يجري تنقلات بين هؤلاء الأمراء والعمال من وقت لآخر؛ تبعًا للمصلحة في ذلك، كما اشتهرت البصرة في أيامه ببيت مالها الذي زاد دخله في أيامه وكثرت مصروفاته. وكان المسؤول عن بيت المال في أيام ابن عامر رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان، وقد كان يلي بعض المشاريع من حفر للأنهار وغيرها نيابة عن ابن عامر رضي الله عنه.[٣]

وفي فترة ولاية ابن عامر رضي الله عنه ضربت الدراهم في أنحاء

---

(١) (الأهواز): كورة عظيمة كانت تضم سبع كور في فارس والبصرة (في إيران اليوم) ـ ومدينة الأهواز ما تزال قائمة على نهر كارون الذي عند شط العرب اليوم وتدور فيها حاليًا ـ أي سنة ١٤٠٦هـ ـ، العديد من المعارك بين العراق وإيران (صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ١٦).

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٣.

(٣) البلاذري، نهاية الأرب، ص ١٥٣، ٣٥١.

فارس التابعة لولايته، وعليها ألفاظ عربية في الفترة من سنة (٣٠هـ) حتى سنة (٣٥هـ).[١]

وقد اشتهر ابن عامر ﷺ بمراقبته الشديدة لأمور ولايته، ومحاولته التعرف باستمرار على أحوالها ومصادر المشكلات فيها، فقد أحسّ بوجود عبدالله بن سبأ في البصرة سنة (٣٢هـ)، وشعر بما يحاول ابن سبأ نشره من فتنة بين الناس، فاستدعاه ابن عامر ﷺ واستجوبه وعرف أخباره وأصله اليهودي، وأدرك أنه يسعى إلى الفتنة فأمر بطرده من البصرة.[٢]

وكان ابن عامر ﷺ حريصًا على ضبط أمور البصرة المختلفة، ولهذا كان عند سفره خارج البصرة يعيّن عليها من يقوم بشؤونها نيابة عنه أثناء غيابه، ومن أمثلة ذلك

(١) وداد علي القزاز، الدراهم الإسلامية ... للخلفاء الراشدين، ص ١٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٠؛ سليمان العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص ٤٨؛ بدوي عبداللطيف، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني الهاشمي والأموي، ط ١ ـ القاهرة: مطبعة شبرا ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م، ص ٤٤.

نيابته لمن يقوم مقامه عند خروجه إلى الحج سنة (٣٢هـ).[١]

وقد كان ابن عامر ﷺ محبوبًا لأهل البصرة عمومًا منذ قدومه إليها، ورغم ما أثير حوله من أن عثمان ﷺ ولاّه لأنه قريب له، إلا أن أهل البصرة تمسكوا به. ويدل على ذلك أن بعضًا من أصحاب الفتنة ممن تآمروا على عثمان ﷺ فيما بعد كان من جملة طلباتهم التي قدموها لعثمان ﷺ إبقاء ابن عامر على البصرة.[٢]

وحينما بدأت الفتنة تبرز بوضوح، وشعر عثمان ﷺ بالحاجة إلى أخذ آراء الولاة فيها، كان ابن عامر ضمن الولاة الذين استقدمهم عثمان ﷺ إلى المدينة ليطلعهم على الأوضاع وليستمع إلى آرائهم، وقد أدلى ابن عامر برأيه، حيث أشار على عثمان ﷺ قائلاً: ((يا أمير المؤمنين، إن الناس إنما يرضيهم ما أسخطهم وهي هذه الأموال،

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/٤٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٠.

فأعطهم منها تستل بذلك سخائم صدورهم وضغائن قلوبهم)).[١]

كما ذُكِرَ أنه كان له رأي آخر، حيث قال: ((أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك، حتى يذلوا لك ولا يكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابتّه وقمل فروته)).[٢] وكلا الرأيين يعبران عن شخصية ابن عامر، وما جبلت عليه من كرم وبذل للمال وحب للجهاد. وقد استمر ابن عامر واليًا على البصرة حتى قتل عثمان رضي الله عنه، وقيل: إنه خرج منها قبيل مقتل عثمان رضي الله عنه.[٣]

ومن خلال هذا العرض تبين أن ولاية البصرة في عهد عثمان رضي الله عنه انحصرت في رجلين، هما أبو موسى الأشعري

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١٠٩٥/٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٩٩/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٤٩/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤٦٨/١٩.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٨؛ الطبري، تاريخه، ج١٤٨/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨٦/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨٨/٨.

ﷺ الذي حكم أربع سنوات تقريبًا وعزل حوالي سنة (٢٩هـ) وعبدالله بن عامر بن كريز ﷺ. ولقد كان لكلا الواليين دوره الرئيس في ضبط أمور البصرة وما يتبعها. إلا أن أبا موسى ﷺ ـ في أواخر ولايته ـ ثار عليه بعض المشاغبين وسعوا إلى عزله، فرأى أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن من مصلحة أبي موسى ﷺ ومن مصلحة أجناد البصرة أن يعزل أبا موسى ﷺ، ويعين عبدالله بن عامر الذي خلف أبا موسى الأشعري ﷺ. وكانت له فتوح عظيمة فتوسعت ولاية البصرة في عهده وتبعتها مجموعة كبيرة من الأقاليم، منها فارس وخراسان وسجستان، والبحرين، وعمان، مما أكسب البصرة ـ في ولاية ابن عامر الزاهرة ـ أهمية كبرى ومكانة عظيمة.

ولاية الكوفة.

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان ﷺ بالخلافة المغيرة بن شعبه ﷺ. وكان قد تولى في أواخر عهد عمر بن

الخطاب ﷺ.[١]

وتعد فترة ولاية المغيرة ﷺ على الكوفة أثناء خلافة عثمان ﷺ قصيرة، وهي لا تزيد عن سنة واحدة، والأخبار عن تلك الفترة مقتضبة إلى حد كبير. ومع ذلك فقد ذكرت المصادر قيام أجناد الكوفة بقيادة المغيرة ﷺ بفتح بعض المواقع الفارسية، وعلى رأسها (همذان) في الشهر الرابع أو الخامس من سنة (٢٤هـ)،[٢] مما يدل على أن المغيرة كان ما يزال حتى ذلك الوقت واليًا على الكوفة.

وقد قام عثمان ﷺ بعزل المغيرة ﷺ عن الكوفة وتعيين سعد بن أبي وقاص ﷺ مكانه. وقد ذكر في سبب العزل أنه كان بوصية من عمر ﷺ، حيث أوصى الخليفة من بعده أن يستعمل سعدًا ﷺ نظرًا لأن عمر ﷺ عزله عن الكوفة في أواخر خلافته. وقال: ((إني لم أعزله عن سوء

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٧٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٥٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٠٦.

ولا خيانة وأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله))،[١] فاستعمله عثمان رضي الله عنه مكان المغيرة رضي الله عنه سنة (٢٤هـ) أو سنة (٢٥هـ).[٢] وكان المغيرة رضي الله عنه موجودًا في المدينة المنورة حين صدر قرار عزله.[٣] ولعله استشير قبل العزل أو لعله استعفى من الأمارة.

تولى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الكوفة بعد عزل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مباشرة، وكان قرار التعيين مشتركًا بين سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، سعد رضي الله عنه على الصلاة والجند، وابن مسعود رضي الله عنه على بيت المال.

وقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه صاحب خبرة في ولاية الكوفة، وله معرفة تامة بأمورها وسكانها وثغورها وأجنادها؛ نظرًا لأنه كان مؤسسها في عهد عمر رضي الله عنه، كما أنه وليها عدة سنوات، فكان أخبر الناس بها

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/٧٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٤٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٧٩ ـ ٨٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤.

وأعلمهم بأحوالها.[١]

ومن الأعمال التي ذكرت لسعد ﷺ أثناء ولايته في عهد عثمان ﷺ على الكوفة قيامه بزيارة بعض الثغور التابعة للكوفة، ومنها (الري) وترتيب أمورها وضبطها سنة (٢٥هـ)،[٢] وكذلك قيامه بتعيين بعض الأمراء والعمال الجدد في (همذان) وما حولها.[٣] ولم تطل فترة ولاية سعد بن أبي وقاص ﷺ على الكوفة؛ إذ حدث بينه وبين عبدالله بن مسعود ﷺ خلاف، وكان ابن مسعود ﷺ[٤]

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢؛
انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٥؛
صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ١١٠.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٥؛
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨١.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٦.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٧؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٤٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٢٩؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥١.

على بيت المال، فاقترض منه سعد ﷺ شيئًا من الأموال إلى أجل، فجاء الأجل ولم يكن عند سعد ﷺ ما يسدّ به ذلك القرض، فجاءه ابن مسعود ﷺ يطالبه بتسديد ذلك القرض، فاشتدا في الكلام واجتمع حولهما الناس، فقرر عثمان ﷺ عزل سعد ﷺ وإبقاء ابن مسعود ﷺ، فكانت عقوبة سعد ﷺ العزل وعقوبة ابن مسعود ﷺ الإقرار في العمل كما يقول الطبري.(١)

وهذه القصة تدلنا على تورع كلا الصحابيين ﷺ، وتدل على حاجة سعد ﷺ إلى المال، وعدم وجود ما يكفيه، وأنه ـ لذلك ـ اضطر إلى الاقتراض من بيت المال. كما تدل على اجتهاد عبدالله بن مسعود ﷺ في حفظ أموال المسلمين، وإصراره على استرداد القرض من سعد ﷺ والي الكوفة وحاكمها، وكانت ولاية سعد ﷺ على الكوفة سنة وأشهرًا.(٢)

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٨؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٧.

وبعد عزل سعد ﷺ ولى عثمان ﷺ على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﷺ الذي كان قبل تعيينه على الكوفة قد عمل على إحدى القبائل لرسول الله ﷺ،[١] ثم عمل قائدًا لجيش من جيوش أبي بكر ﷺ في الأردن،[٢] ثم عمل لعمر ﷺ على عرب الجزيرة.[٣]

وفي أواخر خلافة عمر ﷺ وأوائل خلافة عثمان ﷺ كان الوليد أحد قواد أجناد الكوفة، وقام بالجهاد في العديد من المواقع قائدًا لتلك الأجناد،[٤] فكان قبل تعيينه على ولاية الكوفة صاحب خبرة بالكوفة وأجنادها وثغورها ومختلف شؤونها. وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة على غيرهم عند الحاجة

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٣؛ محب الدين الخطيب، حاشية العواصم من القواصم، ص ٨٥.

(٣) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٣٥.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٤٩.

إلى تعيين ولاة جدد، فقد وقع اختيار عثمان ﷺ على الوليد بن عقبة ﷺ لولاية الكوفة، وكثير ممن كتبوا عن تعيين عثمان ﷺ للوليد سواء من المتقدمين أم من المتأخرين حاولوا اتهام عثمان ﷺ في هذا التعيين، فهم يقولون: إن عثمان ﷺ استعمل على الكوفة أخاه لأمّه الوليد بن عقبة ﷺ،[1] وهذا فيه غمز مباشر لعثمان ﷺ.[2]

وكانت ولاية الوليد ﷺ في سنة (٢٥هـ) تقريبًا. وقد باشر عمله في الولاية بتأديب من نقض العهد من أهل البلاد المفتوحة، فغزا أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها إعطاء ما كانوا قد صالحوا عليه المسلمين.[3] وقد أدبهم على ذلك،

---

(١) انظر: اليعقوبي، تاريخه، ص ١٦٥؛ ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٨٥، ٨٧؛ الذهبي، العبر، ج٢٠/١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج١١٦/١؛ السيوطي، تاريخه الحلفاء، ج١٥٥/١.

(٢) انظر في الاتهامات التي ألقاها طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى ـ ١ ـ عثمان، والتي ألصق فيها تهمًا باطلة بعثمان بن عفان وعزله سعدًا وتوليته الوليد (طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٧م، ص ٩٤).

(٣) الطبري، تاريخه ج٤٥/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨٣/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤٠٨/١٩.

كما أرسل سلمان بن ربيعة الباهلي إلى نواحي أرمينية فأدب الروم الذين جمعوا للمسلمين في أرمينية،[١] كما قام الوليد ﷺ نفسه بغزو الديلم مما يلي قزوين وأدب من فيها وانصرف.[٢]

وقد حدث في سنة (٢٨هـ) أن انتفض أهل أذربيجان على المسلمين وكانت من ثغور الكوفة، فقام الوليد بن عقبة ﷺ بغزوها وتأديب الثائرين فيها، وعين عليهم أميرًا جديدًا.[٣] فقام هذا الأمير بإسكان أناس من العرب فيها، وأخذوا يدعون الناس إلى الإسلام.[٤]

وفي بداية ولاية الوليد ﷺ كان يشترك معه عبدالله بن مسعود ﷺ، حيث كان واليًا على بيت المال، إلا أن خلافًا

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٠٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج١/١١٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٨.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٠؛ الذهبي، العبر، ج١/١١٧.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٤.

حدث بين الوليد وعبدالله بن مسعود ﷺ على أمر يتعلق بأموال الدولة، ورفع النزاع إلى عثمان ﷺ ليفصل فيه بما يراه، فرأى عثمان ﷺ أن من المصلحة توحيد الولاية وبيت المال في يد الوليد ﷺ وعزل عبدالله بن مسعود ﷺ. وقد رأى أن المصلحة العامة تقتضي ذلك الضم.[1] وقد بقي الوليد بن عقبة ﷺ في الكوفة محبوبًا من أهلها، ليس على داره باب،[2] يستقبل الناس في مختلف الأوقات؛ ليحل مشكلاتهم، ويقوم بالواجبات الملقاة عليه، إلى أن حدثت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه وذلك ((أن شبابًا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحسيمان الخزاعي[3] وكاثروه، فنذر بهم فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ، فقالوا له: اسكت، فإنما

(١) صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ١١١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٨ ــ ٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣، ١٠٥؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٣٦.

(٣) (ابن الحسيمان الخزاعي): لم أقف له على ترجمة، ولعله ابن للصحابي الجليل الحسيمان بن إياس بن عبدالله الخزاعي. انظر: ابن حجر، الاصابة، ج١/٣٦٦.

هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة، وأبو شريح الخزاعي[١] مشرف عليهم، فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم، ومنهم زهير بن جندب الأزدي، ومورع بن أبي مورع الأسدي وشبيل بن أبي الأزدي[٢] في عدة، فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضًا من الناس، فقتله بعضهم فكتب فيهم إلى عثمان رضي الله عنه، فكتب إليه في قتلهم فقتلهم على باب القصر. وفي ذلك يقول الشاعر:

لا تأكلوا أبدًا جيرانكم سرفًا

أهل الزعارة في ملك ابن عفان

---

(١) (أبو شريح الخزاعي): خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح له رواية عن النبي ﷺ مات بالمدينة سنة ٦٨هـ. (الدولابي، الكنى والأسماء، ج١/٣٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/١٠١).

(٢) (زهير الأزدي ومورع الأسدي وشبل الأزدي): هم من شباب الكوفة الذين اعتدوا على ابن الحسيمان في داره وقتلوه.

إن ابن عفـــــان الذي جـــربتم

فطم اللصوص بمحكم القرآن

ما زال يعمل بالكتــاب مهيمنًا

في كــل عنــق منهــم وبنــان))[1]

وقـد كـان لـدور الوليـد بـن عقبـة ﷺ الحـازم في هـذه القضية وإقامته حد القصاص على هـؤلاء الشباب المعتدين أثـره في وجـود الحقـد والكـراهيـة مـن قبـل أوليـاء هـؤلاء المجرمين وأقاربهم على الوليد بـن عقبـة ﷺ، بل حتى على الخليفة عثمان ﷺ.

ومنذ تلك الحادثة أخذ أولئك النـاس يروّجون الشـائعات على الوليـد بـن عقبـة ﷺ، ويحـاولون جاهـدين أن يتصـيدوا أخطاءه مـا استطاعوا إلى ذلـك سـبيلاً، فـأخـذ أولئـك النفـر

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٩، وفي القصة روايات مختلفة؛ وكـذلك ابـن الأثـير، الكـامـل، ج٣/١٠٥؛ المـالقي الأندلسـي، التمهيـد والبيـان، ص٣٧، ٣٨.

يشيعون بين الناس أن الوليد يشرب الخمر، حتى كثر الحديث على ألسنة الناس، فقال ابن مسعود ﷺ حين سئل عن القضية: من استتر منا بشيء لم نتتبع عورته ولم نهتك ستره، فحين سمع الوليد ﷺ مقالة ابن مسعود ﷺ اتصل به وعاتبه، وقال له: أنت تعلم أن هؤلاء الأقوام موتورون فأي شيء أستتر به؟ إنما يقال هذا للمريب.(١) ومنذ هذا الوقت نشب الخلاف بين ابن مسعود والوليد ﷺ، وكان ابن مسعود ﷺ على حق في فتواه العمومية بعدم كشف الأستار، إلا أن الذي أثار الوليد ﷺ هو شعوره أنه هو المقصود بذلك. وقد جرت بعد ذلك مراسلات بين عثمان بن عفان ﷺ والوليد ﷺ في شأن ابن مسعود ﷺ مما جعل عثمان يطلب من ابن مسعود ﷺ القدوم إلى المدينة وترك الكوفة.(٢)

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٠، ٦١؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/١٠٦؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٤٠.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٤٩.

واستمر أولئك النفر في محاولتهم إضعاف مركز الوليد ﷺ وعزله، فرصدوا له من يراقب بيته، وكان هناك شاعر نصراني من عرب بني تغلب سبق أن قدم له الوليد معروفًا؛ طمعًا في إسلامه؛ نظرًا لمكانة ذلك الشاعر في قومه وكان يزور الوليد في بيته، وقد أسلم وحسن إسلامه. وقد جاء أناس ممن يتجسسون على الوليد إلى النفر الذين قتل الوليد أبناءهم وهم يترصدونه، وأخبروهم أن الوليد وهذا الشاعر يشربان الخمر في دار الوليد، فثاروا وأخذوا معهم نفرًا من أشراف الكوفة ليشهدوا معهم على شرب الوليد للخمر، فاقتحموا على داره من المسجد، ففوجئ الوليد بهم فأبعد شيئًا فأدخله تحت السرير فأدخل بعضهم يده دون إذنه، فسحب ما أخفاه الوليد فإذا هو طبق عليه قليل من العنب، وإنما أخفاه الوليد استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا قليل من عنب، فخرجوا على الناس فأقبلوا يلوم بعضهم بعضًا. وسمع الناس بذلك فأخذوا يسبونهم. ومع موقفهم المشين هذا فقد

ستر الوليد عليهم وعفا عنهم بغية استرضائهم، وأخفى فعلهم عن عثمان ﷺ، وصبر عليهم.[1] ولعلهم يعودون إلى رشدهم... ولكن الأمر بدأ يتطور، وأخذ أولئك النفر يحرضون الناس ويتصيدون الأخطاء على الوليد ﷺ، بل ويفتعلون الحوادث التي تثير الاضطراب في الكوفة، وبالتالي تضعف مركز الوليد ﷺ. ويحدثنا الطبري عن تدخلهم في شؤون الولاية فيقول: ((أُتي الوليد بساحر فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر؟ قال: زعم هؤلاء النفر ـ لنفر جاءوا به ـ أنه ساحر، قال: وما يدريكم أنه ساحر؟ قالوا: يزعم ذاك. قال: أساحر أنت؟ قال: نعم. قال: وتدري ما السحر؟ قال: نعم. وثار إلى حمار فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويريهم أنه يخرج من فمه واسته، فقال ابن مسعود: فاقتله فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٦/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠٦/٣؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٣٩.

الوليد فأقبلوا وأقبل (جُنْدُب)[1] واغتنمها يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريه فضربه، فاجتمع عبدالله والوليد على حبسه، حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه وأنه لصادق بقوله فيما يظن من تعطيل حده وعزروه وخلوا سبيله، وتقدم إلى الناس في أن لا يعملوا بالظنون، وأن لا يقيموا الحدود دون السلطان، فإنا نقيد المخطئ ونؤدب المصيب)).[2]

ومن هذه القضية نتبين أن جندبًا الموتور على الوليد تدخل في عمله، وقتل رجلاً كان بالفعل يستحق القتل بعد انتهاء التحقيق والمحاكمة، وليس لجندب أن يتدخل في إقامة الحدّ، وإنما كان يمكنه أن يطالب الوالي بإقامته لو تأخر عن ذلك، إلا أنه ـ كما يبدو ـ كان يهدف إلى

---

(١) (جُنْدُب): الأزدي هو والد زهير الذي سبق أن اشترك في قتل ابن الحسيمان الخزاعي، فقتل قصاصًا (انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/٥٩).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١؛ وانظر: اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/؛ والمالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص٤١.

إحداث الإضرابات وتشكيك الناس في واليهم. ثم إن قوم جندب غضبوا لحبسه، فخرج بعضهم إلى المدينة وقابلوا عثمان ﷺ، وطلبوا منه عزل الوليد، فقال لهم عثمان ﷺ: ((تعملون بالظنون وتخطئون في الإسلام وتخرجون بغير إذن، ارجعوا. فردهم. فلما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور في نفسه إلا أتاهم فاجتمعوا على رأي فأصدروه)).[1] وقد كان من نتيجة هذا التآمر تلفيق قضية ضد الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، التي سببت إقامة الحدّ عليه وعزله عن ولاية الكوفة، وهذا ما أراده المتآمرون.

وكان تطور القضية كما رواها الطبري أن أولئك القوم ((لما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور في نفسه إلا أتاهم فاجتمعوا على رأي فأصدروه، ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب، فتدخل أبو زينب الأزدي[2] وأبو مورع

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١؛ انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٦.

(٢) (أبو زينب الأزدي): هو زهير بن الحارث بن عوف بن كاسر الحجر، وهو الذي شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر. ليس له صحبه، وإنما هو من التابعين (ابن عبدالبر، الاستيعاب ــ حاشية على الإصابة، ج٤/٨١).

الأسدي[١] فسلا خاتمه، ثم خرجا إلى عثمان فشهدا عليه معهما نفر ممن يعرف من أعوانهم، فبعث إليه عثمان فلما قدم أمر به سعيد بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله فوالله إنهما لخصمان، فقال: لا يغرك ذلك إنما نعمل ما ينتهي إلينا، فمن ظُلم فالله ولي انتقامه، ومن ظَلم فالله ولي جزائه)).[٢]

وقد وردت هذه القصة بتفصيلات أخرى تدل على أن الرجل الذي استل خاتم الوليد استغل نومه العميق فاستل خاتمه.[٣] وقد أدان طه حسين ـ من تلك الأيام ـ الوليد وزعم أنه كان مخمورًا، وأنه لو لم يشرب الخمر لما غرق في النوم، حتى تمكن الرجال من سرقة خاتمه .. يقول:

---

(١) (أبو مورع الأسدي): لم أقف له على ترجمة.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٦١/٥؛ وانظر ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١٦٦/٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠٦/٣، ١٠٧؛ المالقي، التمهيد والبيان، ص ٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤٣٦/١٩.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٩٧٢/٣، وتتميز روايته عن روايات كل من الطبري، تاريخه ٦٢/٦؛ ابن الأثير الكامل، ج١٠٦/٣؛ المالقي، الأندلسي التمهيد والبيان، ص ٤٢.

((والتكلف في هذه القصة أظهر من أن نحتاج إلى تبيينه وإطالة القول فيه فما أمير ينام وعنده سمّاره ثم يمعن في النوم حتى يستل خاتمه من إصبعه دون أن يحس ذلك أو يحسه أحد من خدّامه وحجّابه وشرطه، وإذا كان الأمر من التهاون والاستخفاف، بحيث يستل منه خاتمه الذي يمضي به الأمر والنهي ويمضي به كتبه إلى الخليفة وإلى قوّاده في الثغور، فما هو من الحزم والعزم والفطنة في شيء، إنما الأشبه ما قاله خصوم الوليد من أنه كان يعاقر الخمر مع صديقه وشاعره))،[1] ولعل طه حسين لم يقرأ تلك الروايات ويتمعن فيها، ولو فعل ذلك لاتضح له خلطه بين روايات منفصلة وحوادث مختلفة. فرواية سرقة خاتم الوليد وهو نائم لم يرد فيها ذكر للشاعر الذي ورد ذكره في رواية أخرى مختلفة، اتضح فيها للناس جميعًا أنهم كانوا يأكلون العنب. وأما سرقة خاتم النائم فممكنة وغير مستحيلة، وحتى بحضور أناس إذا وضع

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى ـ ١ ـ عثمان، ص ٩٥.

السارق يده على يد النائم دون أن يشعر الحضور. وهذا ما أوحت به الرواية التي جاءت على لسان زوجتي الوليد شاهدتي الحال. ولكن يبدو أن طه حسين أراد إدانة الوليد ولو بخلط الروايات بعضها مع بعض، فضلاً عن أن طه حسين لم يعتمد على أي مصدر وهو يصدر هذا الحكم على الوليد.

وقد وردت روايات إقامة حد الخمر على الوليد وعزل عثمان رضي الله عنه له بطرق صحيحة، فعند البخاري: أنّ عبيدالله بن عديّ بن الجبار أخبره أنّ المِسْوَرَ بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ((ما يمنعك أن تُكلِّم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة. فقلت: إنّ لي إليك حاجةٌ، وهي نصيحةٌ لك، فقال: يا أيها المرء منك قال أبو عبدالله قال معمر: أعوذ بالله منك ـ فانصرفتُ فرجعتُ إليهم، إذْ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك؟ فقلت: إنّ اللّهَ بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت مِمّنِ

استجاب لله ولرسوله، وهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد. فقال: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا! ولكن خلص إليّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد! فإنّ اللّهَ بعث محمدًا بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فآمنت بما بعث به، وهاجرتُ الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيتهُ وَلا غششتُهُ حتى توفاه الله ﷻ، ثُمّ أبو بكر مثله، ثُمّ عمر مثله، ثُمّ اسْتُخْلِفْتُ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى! قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إنْ شاء الله. ثُمّ دعا عليًّا فأمره أنْ يجلده فجلده ثمانين)).[1]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٤/٢٠٢، ٢٠٣؛
ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٨.

كما وردت روايات أخرى مثار استغراب ذكرت أن الوليد كان يشرب الخمر ويصلي بالناس أثناء سكره، وأنه صلى بهم الفجر أربعًا فلما انتهى قال: أزيدكم،[١] وقد استندت تلك الروايات إلى مرويات دون أن تمعن النظر فيها، وإلقاء التهمة على الوليد فيما لو قبلت فإنها لا تخص الوليد وحده، بل إنها تشمل الوليد وأهل الكوفة جميعًا، الذين يقبلون أن يصلوا وراء رجل مخمور، بل إن القضية لتتعدى إلى الأمة الإسلامية عمومًا،[٢] بما فيها من صحابة رسول الله ﷺ في تلك الأيام، سواء في الكوفة أم المدينة المنورة في سكوتهم عن رجل اشتهر بالخمر ويصلي بالناس مخمورًا. ومثل هذا العمل يستحيل في هذا الزمان بعد ألف وأربعمائة سنة، فكيف يحدث في زمن الصحابة رضي الله عنهم؟

ومع احترامنا للمصادر التي ذكرت تلك القضية، إلا

---

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٥٥؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ١١٣.

(٢) انظر: ما كتبه صادق عرجون في عثمان عفان، ص ١١٣.

أنه بالرجوع إلى كتب الحديث وما ورد فيها وجدنا نوعًا من الإختلاف بين ما أوردته وبين ما ذكر في تلك الكتب، فرواية مسلم[1] اتفقت مع رواية البخاري في إقامة الحد على الوليد. ورواية مسلم ذكرت أنه صلى بالناس الفجر اثنتين وليست أربعًا كما ذكرت بعض المصادر التاريخية. كما أن الراوي لم يشهد ذلك، وإنما الذي شهده هو شهادة الشهود على الوليد بأنه تقيأ الخمر، ثم جلد عثمان ﷺ له

(١) روى مسلم في صحيحه بسنده، كتاب الحدود، باب حد الخمر، ج١٢٦/٥. ((عن حصين بن المنذر أبو ساسان قال شهدت عثمان بن عفان وأُتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما (حُمران) أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ فقال عثمان إنه لم يتقيأ حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن، فاجلده فقال الحسن وَلِّ حارَّها من تولى قارها ـ فكأنه وجد عليه ـ فقال يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده فجلده وعلي يعدّ حتى بلغ أربعين فقال: أمسك ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين وجلد أبوبكر أربعين وعمر ثمانين وكلٌّ سنة وهذا أحبّ إلي)) في تاريخ المدينة وقد اتفقت تقريبًا في النص واتفقت تمامًا في المعنى إلا أن الرواة اختلفوا عن رواة مسلم حتى إن الخلاف وقع في الراوي الأصلي الذي شهد الحادث مع عثمان ﷺ، ج٩٧/٣.

بناء على تلك الشهادة، وليس بناء على صلاته بالناس الصبح مخمورًا، ولم يتحدث أولئك الشهود عن قضية الصلاة كما هو واضح، وإنما يبدو أنها مجرد إشاعات، قرن الراوي بينها وبين الشهادة وإقامة الحد على الوليد.

ونحن هنا لا نسعى إلى تبرئة الوليد، بل نسعى إلى تمحيص تلك الروايات ونقدها ومعرفة خلفيات القصة وأحوال المجتمع في تلك الأيام، خصوصًا في قضايا مهمة كالصلاة والإمارة التي من المستبعد جدًا أن يجرؤ أي إنسان ـ سواء أكان الوليد أم غيره ـ أن يصلي بالناس مخمورًا، خصوصًا في الكوفة التي كانت تغصُّ برجال من كبار الصحابة في تلك الأيام، مما يستحيل معه تواطؤ الجميع على الصلاة خلف مخمور، والسكوت على أمر يمس المجتمع الإسلامي كله.

وقد وردت بعض روايات تذكر أن الوليد كان يشرب الخمر،[1] ولكن القضية التي نحن بصددها التي تسببت

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤١٤.

في عزل الوليد هي شهادة الشهود بأنه قاء الخمر، مع أنه لا يوجد توثيق لشربه الخمر، وإنما تم جلد عثمان ﷺ له وعزله بناء على شهادة الشهود الذين أوكل عثمان ﷺ أمرهم إلى الله، وكان مرغمًا على تصديقهم حتى ولو أحسّ بأنهم متواطئون.

وقد حدثت حادثة قريبة من هذه في خلافة عمر ﷺ حين شهد الشهود على قدامة بن مظعون ﷺ بأنه قاء الخمر، فما كان من عمر ﷺ إلا أن جلده وعزله.[1] مع أن قدامة كان من كبار الصحابة ﷺ ومن البدريين، وعثمان ﷺ عمل نفس ما عمله عمر ﷺ من إقامة الحد والعزل عن الإمارة؛ تبرئة للذمة وماذا كان يريد أولئك المتهمون لعثمان ﷺ أو للوليد غير هذا؟

مع أني أرى احتمال الكذب في الشهادة التي أقيمت على الوليد والتي شك عثمان ﷺ في صحتها، خصوصًا بعد ما علم من الوليد خلفيات علاقته بأولئك الأشخاص

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٠٠.

الذين شهدوا عليه، لكن عثمان ﷺ نظر في القضية نظرة شرعية شأن القاضي العادل ولم ينظر إليها بعلمه أو ظنه أو عاطفته، بل عندما اكتملت شروط إقامة الحد على الوليد أمر عثمان ﷺ بجلده قائلاً للوليد: ((لا يغرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا فمن ظُلم فاللّه وليّ انتقامه ومن ظَلم فاللّه وليّ جزائه)).[1] وقيل: إنه قال: ((نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار)).[2]

وقد كانت حادثة جلد الوليد وعزله سنة (٣٠هـ). ويبدو أن الوليد كان يدرك أبعاد المؤامرة التي حيكت عليه أو التي تحاك على ولاة الكوفة، وبدأت في عهد عمر ﷺ بإلقاء التهم على سعد بن أبي وقاص ﷺ من قبل بعض رجال الكوفة واتهامهم سعدًا ﷺ بعدم إحسان الصلاة، مع أنه صاحب رسول اللّه ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة.[3] وكان الوليد مدركًا لذلك، بل إنه أدرك ما هو

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٦١؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص٤١.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١.
(٣) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٧.

أعظم من ذلك، وأن المؤامرة لا يقصد بها والي الكوفة وحده، بل ستمتد إلى الخليفة نفسه. وقد أورد عمر بن شبة رواية مهمة تلقي الضوء على ذلك، قال: ((لما ضرب عثمان الوليد الحدَّ قال: أبصرتني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عامًا قابلاً)).[١]

ولعل الوليد لم يعدُ الحقيقة، إذ إن بعض من حرّضوا على الوليد وقدموا مع الشاهدين عليه قدموا فيما بعد مع الثوار الذين جاءوا لقتل عثمان ﷺ كالأشتر[٢] وغيره.[٣]

ومما يدل على معرفة عثمان ﷺ بما حيك ضد الوليد

---

(١) تاريخ المدينة، ج٣/٩٧٤.

(٢) (الأشتر): هو مالك بن الحارث النخعي أحد الأبطال في معارك الفتوح، فقئت عينه يوم اليرموك، حرض على عثمان ﷺ وقاتله اشتهر بالفصاحة وشدة المراس والشراسة شهد صفين مع علي ﷺ وكان دوره فيها كبيرًا. أرسله بعد صفين واليًا على مصر، إلا أنه توفي في الطريق مسمومًا. وقد قيل إن موته أراح عليًّا من حدة طبعة وقسوته.
(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٣٤).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣.

بن عقبة رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة بعد عزل الوليد، حيث كتب إليهم: ((من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلام. أما بعد، فإني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعته واستقامت طريقته. وكان من صالحي أهله، وأوصيته بكم ولم أوصكم به. فلما بذل لكم خيره وكف عنكم شره، وغلبتكم علانيته طعنتم في سريرته، والله أعلم بكم وبه. وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميرًا)).[1] وكانت شكاية أهل الكوفة للوليد وعزله حلقة في سلسلة طويلة من الشكايات والعزل من قبيل بعض أهل الكوفة لأمرائهم.[2] وقد غضب الكثير من أهل الكوفة لعزل

(١) عمر بن شبة تاريخ المدينة، ج٣/٩٧٤.

(٢) من أحسن من كتبوا عن قضية الوليد في نظري، أبوبكر العربي في العواصم من القواصم وأجاد في التعليق عليها محب الدين الخطيب انظر من ص ٨٥ حتى ٩٧؛ وكذلك المالقي الأندلسي في التمهيد والبيان ص ١٨٥؛ وكذلك صادق عرجون في كتابه عثمان بن عفان، من ص ١١٣ إلى ١١٥.

الوليد ، فكانت الجواري يرددن:

يا ويلنا قد عُزِلَ الوليـدُ

وجَاءَنَا مُجوّعًـا سعيدُ

يَنْقُضُ في الضياع ولا يزيـدُ

قد جُوِّع الإماء والعبيـد[1]

وبعد عزل عثمان ﷺ للوليد بن عقبة ﷺ (٢٥ ـ ٣٠هـ) عن ولاية الكوفة عين بعده [سعيد بن العاص ﷺ][2] سنة (٣٠هـ) الذي كان مقيمًا في المدينة فاتجه إلى الكوفة. ورافقه وفد من أهل الكوفة الذين قدموا على عثمان ﷺ

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٤٥.

(٢) (سعيد بن العاص): ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، توفي الرسول ﷺ وله قرابة عشر سنوات كان من فصحاء قريش، وأعجب به عمر ﷺ وندبه عثمان ﷺ مع كتبة المصحف. وقد ولاه عثمان ﷺ الكوفة ثم كان من أمراء معاوية بعد استقرار الخلافة له. توفي ﷺ بعد سنة (٥٣هـ) بالمدينة.
(ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين، ص ١٦٥؛ ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٧).

في شكاية الوليد. وكان فيهم الأشتر النخعي وغيره.[١] فلما وصل سعيد ﷺ الكوفة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((والله لقد بعثت إليكم، وإني لكاره، ولكني لم أجد بدًا إذا أُمرت أن أئتمر، إلا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها. والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني. وإني لرائد نفسي اليوم. ثم نزل عن المنبر)).[٢]

ومن خلال هذه الخطبة يتبين لنا معرفة سعيد ﷺ ببدايات الفتنة وإرهاصاتها، التي بدأت تظهر في الكوفة قبل ولايته، وتهديده لأصحاب الفتن، وعزمه على القضاء على الفتنة التي استشعر بدايتها في الكوفة. ثم إن سعيدًا ﷺ بدأ يسأل عن أحوال الكوفة ويستقصي أمورها حتى عرف أهلها فكتب تقريرًا إلى عثمان ﷺ قال فيه: ((إن

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٣؛
ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٧.

أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغُلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة. والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت، حتى لا ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها. فكتب إليه عثمان ﷺ: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح اللّٰه عليهم تلك البلاد، وليكن من نزلها غيرهم تبعًا لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته الإسلام، فجمعهم وجمع معهم من ذوي العقل والحكمة ممن هاجر إلى الكوفة وطلب منهم أن يبلّغوه حاجات الناس، وأخذ يجالس القراء منهم والفقهاء.(١)

إلا أن ذلك لم يعجب أصحاب الفتنة والدخلاء في الكوفة، فأخذوا يصدرون الإشاعات بين الناس ويحاولون النيل من الخليفة عثمان ﷺ، فكان سعيد يكتب إلى عثمان في ذلك، وفي الوقت نفسه يطلع رجالاً من أهل

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٨.

الكوفة على كتبه تلك، وعلى ما يكتب له الخليفة،[١] حتى يكونوا على علم بما يجري ولا تنطلي عليهم تلك الأخبار الملفقة، التي يصدرها أصحاب الفتنة، وقد كان لهذا العمل دوره في وقوف أولئك الرجال في صف سعيد بن العاص رضي الله عنه ورغم انشغال سعيد بن العاص رضي الله عنه بمواجهة الشائعات والمؤامرات التي تحاك في الكوفة لإحداث الاضطراب فيها إلا أنه استطاع أن ينظم أمور ولايته ويعين الأمراء والولاة في مختلف الثغور التابعة للكوفة ويضبط أمورها.[٢] كما كانت لسعيد رضي الله عنه بعض الغزوات التي اشتهر بها؛ ففي سنة (٣٠هـ) ـ وهي السنة التي تولى فيها ـ غزا (جرجان).[٣] كما حدثت انتفاضة في أذربيجان في العام نفسه فقام سعيد رضي الله عنه بغزوها وافتتحها بعد أن امتنع

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٢.

(٣) (جُرْجَان): مدينة مشهورة وإقليم بين طبرستان وخراسان وهي اليوم في إقليم مازندان في إيران. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١١٩؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٣١).

أهلها.[١] كما قام في العام نفسه أيضًا بغزو (طبرستان)[٢] فحاصرها حتى سلمت وقام بتأديب أهلها[٣] وقد صحبه في هذه الغزوة الحسن والحسين ابنا علي ﷺ. وفي هذه الغزوة افتتح العديد من المواقع في سهول طبرستان وما حولها.[٤]

كما قام أهل الكوفة بغزو بلاد الخزر في سنة (٣٢هـ)، وكان سعيد بن العاص ﷺ يمدهم بالأجناد. كما اشترك أهل الشام مع أهل الكوفة في غزو تلك المواقع، بعد أن أصيب جيش من جيوش الكوفة وقتل معظم رجاله، وقد استمرت غزوات أهل الكوفة لبلاد

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٣٠؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٨.

(٢) (طبرستان): بلاد واسعة تقع اليوم في شمال إيران وتسمى مازندان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/١٣؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٥٥).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٣٠؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٠؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٧، ٥٨.

الخـزر بقيـادة حذيفـة بـن اليمـان ﷺ إلى أن قتـل عثمـان ﷺ.[١]

كما قام سعيد بن العاص ﷺ بتوجيه جرير بن عبدالله البجلـي وجـيش معـه إلى الأرمـن الـذين تجمعـوا بنواحـي أذربيجان، لحرب المسلمين فهزموهم، وقتلوا رئيسهم.[٢]

ثم بدأت الفتنة تطل برأسها في الكوفة في سنة (٣٣هـ)، وكـان سـعيد بـن العـاص ﷺ يسـامره في مجلسـه الخـاص أشـرافُ أهـل الكوفـة وقراؤهـا ورجـال القادسـية وأبطـال الفتـوح. وإذا جلـس جلسـته العامـة للنـاس فيـدخل عليـه مـن يشاء، وقد كان في مجلسه العام نفر من أصحاب الفتنة، دفعـتهم إحـدى المناقشـات إلى ضـرب بعـض الجلـوس حتـى كـادوا يقتلونهم. وذلك في مجلس الأمير لم يستطع سعيد أن ينقذ المضروبين.[٣]

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٧٨/٥، ٧٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٤.

(٣) روى الطبري في تاريخه قال: ((جلس سعيد بن العاص للناس يومًا=

ومن خلال تلك الفتن يتبين أنها قامت على حديث كان

=فدخلوا عليه، فبينما هم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عبيدالله فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النساسج لحقيق أن يكون جوادًا لله، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشًا رغدًا. فقال عبدالرحمن بن خنيس وهو حديث ـ أي صغير في السن ـ: والله لوددت هذا الملطاط لك، يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة. قالوا: فض الله فاك، والله لقد هممنا بك. فقال خنيس: غلام فلا تجاوزوه. فقالوا: يتمنى له من سوادنا، قال: ويتمنى لكم أضعافه، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له. قال ما هذا بكم، قالوا: أنت والله أمرت بها، فثاروا إليه الأشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكحيل وعمر بن ضابي، فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشي عليهما. وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، حتى قضوا منهما وطرًا فسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا ومعهم طليحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وتخلصنا، فخرج سعيد إلى الناس، وقال: أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا، وقد رزق الله العافية، ثم قعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا فسألهم وردهم وأفاق الرجلان فقال: أبكما حياة؟ قالا: قتلتنا غاشيتك: قال: لا يغشوني والله أبدًا فاحفظا ألسنتكما ولا تجرأ عليّ الناس.

(الطبري، تاريخه، ج٥/٨٥، وهناك رواية تختلف أحيانًا عن رواية الطبري في ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٧١، ١٧٢).

يعتمد على الأماني الفارغة، ولكن أصحاب الفتنة أرادوا أن يتخذوا من حوارهم ذريعة لإحداث الاضطراب في مجلس الأمير. ولا يخفى علينا هدفهم من افتعال تلك الحادثة، وأن ضرب أقوام في مجلس الأمير بدون إذنه ـ كان أحد المضروبين قائد شرطة الكوفة ـ يعني إضعاف مركز الأمير. كما أن تلك الحادثة كانت ستؤدي إلى قتال بين قبائل الكوفة بعضها مع بعض، لولا تدخل الأمير سعد رضي الله عنه. وباستعراض أسماء الأشخاص الذين افتعلوا الحادثة نجد أن لهم علاقة قوية في اتهام الوالي السابق الوليد بن عقبة رضي الله عنه، كما أصبحت لهم صلة مباشرة بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه بعد ذلك. وبعد أن هدأت الأمور مرة أخرى بدأ أولئك النفر بإثارة المشكلات ونشر الإشاعات، مما دفع رجال الكوفة وأشرافها إلى الاتصال بسعيد بن العاص رضي الله عنه لتأديب أولئك النفر، فطلب منهم الاتصال بالخليفة عثمان رضي الله عنه مباشرة؛ لحل هذه المشلكة ((فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب لهم: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم

بمعاوية، فأخرجوهم فذلوا وانقادوا حتى أتوه وهم بضعة عشر رجلاً، فكتبوا بذلك إلى عثمان وكتب عثمان إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خلقوا للفتنة فارعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدًا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم)).[١]

وقد تصور سعيد ﷺ وأهل الكوفة أن خروج أولئك النفر كان علاجًا للداء وحسمًا للفتنة التي بدأت تتحرك في الكوفة،[٢] فأخرج أولئك النفر إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ في الشام، الذي أخذ يرقب أحوالهم، ثم أرسلهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أحد أمراء معاوية ﷺ في نواحي الشام، حيث قام بحبسهم ومراقبتهم والتشديد عليهم.[٣]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بدوي عبداللطيف، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني ص ٣٧.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٨٦، ٩٣.

ورغم ذلك فقد كان أولئك النفر يتطلعون لفرصة مناسبة يعودون فيها إلى الكوفة؛ ليحركوا الناس ضد سعيد بن العاص رضي الله عنه، بل وضد الخليفة عثمان رضي الله عنه. ويبدو أنهم جعلوا في الكوفة من يراقب الأمور ويتحين الفرص لهم. وقد جاءت الفرصة المواتية لأولئك النفر حينما خرج سعيد بن العاص رضي الله عنه إلى عثمان رضي الله عنه في المدينة لدراسة الأوضاع العامة في الكوفة وفي غيرها، فكتب من كان بالكوفة من أصحاب الفتنة إلى أولئك الذين سيّرهم عثمان رضي الله عنه إلى الشام يخبرونهم بخروج الأمير سعيد رضي الله عنه إلى المدينة وأن الفرصة مواتية للقيام بعمل ما.(١)

وبالفعل رتب الأشتر وجماعته أمورهم بعد مداولات عدة، ثم اتجه إلى الكوفة فارًا من الشام بمن معه من الرجال ((فلم يفاجأ الناس في يوم الجمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: أيها الناس إني قد جئتكم من عند أمير

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤؛ وانظر: المحب الطبري، الرياض النضرة، ص ١٨٥.

المؤمنين عثمان ﷺ وتركت سعيدًا يريده على نقصان نسائكم إلى مائة درهم ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين، ويقول: ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين ويزعم أن فيأكم بستان قريش وقد سايرته مرحلة، فما زال يرجز بذلك حتى فارقته وهو يقول:

ويل لأشراف النساء مني

صمحمح كأنني من جني

فاستخف الناس، وجعل أهل الحجا ينهونهم فلا يسمع منهم وكانت نفجة)).[1] ومن هنا تبين كيف استطاع الأشتر وجماعته أن يُكرِّه الناس بسعيد بن العاص ﷺ بدعوى أنه رآه عند عثمان ﷺ وهو يحاول إقناعه بانقاص أعطيات أهل الكوفة. وكان في مسجد الكوفة في تلك

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٣؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص٢٦٢؛ و(النَفْجَة): من النَفْج وهو إثارة الشيء من مكمنه، فيقال: نفج الأرنب أو أنفجها أي أثارها من مكمنها كما تدل على إظهار الغضب وإثارته. (ابن منظور، لسان العرب، ج٢/٣٨١).

الساعة من يعرف أبعاد المؤامرة إلا أن القوم لم يسمعوا حديثهم، فاختار الأشتر مجموعة من عامة الناس لتخرج إلى عثمان رضي الله عنه وتطالبه بعزل سعيد بن العاص رضي الله عنه عن الكوفة. وقد كان سعيد بن العاص رضي الله عنه قد جعل مكانه أحد القواد يخلفه على الكوفة حتى عودته، وقد حاول ذلك النائب تهدئة الناس بخطبة عامة إلا أنه لم ينجح في ذلك.[1]

وقد تَزَعَّمَ الأشتر تلك الثورة وكان متقلدًا سيفه ويردد: والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ـ يعني سعيد بن العاص رضي الله عنه ـ.[2] ثم خرج الأشتر ومن معه، وعسكروا خارج الكوفة، فلما قدم سعيد بن العاص رضي الله عنه تلقوه وقالوا له: لا حاجة لنا بك. فقال لهم سعيد رضي الله عنه: كان يكفيكم أن تبعثوا إليّ رجلاً، وتبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً آخر بدل

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٣؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص٦٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٥.

أن تعسكروا وتستعدوا بقرابة الألف رجل،[١] فانصرف عنهم سعيد ﷺ راجعًا إلى المدينة المنورة وقبض أولئك القوم على أحد موالي سعيد ﷺ فقام الأشتر بضرب عنقه.[٢] ثم إن سعيدًا ﷺ قدم على عثمان ﷺ في المدينة المنورة. وأحسَّ عثمان ﷺ أن القوم يريدون خلع الطاعة، ولكن سعيدًا ﷺ طلب منه أن يولي عليهم غيره لعلهم يستقيموا، ثم قدم مبعوث من أولئك القوم وأشعر عثمان ﷺ أنهم يودون أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري ﷺ، فقال عثمان ﷺ: أثبتنا أبا موسى عليهم، ووالله لا نجعل لأحد عذرًا ولا نترك لهم حجة، ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون.[٣]

وهكذا نرى أن السبب الرئيس في طلب بعض أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص ﷺ عن ولايتها هو مجرد

---

(١) المصدر السابق، ج٥/٩٣.

(٢) المصدر السابق، ج٥/٩٤.

(٣) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٣.

الحقد والفتنة، التي دفعت الأشتر إلى اختراع تلك القصة والأبيات التي أوردناها والتي انخدع بها بعض عوام الكوفة فقاموا مع الأشتر في رفض ولاية سعيد ﷺ والطلب من عثمان ﷺ إبدال غيره به. ولم يكن سعيد سوى والٍ من الولاة الذين سبق لأهل الكوفة أن اعترضوا عليهم، وطلبوا عزلهم قبل ذلك، كسعد بن أبي وقاص ﷺ والوليد بن عقبة ﷺ وغيرهم، إلا أن سعيد بن العاص ﷺ لم يتهم بأي تهمة كما اتهم الوليد مثلاً. ومع ذلك كان طلب خلعه مقرونًا بثورة حمل الثائرون فيها السلاح. وهي سابقة خطيرة في تاريخ الكوفة بل وفي تاريخ الدولة الإسلامية كلها، وليس سعيد ﷺ فيها سببًا حقيقيًا، وإنما السبب الحقيقي هو تطور الأوضاع والتغير الذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة والخروج على عثمان ﷺ.

وقد أصدر الخليفة عثمان ﷺ أمرًا بتولية أبي موسى الأشعري ﷺ على الكوفة وعزل سعيد بن العاص ﷺ بناءً على طلب بعض أهل الكوفة.

وقد استهل أبو موسى ﷺ ولايته بخطبة أمام أهل الكوفة قال فيها: ((أيها الناس لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة اصبروا فكأنكم[1] بأمير. قالوا: فَصَلِّ بنا. قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان. قالوا: على السمع والطاعة لعثمان)).[2]

وقد كتب عثمان ﷺ إلى أهل الكوفة: ((بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد أمّرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئًا أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئًا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه

---

(١) المراد (اصبروا): فإن معكم أميرًا الآن إن سمعتم وأطعتم فكأنه متردد في الولاية عليهم.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤؛ المحب الطبري، التمهيد والبيان، ص ٦٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٤.

عندما أجبتم حتى لا يكون لكم عليّ حجة)).[1]

ومن هذا الخطاب نجد ملاطفة عثمان ﷺ لأهل الكوفة ومداراته لهم؛ ليقمع الفتنة ويدرأ الشر وحتى لا تقوم عليه الحجة.

وفي فترة ولاية أبي موسى ﷺ على الكوفة كثرت الإشاعات المتضاربة في مختلف الأمصار الإسلامية على عثمان ﷺ. فبينما تصل الإشاعات إلى المدينة أن أهل الأمصار مظلومون تصل الأخبار ـ في المقابل ـ إلى الأمصار أن أهل المدينة المنورة مظلومون، وأن أهل الأمصار الأخرى مظلومون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء القوم، وأما أهل المدينة المنورة، فقالوا: إنا لفي عافية مما ابتلي به أهل الأمصار.

وقد جمع عثمان ﷺ الصحابة ﷺ واستشارهم فيما يفعل في هذه الشائعة، فأشاروا عليه أن يبعث رجالاً ممن

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٦.

يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بالأخبار على حقيقتها. وقد وجه عثمان ﷺ محمد بن مسلمة ﷺ إلى الكوفة،[١] فعادوا إلى المدينة ولم ينكر شيئًا. وهذا يدل على أن الإشاعات غير حقيقة، وأنها تصدر عن أقوام مستثيرين حاقدين، يعملون بطرق خفية، ولا يستطيعون أن يعلنوا عن أنفسهم.

وقد استمر أبو موسى ﷺ واليًا على الكوفة حتى قتل عثمان ﷺ.[٢]

وهكذا نجد أن ولاية الكوفة في خلافة عثمان ﷺ قد تولى عليها خمسة ولاة، ابتداء بالمغيرة بن شعبة ﷺ وانتهاء بأبي موسى الأشعري ﷺ.

وقد حفلت فترة الولاية لكل من هؤلاء الخمسة بالعديد من الحوادث، التي برزت على ساحة الأحداث، وكان لها

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٨٦.

تأثير مباشر على مسيرة الدولة الإسلامية وقد نمت الفتنة في الكوفة، واشتهر عن أهلها تسلطهم على ولاتهم ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما استرضوهم، فقد شكوا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وشكوا الوليد بن عقبة رضي الله عنه، وطردوا سعيد بن العاص رضي الله عنه.

ولعلنا نتذكر هنا أنهم أتعبوا عمر رضي الله عنه قبل عثمان رضي الله عنه حتى قال فيهم: ((مَن عذيري من أهل الكوفة؟))،[1] وقد كان لبعض أهل الكوفة دور مباشر ورئيس في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض الولايات المتفرعة من ولاية الكوفة كطبرستان، وأذربيجان، وبعض المناطق الأخرى شمالي بلاد فارس.[2] ومما يؤيد ارتباطها بالكوفة أن ولاة الكوفة ــ ومنهم سعيد بن

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية عللى البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٧٢.

(٢) انظر: قطعة من تاريخ عثمان ـ سيرة عثمان، ورقة: ٦٧، ٦٨.

العاص ﷺ ـ هم الذين كانوا يتولون الفتوح في نواحيها، كما كانوا يؤدبون أهلها في حال عصيانهم، وقد مارست هذه الولايات الفرعية دورًا مرتبطًا بدور الكوفة أيضًا إلى حد كبير.

ومن خلال العرض السابق للولايات الإسلامية في عهد عثمان ﷺ يتبين لنا أن هناك ولايات تمتعت بالاستقرار طيلة خلافة عثمان ﷺ، ومنها الولايات الواقعة في بلاد العرب كمكة المكرمة والطائف والبحرين واليمن وغيرها، كما تمتعت الشام بالاستقرار طيلة خلافة عثمان ﷺ، وأما البصرة فقد شغل أهلها بالفتوح مع واليهم عبدالله بن عامر ﷺ.

أما مصر والكوفة فحدث فيهما الاضطراب في أواخر خلافة عثمان ﷺ، وبالتالي ولدت فيهما الفتنة، وأقدم أناس من أهلها على غزو المدينة المنورة وعلى قتل الخليفة عثمان ﷺ بدلاً من غزو أعداء الإسلام.

سياسة عثمان رضي الله عنه مع الولاة في عهده.

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة في بداية سنة (٢٤هـ)، وكان ولاة عمر رضي الله عنه ينتشرون في الأمصار الإسلامية. وقد أقرهم عثمان رضي الله عنه على ولاياتهم عامًا كاملاً، ثم باشر بعد ذلك العزل والتعيين[١] في هذه الأمصار بمقتضى سلطته وحسب ما يراه في مصلحة المسلمين. ولعل عثمان رضي الله عنه في ذلك قد اتبع وصية عمر رضي الله عنه التي أوصى فيها: ((أن لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين)).[٢]

وقد ألصقت التهم بعثمان رضي الله عنه، سواء في العزل أم في التعيين. يقول أحد الباحثين: ((وبعد انقضاء العام الأول باشر سلطته الطبيعية في التولية والعزل، وكان في مباشرته هذه شيء من العجلة، فهو أولاً لم يلق بالاً إلى

---

(١) صادق عرجون، عثمان بن عفان، ص ٢٠٤؛ راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ص ١٠٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٣٩١.

العمال الذين كانوا ينهضون بالأمر في الولايات التي لم يكن لها خطر في سياسته أو إدارة حرب، وإنما ترك عمال عمر في هذه الولايات، ولم يغيّر منهم إلا القليل حين دعت الحاجة إلى هذا التغيير، وهنا نجد أنه سار سيرة هينة)).[١] ولعل هذا الباحث قد تأثر بما كتبه طه حسين في هذه القضية.[٢] وفي رأيي فإن عثمان ﷺ حينما بدأ يعزل ويولي بعد مضي عام فإنه بذلك يمارس سلطته الطبيعية خليفةً للمسلمين، وليس في ذلك شيء من العجلة، خصوصًا إذا نظرنا في كل حادثة من حوادث العزل على حدة. فكل حادثة سوف نجد أنه قد صاحبتها ظروف معينة، دعت عثمان ﷺ إلى القيام بالعزل أو التعيين؛ متوخيًّا في ذلك مصلحة الأمة، خصوصًا أن عثمان ﷺ كان يعتمد على مشورة الصحابة في كثير من تصرفاته، كما أنه ﷺ قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يرى فيه مصلحة المسلمين، ولذلك قلّ عدد الولاة إلى حد ما في بعض

(١) راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ص ١٠٤.
(٢) انظر: الفتنة الكبرى ـ ١ ـ عثمان، ص ٧٣.

المناطق، فقد ضم البحرين إلى البصرة، كما ضم بعض ولايات الشام إلى بعضها الآخر نتيجة لوفاة بعض الولاة أو طلبهم الإعفاء من العمل.

وقد كان عثمان رضي الله عنه دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة بين الناس، فكان أول كتبه إلى ولاته بعد مبايعته خليفة المسلمين: ((أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإنَّ صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولايكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تُثَنُّوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء)).[1]

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص٥٢٨.

ونحن نرى من هذا أن عثمان ﷺ حدد لولاته معالم السياسة التي يجب أن يسيروا عليها، من إعطاء الحقوق للمسلمين، ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وإعطاء أهل الذمة حقوقهم ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وبالوفاء حتى مع الأعداء وبالعدل في ذلك كله، وألا يكون همهم جباية الأموال ((فأنتم رعاة ولستم جباة)). وقد بعث عثمان ﷺ بكتب أخرى إلى أمراء الأجناد في الثغور وإلى عمال الخراج.(١)

كما كان عثمان ﷺ يكتب إلى عماله ببعض التعليمات الخاصة في الأمور المستجدة، التي تتعلق بإداراتهم للولايات، إضافة إلى كتبه العامة التي كان يصدر فيها تعليمات محددة يلتزم بها الجميع، ومن ذلك إلزامه الناس في الولايات بالمصاحف التي كتبت في المدينة على ملأ من الصحابة ﷺ، حيث أرسل مصاحف إلى كل

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤؛ محمد حميد الله، المرجع السابق، ص٥٢٨، ٥٢٩.

من الكوفة والبصرة ومكة المكرمة ومصر والشام والبحرين واليمن والجزيرة، بالإضافة إلى مصحف المدينة ـ كما مرَّ ذكره ـ.[١] وقد أمر عثمان ﷺ بجمع المصاحف الأخرى وإحراقها، وذلك بموافقة الصحابة في المدينة المنورة كما ورد ذلك عن علي ﷺ.[٢] كما كان عثمان ﷺ حريصًا على أن يتنافس الأمراء فيما بينهم في الجهاد وفتح بلدان جديدة، فقد كتب إلى عبدالله بن عامر ﷺ في البصرة وإلى سعيد بن العاص ﷺ في الكوفة يقول: ((أيكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها، مما دفع ابن عامر إلى فتح خراسان وسعيد بن العاص إلى فتح طبرستان)).[٣]

وقد كان عثمان ﷺ يشترط بعض الشروط على الولاة أحيانًا؛ ليضمن أن يكون تصرفهم في صالح المسلمين،

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٩٧؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٧٠.
(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٩٥، ٩٩٦.
(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦.

ومثال ذلك أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ كتب إلى عثمان ﷺ ((يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان: "فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا"، فركب البحر ... وحمل امرأته)) ـ كما مرَّ ذكره ـ.[1]

وقد اتبع عثمان ﷺ عدة أساليب لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، من ذلك أنه كان يحرص على الحج بنفسه، ويلتقي بالحجاج، ويسمع شكاياتهم وتظلمهم من ولاتهم، كما كان يطلب من العمال أن يوافوه في كل موسم. ((وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم)).[2] وكان ذلك استمرارًا لما كان عليه الحال أيام عمر ﷺ من لقاء سنوي بين الخليفة والولاة والرعية، كما كان عثمان ﷺ يستقبل الكتب التي

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٠٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٤.

يرسلها الرعية من الأمصار إلى المدينة المنورة بما فيها من شكاوى، فقد استقبل كتابًا أرسله أهل الكوفة،[١] إليه وكذلك كتابًا أرسله أهل مصر إليه[٢] كما استقبل كتبًا أخرى أرسلها أناس من الشام،[٣] وقد اطلع عثمان ﷺ على ما في هذه الكتب وعالج ما فيها. كما سبق التفصيل فيه.

وكذلك كان عثمان ﷺ يرسل المفتشين إلى الأمصار عند قدوم الشكاوى؛ ليحققوا فيها ويأتوه بأخبارها، ومن ذلك إرساله عمّار بن ياسر ﷺ إلى مصر ومحمد بن مسلمة ﷺ إلى الكوفة وأسامة بن زيد ﷺ إلى البصرة وعبدالله بن عمر ﷺ إلى الشام، بالإضافة إلى إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى.[٤]

---

(١) عمر بن شبة، تا ريخ المدينة، ج١١٤٢/٣.

(٢) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) ابن أعثم الكوفي، ج١٨٨/٢.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٩٩/٥؛ النويري، المصدر السابق، ج٤٧٤/١٩.

وقد كانت الاتصالات المستمرة قائمة بين الخليفة عثمان ﷺ وبين ولاته لبحث مختلف شؤون الدولة والخلافة. ومن أهم هذه الاتصالات الاجتماع الذي عقده مع ولاته في المدينة، حيث دعا ولاة البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرهم، ودعا كبار الصحابة وعقد معهم اجتماعًا، بحث فيه بوادر الفتنة التي بدأت تظهر، وتعرف على آراء أولئك الولاة في الفتنة وفي كيفية علاجها، فقد أدلى كل والٍ من هؤلاء برأيه في علاج تلك الظاهرة.

وقد كان عثمان ﷺ حريصًا على قيام الولاة بواجباتهم، وفي حال وقوع أي مخالفة منهم فإنه يؤدبهم على ذلك الخطأ إذا وصل إلى علمه، وإذا ثبت شرعًا ارتكابه شرعًا دون النظر إلى حسن ظنه في العامل. ومن ذلك جلده للوليد بن عقبة ﷺ وعزله له عن ولاية الكوفة بعد شهادة الشهود عليه بشرب الخمر.[1] وكذلك عزله لسعد بن أبي وقاص ﷺ وتثبيته لابن مسعود ﷺ بعد أن

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٧٥.

وقع بينهما النزاع أثناء ولايتهما على الكوفة.[١]

وفي رأيي أن عزل عثمان ﷺ للولاة في كثير من الأحيان كان غير مقرون بأخطاء ارتكبها الولاة توجب العزل، فلم تكن وقائع العزل من باب تأديب عثمان ﷺ لولاته وإنما كان العزل لاجتهاد عثمان ﷺ في مصلحة المسلمين. ولكن مع ذلك ومن خلال كتابات عثمان ﷺ لأهل الأمصار يتبين أن عثمان ﷺ كان على استعداد لتأديب أي والٍ يقع في الخطأ تجاه أهل بلده دون خشية في ذلك.

وتعد وقائع استقالة الولاة في عهد عثمان ﷺ قليلة، ومنها ـ إن صحت الرواية ـ استقالة عمرو بن العاص ﷺ عن ولاية الخراج،[٢] وكذلك استعفاء والي حمص عمير بن سعد ﷺ بعد مرضه.[٣]

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٦٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٥.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٩.

وقد درج عثمان ﷺ على أن يكتب إلى أهل الأمصار عند تعيين والٍ جديد عليهم ليوصيهم به كما أوصاه بهم، ومن ذلك كتابه إلى أهل الكوفة بعد تعيينه سعيد بن العاص ﷺ واليًا عليهم،[١] وكذلك كان يكتب في كثير من الأحيان إلى العامة في الأمصار ناصحًا، حتى يساعد الولاة في تسيير أمور الرعية.[٢] ومن ذلك الكتاب الذي أرسله عثمان ﷺ إلى الأمصار يقول فيه: ((أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم. وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقوامًا يشتمون وآخرون يضربون، فيا من ضرب سرًا وشتم سرًا... من ادّعى شيئًا من ذلك فليوافني

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: الطبري، ج٥/٤٥.

الموسم فيأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي ... أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قُرِئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان)).[1]

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٧٤.

دور الولاة في إدارة الدولة الإسلامية في عصر عثمان ﷺ.

ذكرنا أن الولاة في أول سنة من خلافة عثمان ﷺ كانوا هم الولاة السابقين لعمر ﷺ، ثم وقعت بعد ذلك تعديلات في مناصب الولايات، أجراها عثمان ﷺ لما يراه في صالح الدولة الإسلامية.

وحين نستعرض أسماء ولاة عثمان ﷺ نجدهم في الغالب أصحاب خبرات سابقة في إدارة البلاد والأجناد، سواء في عهد الرسول ﷺ أم في عهد عمر وأبي بكر ﷺ. ومن هذه الأسماء معاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن سعد بن أبي السرح وسعد بن أبي وقاص وأبو موسى الأشعري ويعلى بن منية وعثمان بن أبي العاص ﷺ وغيرهم. كما برزت أسماء أخرى لولاة شباب ليس لهم قديم خبرة، كعبدالله بن عامر بن كريز وعبدالله بن عمرو بن الحضرمي ﷺ وغيرهما.

وقد كان من المتوقع أن يكون هناك تقصير في إدارة الشباب لولاياتهم، خصوصًا إذا علمنا أنهم لم يكونوا

أصحاب خبرة سابقة، ولكن مع ذلك ثبت العكس، حيث أثبت عبدالله بن عامر مقدرة قوية في إدارة ولاية البصرة وإصلاحها، كما أثبت مقدرة أقوى على التوسع والاستمرار في الفتوح، فكان عند حسن ظن عثمان رضي الله عنه والمسلمين.

وبما أن باب عثمان رضي الله عنه كان مفتوحًا طيلة عهده لاستقبال الناس والاستماع إلى حاجاتهم، وكذلك كانت أبواب ولاته، بل اشتهر عن بعضهم أنهم لم يكن لهم أبواب لبيوتهم فيدخل عليهم الناس في أي وقت شاءوا، ومنهم الوليد بن عقبة رضي الله عنه في الكوفة.[1] كما أن بعضهم كانت لهم مجالس سمر يحضرها أشراف الناس ووجهاؤهم، ويتبادلون فيها الآراء؛ كسعيد بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبدالله بن سعد رضي الله عنهم وغيرهم، وبالتالي فإن هذه المجالس كانت مجالاً لتبادل الرأي بين الوالي ورعاياه،

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٦٨.

كما كانت مجالاً لمتابعة الأخبار والتخطيط غير المباشر لشؤون الولاية والمدينة الجهادية، وهكذا فإن سياسة (الأبواب المفتوحة) كان يطبقها عثمان ﷺ وولاته بكل بساطة وعفوية، مما ساعد الولاة على إدارة ولاياتهم وعلى إرضاء الناس في كثير من الأحيان عن تصرفاتهم.

وقد تمتع الولاة بصلاحيات محددة في بعض الأحيان، حيث كانوا يولون العمال على المناطق التابعة لهم في الغالب بطريقة مباشرة أو مع استشارة الخليفة عثمان ﷺ، كما كانوا يوجهون الأجناد ويقودونها في أحيان كثيرة، بالإضافة إلى مسؤوليتهم عن إقامة الحدود وحفظ الأمن والنظام وإقامة أمور الدين، وغير ذلك من المهام التي كانت منوطة بالولاة قبل عثمان ﷺ وبعده. وفيما يبدو فإنه قد حدث تطور جديد في عهد عثمان ﷺ، حيث تمتع بعض الولاة بسلطات لم يتمتعوا بها قبله، حيث نلاحظ مثلاً أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أصبح واليًا على الشام والجزيرة وفلسطين، وهي مناطق كان يتولى عليها في السابق ما لا يقل عن أربعة ولاة أساسيين، ومن الملاحظ أن

هذا التطور في حجم الولايات كان قد بدأ في أواخر عهد عمر رضي الله عنه، إلا أنه اكتمل على هذه الصورة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكما هو الحال في الشام، فكذلك كان الحال في البصرة، حيث نجد أن عثمان رضي الله عنه قد ولى ابن عامر رضي الله عنه على البصرة وضم إليه البحرين وعُمان واليمامة في أرجح الأقوال، بالإضافة إلى المناطق التي تمكن ابن عامر رضي الله عنه من فتحها، حيث وصل إلى ما وراء النهر، وبالتالي فإن معاوية وابن عامر رضي الله عنه كانا يعينان الولاة على المناطق التابعة لهما ويديرانها بمشاورة مع الخليفة عثمان رضي الله عنه. إلا أن اتصال عمال تلك الأقاليم التابعة لمعاوية وابن عامر كانت في الغالب تتم معهما دون الرجوع إلى الخليفة، وبالتالي كان لهذين الواليين ولغيرهما، كعبدالله بن سعد رضي الله عنه في مصر وشمال أفريقيا ثقل سياسي كبير في الخلافة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه.[1]

---

(١) لمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى ما كتب عن ولاية البصرة والشام في كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٥١ ـ ٢٨٩.

كما كان للولاة على البلدان في خلافة عثمان ﷺ دور مباشر في الفتوح في عهده، فقد قام ابن عامر ﷺ بالكثير من الفتوح في المشرق بنفسه وعن طريق بعض قواد البصرة، واستمر في مواصلة الفتوح في بلاد الفرس حتى انتهى الأمر بمقتل ملك الفرس يزدجرد ـ كما مرَّ ذكره ـ[1] وبالتالي انتهت دولتهم على يده.

وكذلك تمكن معاوية ﷺ من الوصول إلى مضائق القسطنطينية وقام عبدالله بن سعد ﷺ بفتح العديد من المواقع في شمال أفريقيا وفي بلاد النوبة، كما قام ببعض الغزوات في البحر، ومنها ذات الصواري، كما قام معاوية ﷺ بفتح قبرص. وهكذا نرى أن هناك دورًا رئيسًا للولاة في الفتوح في عهد عثمان ﷺ، بل نحن لا نبالغ إذ سميناهم (الولاة الفاتحين)، خصوصًا الولاة الذين كانوا على أطراف دولة الخلافة الإسلامية. أما من كانت ولايتهم تقع في وسط الدولة الإسلامية فإن صلاحياتهم وأعمالهم

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٤.

وأدوارهم كانت مركزة في الغالب في تنظيم شؤون ولاياتهم وإقامة الشريعة الإسلامية فيها، ودعم الأجناد بإرسال المتطوعين من ولاياتهم إلى مناطق الجهاد، دون الاشتراك المباشر في عملية الجهاد.

كما كان للولاة عمومًا دور كبير في نشر الإسلام في البلاد المفتوحة وفي معاملة أهل الذمة بأحكام الشريعة، وحفظ حقوقهم ومطالبتهم بالواجبات الملقاة عليهم. وقد قام الولاة بالعديد من الإصلاحات المدنية والعمرانية في أمصارهم من بناء الجسور وشق القنوات وتأمين المياه، وغير ذلك من الأعمال.

وقد برز من الولاة في هذا المجال أبو موسى الأشعري وعبدالله بن عامر رضي الله عنهما اللذان قاما بشق القنوات وحفر الأنهار في البصرة، كما قام ابن عامر رضي الله عنه بإصلاحات خارج ولايته حيث حفر العديد من العيون في طريق الحجاج العراقيين مرورًا بنجد، وقام بعمل الحياض وجلب المياه في

المدينة وفي عرفات،[١] وكذلك قام بإصلاح الأسواق وتأمين الطرق.

وقد تمتعت بعض الولايات بوجود مساعدين للولاة للقيام بأعمال معينة ووظائف محددة في الولاية، فمثلاً عند سفر الوالي إلى خارج ولايته كان يقوم بإنابة أحد الأشخاص محله في إدارة شؤون الولاية إلى عودته. كما كان هناك قضاة مستقلون لمختلف الولايات. وتدل النصوص على أن الوالي كان غالبًا ما يعين القاضي، وأحيانًا كان يتم تعيينه من قبل الخليفة عثمان ﷺ مباشرة.[٢] كما كان الوالي أحيانًا هو الذي يقضي بين الناس، فقد أمر عثمان ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ أن يقضي بنفسه بين الناس في البصرة.[٣] كما كان هناك عمال على الخراج وموظفون

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٦١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٩.

(٣) المصدر السابق.

على بيت المال وعلى الدواوين كلهم يساعدون في شؤون الولاية المالية والإدارية. وقد يكون عمال الخراج في كثير من الأحيان مستقلين عن الوالي العام، ويتصلون مباشرة بالخليفة عند الحاجة. منهم من يقوم على الشرطة، ومنهم من يقوم على بيت المال، ومنهم من يقوم على الخراج، ومنهم من يقوم على الصدقات.(١)

وقد وزع عثمان رضي الله عنه القضاة في مختلف الأمصار الإسلامية، وقد ذكرت أسماؤهم عند المؤرخين.(٢)

وقد وجد التعاون بين ولاة البلدان بعضهم مع بعض في مواجهة بعض الأحداث، ومن ذلك التعاون في مجال الجهاد والفتوح، كما حدث بين ولاية الشام وولاية الكوفة في فتوح أرمينية، وكذلك بين البحرين والبصرة في فتوح بلاد

---

(١) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥١ ـ ١٥٤.

(٢) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ١٧٤؛ علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص ١٦٩.

فارس وكذلك التعاون في إصلاح بعض المفتونين، الذين جرى ترحيلهم من ولاية إلى أخرى في محاولة تأديبهم. وهكذا فإن مجال التعاون بين الولاة كان متنوعًا لخدمة الصالح العام للخلافة، وكما هو معروف، فإن الولاة قد اشتركوا في آرائهم أثناء اجتماع المدينة مع الخليفة لتدارس بوادر الفتنة، كما كانوا يجتمعون مع بعضهم في مواسم الحج؛ وبالتالي يمكن أن يستفيد بعضهم من خبرة بعض.

العدل والقضاء في خلافة عثمان رضي الله عنه.

العدالة مبدأ إسلامي وإنساني، به يحكم أمور المسلم في كل أحواله العامة والخاصة، وخصوصًا ما يتعلق بالآخرين وإذا تولى عملاً للناس، وفضيلة تدعو إلى تحقيقها النظم في كل زمان ومكان وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ

وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٨].

ولا شك أن العدالة ليست خاصة في القضاء فقط، بل هي توجيه عام لكل مسلم، وهي من صميم العمل الإداري، حيث إن المسؤول يجب أن يكون عادلاً مع موظفيه والمحتاجين له، وكل ذوي العلاقة بالعمل، وأصحاب المصالح المتصلة بعمله. والعدالة مطلوبة من كل إنسان حتى في إدارة عائلته وعمله الخاص، فكيف إذا كان صاحب منصب وعمل متصلاً بعامة الناس أو خاصتهم.

وقد كان رسول الله ﷺ يحذر من الظلم ومن ذلك قوله:

((اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[١] كما كان يأمر بتطبيق العدل وإقامة الحدود على الضعيف والقوى، ويحذر من التهاون في ذلك بقوله: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)).[٢]

كان رسول الله ﷺ يتولى القضاء بنفسه بين الناس،[٣] يتحرى العدل ويخشى تدليس الخصوم على بعض، ويحذر من الاعتداء على حقوق الآخرين ولو بحكم قضائي، ولذلك ورد أنه ﷺ: ((سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج٣/٩٩؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، ج٤/١٥١.

(٣) للتوسع حول الموضوع انظر: القرطبي، عبدالله محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله. الدوحة ـ قطر: مطابع قطر الوطنية (د. ت).

بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا)).[1]

وكان رسول الله ﷺ يقضي بين الناس كافة، ويعمل على أداء الحقوق إلى أهلها، سواء كانوا مسلمين أم غيرهم.

وقد حذر رسول الله ﷺ قضاة الجور بقوله: ((الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ، قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، قَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ حَقٍّ وَهُوَ يَعْلَمُ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى وَهُوَ لا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِحَقٍّ فَذَاكَ فِي الْجَنَّةِ)).[2]

وقد شرع رسول الله ﷺ كل ما من شأنه تنظيم العدل بتعيين القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة المنورة، فقد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج٣/١٠١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ج٣/٦١٢، ح رقم: ١٣٢٢.

بعث ﷺ عددًا من الصحابة للقضاء في منازعات الناس. وكان ﷺ يوجههم.[١] ولم يبق إقليم تابع لحكم الإسلام في عهده ﷺ إلا حدد فيه الأمراء ومن يقضي بين الناس ويقيم العدل فيهم.

ولا شك أن العدل يدفع الجميع للأمان والوقوف مع هذا النظام العادل الضامن للحقوق والمعين على الحياة الكريمة، والإنتاج الصحيح بعيدًا عن سرقة الناس، والاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.

وقد سار الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر ﷺ على ما رسمه رسول الله ﷺ للعدل بين الناس، وتنظيم شئون القضاء في المدينة في مختلف المناطق.

وتبعهم في ذلك عثمان ﷺ، فكان يقضي بنفسه في المدينة أحيانًا،[٢] ويجلس للقضاء في مسجد رسول الله

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٣؛
انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣٠٣.

ﷺ.[١] ويعين القضاة، فقد عين زيد بن ثابت ﷺ على قضاء المدينة، وأبا الدرداء ﷺ على دمشق، وكعب بن سور على قضاء البصرة، وأبا موسى الأشعري ﷺ على البصرة أيضًا، وشريح ﷺ على الكوفة، وثمامة ﷺ في صنعاء، وعثمان بن قيس بن أبي العاص ﷺ في مصر، كما كان يترك أمر القضاء للولاة أحيانًا كما فعل مع يعلى بن أمية ﷺ في اليمن.[٢]

وكان ﷺ حذرًا في إقامة الحدود، ومن ذلك حد السرقة على العبد الآبق، أو من سرق من مال سيده، في الوقت الذي كان يقيم الحدود على من كانت جنايته واضحة.[٣]

---

(١) انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣١٨.

(٢) أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥٨، ١٧٤.

(٣) انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٥١٠، ٥١٨، ٥١٩؛
وانظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

وكان يقتص من المعتدي باللطمة والسوط.[١]

وكان يقيم الحدود على القريب والبعيد دون تمييز.[٢]

وقد جلد الوليد بن عقبة ﷺ الحد مع أنه قريبه ومن أمرائه، حيث ((دعا عليًّا فأمره أنْ يجلدهُ فجلدهُ ثمانين)).[٣] وعثمان ﷺ يستشير بعض الصحابة ﷺ عندما يقضي وخصوصًا ما يشكل عليه؛ ليكون قضاؤه صائبًا. وممن يستشيرهم علي وطلحة والزبير ﷺ.[٤]

---

(١) انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٤٩.

(٢) مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص٧٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٢، ٢٠٣؛
ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٨.

(٤) انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان ﷺ، ص ٢٢١، ٢٩٩؛ انظر: د. عمر أنور الزبداني، الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ج٢/٤٨١ ـ ٤٨٦.

الفتوح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.[١]

قبيل وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان المسلمون قد تمكنوا من السيطرة على العراق ومعظم بلاد الشام ومصر وجزء من شمال إفريقيا. وكانت دولتا الفرس والروم ما تزالان قائمتين وتطمعان في استرداد البلاد المفتوحة من أيدي المسلمين، لذلك كان على المسلمين أن يبذلوا جهودًا عظيمة للمحافظة على تلك الفتوح، وفي الوقت نفسه محاولة فتح بلاد جديدة.

(أ) فتوح أفريقيا سنة (٢٧هـ).

كانت مصر وشمال أفريقيا تابعة لمملكة الروم. وقد تمكن المسلمون من فتح مصر، كما بدأوا التقدم في شمال إفريقيا أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[٢]

---

(١) معظم ما ورد في موضوع الفتوح مأخوذ من: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، الطبعة الرابعة ــ الرياض: دار كنوز اشبيليا ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

(٢) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٣٨.

وفي بداية خلافة عثمان ﷺ حاول الروم طرد المسلمين من مصر، فهاجموا الإسكندرية من البحر سنة (٢٥هـ)، وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وقتل من فيها من المسلمين، وأعادوا تحصينها وتجهيزها بالقوات ليواصلوا منها الزحف على المسلمين جنوبًا، إلا أن المسلمين لم يمهلوهم، فقاد عمرو بن العاص ﷺ جيوش المسلمين نحو الإسكندرية، قبل استعدادهم، وخاض في الطريق إليهم العديد من المعارك، ثم تمكن من محاصرة الإسكندرية، وافتتحها المسلمون عنوة بالقوة للمرة الثانية، وأعادوا تنظيمها والسيطرة عليها مرة أخرى فصارت قاعدة ينطلقون منها في الفتوح شمال أفريقيا.[1]

وقد تولى مصر سنة (٢٧هـ) عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ فأستأذن عثمان ﷺ في الفتوح في أفريقيا، فأذن له وأرسل له مددًا فيهم الحسن والحسين ابنا علي بن أبي

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص ٢٩٩.

طالب وعبدالله بن الزبير وغيرهم ﷺ. وقد سار عبدالله بن سعد بالجيوش الإسلامية حتى وصل إلى (بُرقة) ومنها إلى (طرابلس)،[1] حيث تحصن أهلها، فتركهم المسلمون ليلتقوا بجيش أعده الروم بقيادة "جريجوري"، يصل عدده إلى مائة ألف مقاتل، حيث خاض المسلمون معهم عدة معارك، كانت تنتهي دون حسم لأحد الفريقين، فأشار عبدالله بن الزبير على عبدالله بن سعد أن يقسم الجيش إلى نصفين، يقاتل بالأول طوال النهار فإذا أرهق الروم جميعهم ونصف المسلمون وذهبوا للراحة فاجأ النصف الثاني من المسلمون الروم وهم مرهقون وعلى غير أهبة للحرب وقاتلوهم، ونجحت تلك الخطة، وتمكن عبدالله بن الزبير ﷺ من قتل "جريجوري" قائد الروم، فانهزموا، ولما شاهد زعماء المدن المجاورة انتصار المسلمين رضوا بأن يدفعوا الجزية للمسلمين على أن يكفوا عنهم، وتمت بذلك سيطرة المسلمين على جزء كبير

(١) انظر إلى هذه المواقع في الخارطة المرفقة بكتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور).

من شمال أفريقيا وخصوصًا ما عرف بـ (ليبيا) حاليًا.[١]

بلاد النوبة سنة (٣٣هـ).

حاول المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ الامتداد جنوبًا في بلاد النوبة، تحت قيادة [عمرو بن العاص ﷺ]، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك فتركوا فتحها، إلى أن تولى الإمارة في مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ فسار إلى بلاد النوبة سنة (٣٣هـ) وقاتل أهلها عدة مرات، مما دفعهم إلى توقيع اتفاقية مع المسلمين سميت معاهدة (البقط)، يدفع أهل النوبة بموجبها جزية سنوية للمسلمين.[٢]

وقد استمرت هذه الاتفاقية تحدد العلاقة بين الخلافة

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٩؛ اليعقوبي، تاريخه، ج١٦٥/٢؛ الطبري، تاريخه، ج٤٨/٥؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٣٥٩/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٣١٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣٠٩/٥.

الإسلامية وبلاد النوبة مدة تقرب من ستة قرون إلى أن أسلم أهل تلك البلاد ورفعت عنهم الجزية.[١]

(ب) فتح أرمينية سنة (٢٩هـ).

أصدر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أمرًا إلى عامله على الشام [معاوية بن أبي سفيان ﷺ]، بأن يوجه [حبيب بن مسلمة الفهري ﷺ] مع جيش المسلمين لفتح أرمينية. وقد توجه حبيب ﷺ ومعه ثمانية آلاف مسلم من أهل الشام، واستطاع أن يفتح بهم بعض المواقع في أرمينية.[٢] ثم قام الأرمن وبطارقتهم بالاستعداد من جديد لمواجهة المسلمين، ووصلتهم إمدادات من الروم ومن بلاد الخرز، فاضطر حبيب ﷺ إلى طلب المدد من معاوية بن أبي سفيان ﷺ في الشام ومن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، فأرسل معاوية ﷺ جيشًا من الشام قوامه ألفًا رجل لنجدة حبيب ﷺ، كما

(١) انظر: د. مصطفي مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٢؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٠٨.

أصدر عثمان ﷺ أمرًا إلى والي الكوفة [سعيد بن العاص ﷺ]، يأمره بإمداد حبيب بجيش عليه [سلمان بن ربيعة الباهلي ﷺ]، وهو أحد قواد المسلمين ذوي الخبرة بهذه المنطقة وقتال أهلها، وقد سار سلمان ﷺ لمساعدة حبيب ﷺ ومن معه من المسلمين، فتمكن حبيبٌ من مباغتة جموع الأرمن والروم وأن يقتل قائدهم وينتصر عليهم قبل وصول المدد، وبعد وصول سلمان الباهلي ﷺ ومن معه تقاسم مع حبيب جبهات القتال، فكان أهل الكوفة مع سلمان ﷺ يفتحون في شرق أرمينية، وأهل الشام مع حبيب ﷺ يفتحون في غربها، حتى تمكن المسلمون من استكمال فتح أرمينية، ووصلوا إلى شواطئ البحر الأسود وبلاد القوقاز. وتمكنوا من ضم تلك البلاد إلى الخلافة الإسلامية.[1]

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠١؛ ابن سعد، الطبقات، ج٦/١٣١؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١١١.

(ج) الفتوحات البحرية.

لم يكن العرب وهم عماد الجيش الإسلامي في فتوحه الأولى أهل خبرة في البحر وركوبه، مقارنة بغيرهم من الأمم المجاورة لهم كالفرس والروم. وقد حاول معاوية بن أبي سفيان ﷺ أن يستأذن من عمر بن الخطاب ﷺ في ركوب البحر بالمسلمين وغزو الروم عن طريقه، فاستوصف عمر ﷺ من معاوية ﷺ عن البحر وراكبه، فوصفه معاوية ﷺ وصفًا دقيقًا تخوف منه عمر ﷺ؛ وبالتالي لم يأذن لمعاوية ﷺ ولا لغيره في الغزو البحري.(١)

وقد حاول الروم استغلال البحر لإيقاع ضربات متكررة بالمسلمين في كل من الشام ومصر، وخصوصًا المناطق الساحلية، حيث أخذوا يغيرون على المسلمين من سفنهم البحرية ويعودون إلى البحر مرة أخرى.(٢) فأحس المسلمون أثناء خلافة عثمان ﷺ بضرورة وجود أسطول إسلامي

(١) انظر: إلى هذا الوصف في ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٥.
(٢) انظر: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ص ١٤٢.

قوي، يعمل على المحافظة على الثغور الساحلية الإسلامية ضد هجمات الروم بل، ويقوم بالفتوح في أماكن جديدة في جزر بحر الروم (الأبيض المتوسط).[1]

وبعد دراسة متأنية من قبل عثمان ﷺ وأمرائه في الشام ومصر، عمل المسلمون في المنطقتين على بناء السفن، واستعانوا بخبرة أفراد الروم في الشام والقبط في مصر، مقابل أموال يدفعونها لهم. وبدأت نواة الأسطول الإسلامي تتكون. وقد حاول الروم عرقلة المسلمين عن بناء أسطولهم، فدسوا بعض المخربين الذين تسللوا إلى دار صناعة السفن في طرابلس وفي الإسكندرية وتمكنوا من إحراقها، وما في داخلها من سفن، ولكن هذا لم يثن عزم المسلمين عن إكمال مشروعهم، حتى أصبحت سفن المسلمين جاهزة في سواحل الشام، وفي الإسكندرية، وكونت مجتمعة أسطولاً إسلاميًا لم يكن في حجم أسطول الروم البحري إلا أنه كان كافيًا للقيام بمهمة

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧، ١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٦٤.

الدفاع عن السواحل الإسلامية في وجه سفن الروم، وللقيام بفتوح جديدة في البحر.[١]

فتح قبرص سنة (٢٧هـ).

بعد أن كمل استعداد الأسطول البحري الإسلامي في الشام استأذن أمير الشام معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخليفة عثمان ﷺ في فتح قبرص، فوافقه عثمان ﷺ واشترط أن يكون معاوية ﷺ في الغزو شخصيًّا، وأن يحمل معه أهله، وألا يجبر أحدًا من المسلمين على ركوب البحر، وأن يكون المجاهدون في هذه الغزوة بطوعهم واختيارهم.[٢] وكانت كل هذه الاحتياطات التي عملها عثمان ﷺ نتيجة لقرب عهد المسلمين من خوض البحار، وخوف المسلمين

---

(١) انظر: د. السيد عبدالعزيز السالم و د. أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ج ١، البحرية الإسلامية في مصر والشام. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧، ١٥٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ص ٣٤٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٦.

عمومًا من هذه التجربة الجديدة عليهم، وخوف عثمان ﷺ خصوصًا على المسلمين. وقد تطوعت جموع كثيرة من المسلمين لهذه الغزوة، فيهم جمع من الصحابة ﷺ، وعلى رأسهم أبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان وغيرهم ﷺ.[١]

وقد خرج معاوية بهذا الأسطول من سواحل الشام سنة (٢٧هـ)،[٢] ووصل بالمسلمين إلى قبرص، فطلب أهلها الصلح، وأقروا بدفع الجزية، فوافقهم المسلمون واشترطوا أن يكونوا عونًا للمسلمين وألا يعينوا الروم ضد المسلمين أبدًا،[٣] ولكن أهلها أعانوا الروم وكشفوا لهم عورات

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٩؛ وانظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٠؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٣١٧.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، وقد جعلها سنة ٢٨هـ، ص ١٦٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨، ١٥٩؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٣١٧.

المسلمين، فغزاهم معاوية ﷺ مرة أخرى بأسطول كبير سنة (٣٣هـ) وفتحها عنوة.[١]

معركة ذات الصواري سنة (٣١هـ).

حاول الروم التعويض عن خسائرهم وهزائمهم المتكررة أمام المسلمين،[٢] فجمعوا قوات بحرية كبيرة زادت على خمس مئة سفينة، وخططوا لغزو الإسكندرية، وخرجوا بأسطولهم الكبير يقودهم [قسطنطين بن هرقل] وهو إمبراطور الروم وملكهم. وقد وصلت الأخبار إلى المسلمين بتحرك هذا الأسطول. وكانت أساطيل المسلمين على أهبة الاستعداد لمثل هذا اللقاء فتحركت في وقت واحد أساطيل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأساطيل مصر يقودها عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ والتقت أساطيل المسلمين والروم وسط البحر الأبيض المتوسط في منطقة تقع إلى الشمال من الإسكندرية وإلى الغرب من بلاد

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهد الراشدين)، ص ٤١٥.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٧.

الشام، وكان عدد سفن المسلمين قرابة (٢٠٠) سفينة، وهو عدد قليل مقارنة بقوات الروم التي زادت عن خمس مئة سفينة. وكان يقود المعركة من جانب الروم ملكهم [قسطنطين] ومن جانب المسلمين أمير مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح ﷺ. وقد بدأت المعركة بتبادل الرمي بالنبال ثم استخدمت الحجارة، وبعد ذلك عمل المسلمون على ربط سفنهم بسفن الأعداء، فتمكنوا من قتال الروم وجهًا لوجه بالسيوف والخناجر، واشتد القتال ووقع آلاف القتلى من الطرفين، واختلط الحابل بالنابل، وحاول الروم اختطاف سفينة قائد المسلمين [عبدالله بن سعد ﷺ] بالخطاطيف والسلاسل، إلا أن أحد شجعان المسلمين تمكن من قطع السلسلة ونجا عبدالله ﷺ من يد الأعداء. واستمرت المعركة على أشدها إلى أن نصر الله المسلمين.[1] وجرح [قسطنطين] ملك الروم وقائدهم في المعركة والتجأ إلى جزيرة صقلية مع بقية الفارين من

(١) الطبري، تاريخه، ج ٥/٧٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٣ ـ ١٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٥٨.

جنوده، وقتل بعد ذلك هناك على يد جنده من الروم الذين اعتبروه مسؤولاً عن الهزيمة.[١]

وكان من نتيجة هذه المعركة أن أصبحت السيطرة البحرية للمسلمين كما كانت لهم السيطرة البرية، وغدا بحر الروم بحيرة إسلامية، وساعدت السفن التي غنمها المسلمون في تلك المعركة في تقوية الأسطول الإسلامي، وقلت بعد ذلك غزوات الروم البحرية التي يهددون بها السواحل الإسلامية في مصر والشام وغيرها.

(د) فتوح الشرق والقضاء على مملكة الفرس.

كانت الفتوحات الإسلامية في الشرق خلال خلافة عثمان ﷺ تنطلق من الكوفة والبصرة، ولكل ولاية منهما جيوشها وقيادتها الخاصة. وقد انطلقت الجيوش من الكوفة إلى الشمال وإلى الشرق، إما لتثبيت الفتوح السابقة وتأديب العصاة ومن ينقضون الصلح والمعاهدات

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١٩/٣.

من أهل البلاد المفتوحة أو لفتح بلدان جديدة، فقد غزا [الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه] كلاً من (أذربيجان) و(الديلم) حتى وصل إلى بحر قزوين.(١)

وبعد عزل الوليد بن عقبة رضي الله عنه عن الكوفة وتعيين [سعيد بن العاص رضي الله عنه] مكانه غزا أهل الكوفة (خراسان) يقودهم سعيد بن العاص رضي الله عنه، وصاحبه في هذه الغزوة مجموع من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم. ومن خراسان توجه جند الكوفة إلى (جرجان) وفرضوا عليهم الجزية، كما وصلت طلائعهم إلى (طبرستان) وفرضوا الجزية على أهلها وأدبوهم بعد انتقاضهم، كما انطلقت جيوش المسلمين من البصرة إلى الشرق يقودهم [أبو موسى الأشعري رضي الله عنه] ففتحوا (همذان)

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨، ١٦٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهد الراشدين)، ص٣٢٤.

وبلاد (الري) بعد أن نقضت العهد، واستمروا في إخضاع البلاد التي انتقضت حتى وصلوا إلى (سابور).[1]

وفي سنة (٢٩هـ)، ولى عثمان ﷺ على البصرة الأمير الشاب [عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ]، في وقت كانت فيه معظم بلاد فارس قد ثارت ونقضت عهودها مع المسلمين، بتأثير من يزدجرد ملك الفرس الذي كان يدور في شرق في بلاد فارس يحرضها على الخروج، فسير عبدالله بن عامر ﷺ الجيوش المختلفة من البصرة قاد بعضها بنفسه، حيث أخذ المسلمون يعيدون ما انتقض من بلاد فارس، ويطاردون ملكهم، من موقع إلى آخر، فتمكن المسلمون بقيادة عبدالله بن عامر ﷺ من الاستيلاء على مدن (مرو) و(سرخس) و(كابل) سنة (٣١هـ)، كما أن بعض قواد عبدالله ﷺ قام بإعادة فتح

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦١، ١٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٣٢٦؛ وانظر: مواقع تلك المدن في الخارطة المرفقة في كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور).

(كرمان) و(سجستان)، كما تمكن عبدالله بن عامر ﷺ من فتح (خراسان) وعين عليها الأمراء، وفتح (نيسابور) بعد قتال مرير، حيث رضي أهلها بدفع الجزية، وفي الوقت نفسه قام بتأديب العصاة، وإعادتهم إلى صف الخلافة الإسلامية.(١)

وقد بعث عبدالله بن عامر بن كريز ﷺ بالأحنف بن قيس إلى (بلخ) سنة (٣١هـ)، فتمكن من فتحها بعد معارك عديدة، واتجه بجيشه شرقًا حتى وصل إلى (خوارزم)، على نهر جيحون، ولكنه لم يتمكن من فتحها.(٢)

ونتيجة لهذه الفتوح ولقضاء عبدالله بن عامر على ثورات فارس أصبح [يزدجرد] آخر ملوك الفرس يعيش شريدًا

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٥.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٦؛ اليعقوبي، تاريخه، ص١٦٦، ١٦٧.

طريـدًا ، يتنقـل مـن منطقـة إلى أخـرى إلى أن قـام بعـض الفرس بقتله للتخلص منه.[١] وبموته انتهت دولة الفرس التي حاولـت أن تقـف حـائلاً دون انتشـار الإسـلام فـترة طويلـة ، ويـئس الفـرس مـن اسـتعادة الأمـاكن المفتوحـة مـن يـد المسلمين، ولم يبق لهم نظام يقوم بذلك.

وهكـذا نـرى أن الفتوحـات في خلافـة عثمـان رضي الله عنه تركزت بالدرجة الأولى على المحافظة على المناطق سـابقًا ، وهـي مهمـة صـعبة ، حيـث بـذل المسـلمون، وخاضـوا عـدة معـارك حربيـة خصوصًـا في فـارس، إضـافة إلى معـاركهم مع الروم، في مصر وفي سواحل الشام، وفي البحر من أجل المحافظـة علـى مـا سـبق فتحـه ، كمـا فتحـت العديـد مـن المنـاطق الجديـدة وخصوصًـا في خراسـان وبـلاد الأفغـان وأرمينية ، وقبرص وشمال إفريقيا وبلاد النوبة.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١١، ٣١٣؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥٨.

أحداث الفتنة.[١]

تعتبر الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان ﷺ من أخطر الأحداث التي مرت بها الأمة، وتركت من الآثار ما هو قائم إلى يومنا الحاضر.[٢]

وقد جاء الخبر عنها مبكرًا من رسول الله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى، عن ابن عمر ﷺ قال: ((ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فقال: يقتل فيها هذا مظلومًا لعثمان)).[٣]

روى من شهد أبا هريرة ﷺ وعثمان ﷺ محصور في الدار واستأذنه في الكلام فقال أبو هريرة ﷺ: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة قال: قلنا يا رسول الله: فما

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٩٩ ـ ٣١٤.

(٢) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/ ٦٣٠، ح رقم: ٣٧٠٨.

تأمرنا قال: عليكم بالأمير وأصحابه وأشار إلى عثمان)).[١]

لا شك أن المتغيرات الاجتماعية الناتجة عن ظهور أجيال جديدة، واختلاط بالأعاجم، وأبناء المسلمين من بناتهم، وتوسع المجتمع المسلم وظهور الترف والثراء، إضافة إلى العصبية القبلية، ووجود النفاق بين بعض من رجعوا ظاهرًا إلى الإسلام بعد حروب الردة، مع التحركات السرية للسبأية ومن على شاكلتهم. كل هذا كان له دور في الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان ﷺ.[٢]

ومن الملاحظ أن بوادر الفتنة كانت بالدرجة الأولى مقرونة بالنقمة على الولاة. وقد بدأت تلك البوادر تظهر في الكوفة خصوصًا في أيام عمر بن الخطاب ﷺ، حينما

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج١٠٥/٣، ١٠٦.

(٢) انظر: علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ص ٣٧٥.

تذمر من أهل الكوفة لكثرة شكاياتهم لولاتهم،[١] وحينما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة كان يحس بخطر الفتنة ويتوقعها؛ نتيجة لمعرفته بأسبابها واستقرائه للأحداث. ويظهر ذلك من كتاب عثمان رضي الله عنه إلى العامة في الأمصار بعد مبايعته مباشرة، فقد روى الطبري في أحداث سنة (٢٤هـ) وبعد بيعة عثمان رضي الله عنه مباشرة. كان كتابه إلى العامة: ((أما بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ﷺ قال: الكفر في العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا)).[٢]

ومن هذا النص يتبين لنا توقع عثمان رضي الله عنه للفتنة بعد أن

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٧٢.

(٢) تاريخه، ج٥/٤٥.

انتشرت البدعة التي من أسبابها ـ كما قال ـ تكامل النعم وبلوغ الأولاد من السبايا، وعدم فهم القرآن من الأعراب والأعاجم. وقد كان هذا التشخيص من عثمان ﷺ قبل الفتنة في محله، ويؤكد ذلك النقاش الذي دار فيما بعد بين عثمان ﷺ وبين أصحاب الفتنة الذين حاولوا الاستدلال بالآيات القرآنية في غير مواضعها.[1]

ومن الملاحظ أن الفتنة لم تقع مصادفة، بل إن هناك رجالاً فيهم خبث خططوا لها واستغلوا الظروف العامة للأمة والفرص المناسبة لتحقيق أهدافهم، وكان ضمن التخطيط الطعن على الخليفة وعلى الأمراء وإصدار الإشاعات عنهم، ومما قال ابن سبأ[2] لأتباعه: ((إن عثمان أخذها بغير حق ـ يعني الخلافة ـ وهذا وصي رسول الله ﷺ ـ يعني عليًّا ـ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١١٢٩/٣، ١١٣٣؛ الطبري، تاريخه ج١٠٧/٥.

(٢) انظر: سليمان بن حمد العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص ١٤٩.

بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم أعوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس)).[1]

ومن هذا النص يتبين أن الطعن على عثمان ﷺ وولاته وانتقادهم لم يكن مجرد مصادفة، وإنما هو أمر قضي

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٨، ٩٩.

بليل، وخطط له من قبل خبراء الفتنة وزعمائها من أمثال عبدالله بن سبأ وأعوانه. الذين كان لهم نشاط سري، واستقطاب للأتباع في البصرة والكوفة ومصر.(١)

وقد كان الطعن على الولاة يتخذ أشكالاً متعددة وطرقًا مختلفة كلها تؤدي إلى التشكيك في عثمان ﷺ وفي نزاهته بل وحتى في دينه، كما ألمح إلى ذلك بعض الباحثين.(٢)

والغريب في الأمر أن المصادر التاريخية تناقلت هذه الاتهامات، وفي الوقت نفسه تحدثت عن ذلك التخطيط الرهيب من قبل السبئية في اتهام الولاة ظلمًا وفي إذاعة

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٤.

(٢) مثال ذلك ما قاله راضي عبدالرحيم: ((ومهما يكن من اختلاف، فليس من شك في أن عليًّا لم يكن يستطيع أن يستبقي عمال عثمان، فإن دينه يمنعه من ذلك؛ لأنه طالما لام عثمان على تولية هؤلاء العمال وطالما أنكر على هؤلاء العمال سيرتهم في الناس))، النظام الإداري والحربي، ص ١٠٦، (وكأن دين عثمان يختلف عن دين علي؟!).

الأخبار وتلفيقها عنهم، وكان ممن جمع بين تلك الروايات الطبري في تاريخه.

وإني لأعجب كثيرًا ممن يتناقلون اتهام عثمان إجمالاً دون أن يبحثوا في تفصيلات تلك التهم ويدرسوا حالة كل والٍ اتهم فيه عثمان رضي الله عنه، سواء في العزل أم في التعيين دراسة مستقلة ومتأنية.

وقد اختلفت تلك التهم، فمنها ما اتهم به عثمان رضي الله عنه إجمالاً ومنها ما اتهم به عثمان في آخر أيامه،[1] بينما اتهمه بعضهم حتى بالتخطيط والتوطيد لتولية أقربائه ولو من

(١) يقول صبحي الصالح: ((وسار عثمان سيرة عمر، وإن كان في آخر أيامه قد ضعف عن الإدارة القوية الحازمة، وتأثر بعشيرته الأقربين إليه فتذمرت الرعية في مختلف الولايات... حتى إذا جاء علي بادر إلى عزل عمال عثمان منعًا لاستمرار التذمر والشكوى))، النظم الإسلامية، ص ٣١٠؛ ويقول مولوي حسيني: ((كان الخلفاء حتى منتصف عهد خلافة عثمان يعنون أشد العناية باختيار الولاة... حتى منتصف عهد عثمان، إذ أخذت بطانته بعد ذلك في اختيار عماله على أساس العصبية والمحاباة مما أدى إلى اشتعال الفتنة))، الإدارة العربية، ص ٢٤٤.

الرضاعة على حساب الأكفياء،[1] وتجاهل الصحابة أولي السابقة في الإسلام.

---

(١) يقول ابن أعثم الكوفي: ((وكل يذكر أنه لما صار الأمر إلى عثمان بن عفان واجتمع إليه الناس أرسل إلى عمال عمر بن الخطاب فأقرهم على أعمالهم وجعل يقدم أهل بيته وبني عمه من بني أمية فولاهم الولايات))، الفتوح، ج٢/١٤٩. وقد تحامل ابن أعثم الكوفي على عثمان في مواضع كثيرة من كتابه آثرت عدم ذكرها وتقع بين ص ١٥٠ حتى١٦٠، وكذلك في صفحات لاحقة يظهر عثمان بمظهر الظالم...؛

ويقول صبحي محمصاني: ((ويستثنى من هذا التحوط ما روي عن عثمان بن عفان من توليته كثيرًا من أهله وأقاربه. فلذا نقم الناس عليه وكان ذلك من المطاعن التي أثيرت ضده، فأدت مع غيرها إلى اغتياله))، تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، ص ٤٥؛

ويقول راضي عبدالرحيم: ((وكان عمر قد ترك عمرو بن العاص على مصر فأقره عثمان كما أقر غيره وقتًا ولم تكد السنة الأولى تمر حتى تمهد الطريق لتولية عبدالله بن سعد بن أبي السرح عليها إذ كان أخًا له من الرضاعة))، النظام الإداري والحربي، ص ١٠٦؛

ويقول توفيق اليوزبكي: ((وسار عثمان سيرة عمر في أيامه الأولى، إلا أنه في أواخر أيامه اعتمد على عشيرته وأقربائه فتذمرت الرعية في مختلف الولايات وأدت إلى الفتنة التي انتهت بمصرعه))، دراسات في النظم العربية والإسلامية، ص ١٠٤؛=

وهؤلاء يتناسون من كان يتولى لعثمان ﷺ من الصحابة، ويتناسون أيضًا عزوف كثير من الصحابة ﷺ عن الولاية وكبر سن الكثير منهم ممن عاصر الرسول ﷺ، فعثمان ﷺ نفسه قد تجاوز الثمانين في تلك الأيام، والولاية بحاجة إلى شباب يستطيعون الجهاد ومصاحبة الجيوش كعبدالله بن عامر ﷺ وغيره ممن أثبتوا مقدرتهم

=كما يقول محمد الملحم: ((كما عزل عن مصر عمرو بن العاص وجعل عليها أخاه من الرضاعة [عبدالله بن سعد بن أبي السرح] ولم يكن هناك من سبب في عزل عمرو إلا خلافه مع عبدالله بن سعد بن أبي السرح والي الخراج في مصر، فكأن عثمان نصر عبدالله على عمرو وكان يمكنه عزل الرجلين وعمرو أرجح في الميزان من عبدالله بن سعد، وهكذا سار عثمان في بقية الأمصار فكان يقوم على تقديم أهله وأقاربه وعشيرته مهما يكن كفاية هؤلاء في الإدارة والفتح، إلا أنه يوجد من الصحابة وغيرهم من هو أكفأ منهم أو على الأقل من لا يقل عنهم كفاية مع السابقة وحسن السيرة ورضاء المسلمين، وكان يمكن أن يجعل لغيرهم نصيبًا في الولاية معهم، ولكنه ربما رأى أن أمور الحكم تستقيم له. فأهله أضمن أن يعينوه ويخلصوا له ولكن تطور الأمر إلى غير ما أراد))، تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، ص ٢٠٧.

على تحمل المسؤولية والقيام بواجباتها. كما أن الرسول ﷺ نفسه كان يولي الشباب أحيانًا كأسامة بن زيد ﷺ وغيره، مع وجود شيوخ الصحابة تحت قيادته كعمر وغيره ﷺ، وكذلك كان أبوبكر وعمر ﷺ يولون الشباب مع وجود الشيوخ.

ولم يكتف هؤلاء باتهام عثمان ﷺ بتولية أقاربه، بل اتهموا أولئك الولاة بالانشغال في أمورهم وأطماعهم الخاصة،[1] دون أن يدللوا على صحة ما يقولون.

ويذهب البعض إلى أن عثمان ﷺ وولاته معه قد اعتادوا

---

(١) يقول بدوي عبداللطيف: ((أما من الناحية الإدارية فقد استبعد عثمان بعض شيوخ الصحابة من عمال عمر وكانوا أكثر الرجال يقظة وأشدهم أخذًا برقاب المفسدين وأسدّهم سياسة للرعية كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بمن ليسوا في مقدرتهم وكفايتهم من بني أمية ذوي قرباه ولم يأخذهم بأوضاع عمر فاشتغل بعض كبار العمال بأطماعهم في ولايتهم عن النظر في مصالح الرعية والسهر على راحتها والتفرغ لأمورها، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني، ص ٣٣.

أن يمدوا أيديهم إلى أموال المسلمين ويتصرفوا بها في غير حقها.[1] وليت هؤلاء حين يتهمون يدعمون ما يصدرونه من اتهامات معينة وقعت من أولئك الولاة أو من عثمان رضي الله عنه حتى يؤيدوا ما ذهبوا إليه، ولكن على ما يبدو فإنهم يتناقلون تلك العبارات من بعضهم البعض دون تمحيص في

(١) يقول راضي عبدالرحيم: ((ولكننا نرى أن عثمان قد سمح لولاته الذين عينهم في الولايات أن ينهجوا نهجه في الناحية المالية، فمدوا أيديهم إلى أموال المسلمين بحجة التقرب إلى الناس بالأموال والعطايا فأثار هذا الحقد عليه وقوى المعارضة ضده))، النظام الإداري والحربي، ص ١٣٥؛
ويقول ابن طباطبا في الفخري عند الحديث عن قتل عثمان: ((وسببه أن ناسًا من المسلمين نقموا عليه تجاوزه بطريقة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من التقلل والكف عن أموال المسلمين وكان هو قد صرف جملة منها على أقاربه ووسع على عياله وأهله))، ص ٩٧.
ويقول طه حسين: ((وواضح أن عمال عثمان قد ساروا في المال سيرة إمامهم فأعطوا واقترضوا واكتوى بعضهم بالدين، ثم يقول: وإذا أطلق يده وأطلق العمال أيديهم في الأموال العامة على هذا النحو لم يكن غريبًا أن يحتاج الجند إلى المال فلا يجدون))، الفتنة الكبرى ـ ١ ـ عثمان، ص ١٩٤.

تلك الأحكام أو النظر فيها بعين المحقق والبحث عما يسندها من أدلة، وقد حاول بعضهم التماس عذر لعثمان ﷺ بأنه كان قد كبر سنة وعجز عن الإدارة. وهؤلاء يحاولون التخفيف من اتهاماتهم لعثمان ﷺ بدعوى التماس العذر له،[1] بينما اتهم بعض الباحثين عثمان ﷺ بأنه لم تكن له المقدرة السياسية التي تمكنه من القيام بأعباء الخلافة كما كانت لأبي بكر وعمر ﷺ من قبله،[2] وهذه الاتهامات أو الإدانات الظاهرة والمستترة التي ذكرنا

---

(١) يقول أنور الرفاعي: ((أما في عهد عثمان فقد ضعفت الإدارة في النصف الأخير من حكمه لشيخوخته مما أدى إلى تذمر المسلمين بالولايات فشقوا عصى الطاعة وأضرموا نار الفتنة التي انتهت بقتله))، النظم الإسلامية، بيروت: دار الفكر، ص ٧٤.

(٢) يقول محمد ضياء الدين الريس: ((ولكن عثمان ﷺ ولا شأن لنا الآن بأن نتحدث عن تقواه وورعه وسمو إيمانه وعظم جهاده، مما يشهد له كله ببالغ الفضل، ولكننا نتكلم عن الوجهة السياسية ـ فقط ـ لم يكن من طراز هؤلاء الساسة الحكماء أو الإداريين الحازمين بل كان دونهم بمرتبة أو مراتب))، النظريات السياسية ط٧ ـ القاهرة: دار التراث ١٩٧٩م، ص ٥٠.

نماذج منها إنما هي في مجملها تركيز على اتهام عثمان ﷺ وولاته، وهي تترك انطباعًا عامًا لمن يقرؤها بأن ولاة عثمان ﷺ لم يكونوا على دراية بأمور ولاياتهم ولم يقوموا بأعبائها، بينما تفيدنا دراسة تاريخ كل ولاية وتاريخ كل والٍ على حدة ـ كما أسلفنا ـ ببطلان هذه التهم، إذ إن الأحداث التي وردت في المصادر التاريخية تخالف تلك الاتهامات التي تناقلها بعض الباحثين والمؤلفين. ونحن حين ندقق في تلك التهم نشير إلى ما ذكرناه سابقًا من ضرورة الحديث عن كل من ولاة عثمان ﷺ الذين اتهم فيهم، فمعاوية بن أبي سفيان ﷺ الذي اتهم عثمان ﷺ بتوليته لقرابته معه قد عمل للرسول ﷺ ثم لأبي بكر وعمر ﷺ، وكان عاملاً على معظم الشام لعمر بن الخطاب ﷺ قبل عثمان ﷺ فأقره عثمان ﷺ على ولايته حين بويع.[1]

---

(١) يقول الدكتور علي حسني الخربوطلي: ((وفي ولاية عثمان كثرت الولايات بتكاثر الفتوح، وكان والي الشام حينئذ معاوية بن أبي سفيان، وقد استغل ثقة عثمان فيه وتساهله فأخذ يعين الموظفين=

وأما عبدالله بن عامر ﷺ، فقد ولاه عثمان ﷺ بعد عزل أبي موسى ﷺ عن البصرة بناء على طلب أهلها.

وأما الوليد بن عقبة ﷺ فسبق أن ولاه الرسول ﷺ ثم أبوبكر وعمر ﷺ. وكان أميرًا في النواحي الواقعة شمال الكوفة وقائدًا لبعض جيوشها، فولاه عثمان ﷺ بعد عزل سعد بن أبي وقاص ﷺ عنها. وكان محبوبًا إلى أهل الكوفة. وقد اتهمه بعض أهل الكوفة بشرب الخمر فجلده عثمان ﷺ وعزله بظاهر الشهادة. ونحب أن نذكر هنا أن عزل الوليد ﷺ عن الكوفة قد أغضب بعض أهلها فغضبوا على عثمان ﷺ لعزله الوليد ﷺ[1] وتعيين سعيد

=والعمال المختلفين في مدن الشام الواقعة ضمن ولايته مثل حمص وقنسرين والأردن وفلسطين، كما عين القضاة أيضًا))، الإسلام والخلافة، ص ٩٣، ويبدو أن الدكتور الخربوطلي تصور أن تعيين معاوية للعمال ضمن حدود ولايته وترتيبه لأمور ولايته الإدارية والقضائية تساهل من عثمان ﷺ وكان الأجدر به أن يعد ذلك من حسنات عثمان ومعاوية ﷺ في الوقت نفسه بدل أن يعتبرها مثالب وسيئات.

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٤٥.

بن العاص ﷺ عليهم.

وأما التهم الموجهة ضد سعيد بن العاص ﷺ فهي من رواية الأشتر النخعي؛ بدعوى أنه سمع سعيد بن العاص ﷺ يطلب من عثمان ﷺ إنقاص عطاء أهل الكوفة، فثار الناس عليه ولم يثبت أنهم اتصلوا بعثمان ﷺ لأجل شكاية سعيد ﷺ،[1] ولا يستبعد تلفيق الأشتر لهذه القصة.

كما كان ضمن احتجاجات أصحاب الفتنة على عثمان ﷺ قيامه بعزل بعض الولاة، فقد انتقدوا عزل عثمان ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ، وقد كان أهل الكوفة قد طلبوا عزل سعد ﷺ أيام عمر بن الخطاب ﷺ فعزله عمر ﷺ، ثم نشب بينه وبين ابن مسعود ﷺ خلاف فعزله عثمان ﷺ. والغريب أن سعدًا ﷺ نفسه لم يغضب

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٨٣.

لهذا العزل.[١] وقد كانت العلاقة بين عثمان وسعد ﷺ ـ حتى بعد عزله ـ طيبة جدًا لم تشبها شائبة. وكان عثمان ﷺ يستفيد منه في كثير من الأمور، وقد وقف سعد ﷺ بنفسه مع عثمان ﷺ في محنته الأخيرة أثناء حصاره ومقتله. وكان يسب الثّوار ويشارك في الدفاع عن عثمان ﷺ[٢]... فأي دعوى تلك التي ادعوها بأنهم كانوا ناقمين على عزله.

وكذلك ما قيل من عزله أبي موسى الأشعري ﷺ، فقد ذكرنا أنه نشب نزاع بينه وبين جند البصرة فطلب بعضهم عزله، وكان في عزله تكريمٌ له[٣] لا إهانة، كما يدعي بعضهم.

---

(١) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٦٥.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٤، ١١٢٥.

(٣) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٨.

وعلى هذا الأساس فإن هذه السياسة التي اتبعها عثمان ﷺ في العزل والتعيين إنما كان يهدف منها مصلحة الأمة أولاً. وقد بالغ طه حسين في التشكيك في إجراءات عثمان ﷺ سواء عزل أم ولى، وادعى أنه لم يراع الذمة في ذلك،[1] وما ذكره طه حسين بعيد عن الصواب، ولم

(١) يقوم طه حسين: ((وكان عثمان يعلم حق العلم أن عبدالله بن عامر شاب حدث لم تتجاوز سنه الخامسة والعشرين بعد، وأن في المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب من هم أكبر منه سنًا وأكثر منه تجربة وأقدم منه سابقة في الدين، وكان عثمان يعلم أن الله قد أنزل قرآنًا في عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وأن النبي ﷺ كان قد هدر دمه يوم الفتح فلم تكن حال الناس مستورة، وإنما كانت أظهر من أن تخفى على مثل عثمان. وظاهر كذلك أن قول أهل السنة والمعتزلة أن عثمان عزل من عماله من ظهر له فسقه أو فساد أمره لا يستقيم فعثمان لم يعزل الوليد إلا حين لم تكن له مندوحة عن عزله... ثم يقول: وليس صحيحًا كذلك أن عثمان عزلهم حين استبان له اعوجاج سيرتهم... ثم يقول: فسياسة عثمان في العزل والتولية لم تكن ملائمة للعهد الذي أعطاه وليس من شك في أن الذين ضاقوا بهؤلاء العمال وثاروا عليهم ونقموا من عثمان توليتهم لم يكونوا مخطئين)، الفتنة الكبرى ـ ١ ـ عثمان ص ١٨٨، ١٨٩. إن قتلة عثمان في نظره ليسوا مخطئين.=

يسلك فيه نهجًا علميًّا كما رأينا، وهو لم يعزُ ما كتبه إلى أي مصدر تاريخي يعتمد عليه، فمنهجه في قضية عزل عثمان ﷺ لبعض ولاته كمنهجه غير العلمي في إدانته للوليد بن عقبة ﷺ.

فأين الذمة فيما كتبه طه حسين عن عثمان ﷺ؟ أم أن ذمة طه حسين خير من ذمة عثمان ﷺ كما يظن البعض.

ومع ذلك يأتي أناس بعده ويعتمدون على كتابته في

=ويقول أيضًا: ((وقد نقم المسلمون من عثمان سياسته في الإدارة وسيرته في التولية والعزل، فقالوا: إنه ولى أمور المسلمين جماعة من الأحداث لا يصلحون لها ولا يقدرون عليها ولا ينصحون للدين ولا يخلصلون لله ورسوله، وعزل أصحاب النبي ﷺ عن الأمصار ولم يسمع لوصية عمر، فجعل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس. وقد عوتب في ذلك فلم يعتب حتى ظهر فسق عمّاله وانحرافهم عن الجادة فلم يعزل أحدًا منهم إلا مضطرًا فهو قد ولى الوليد على الكوفة مكان سعد بن أبي وقاص وولى عبدالله بن عامر مكان أبي موسى الأشعري وولى عبدالله بن سعد بن أبي السرح مكان عمرو بن العاص، وآثر معاوية بالشام كله))، الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ ص ١٨٧.

الوقت الذي نعد فيه آراءه من الناحية المنهجية أحكامًا لا تستند إلى أصول موثقة أو مصادر معتبرة، فكيف يعتمد عليها بعض الباحثين ويرددونها وكأنها حقائق أثبتها التاريخ الصحيح؟

وهذه في مجملها هي القضايا التي اتهم فيها الولاة من خلال حديث قتلة عثمان رضي الله عنه عنها. وبعد مبايعة علي رضي الله عنه لاحظ رضي الله عنه كثرة الحديث عن عثمان رضي الله عنه والعيب عليه، فقال: ((إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، وما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بقولكم وعزله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا)).[1]

وأما ما قيل عن توليته لأقاربه الذين ذكروا؛ وهم معاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر رضي الله عنهم، فحينما ننظر إلى عثمان رضي الله عنه وإلى غيره من الخلفاء فسوف نجد أن روابطهم العائلية بكافة قريش كانت قوية، فلو نظرنا إلى ولاة عمر رضي الله عنه وإلى ولاة أبي

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٤٥.

بكر ﷺ لوجدنا أن فيهم من كان صهرًا أو قريبًا للخليفة، ولم يشفع له ذلك في الولاية وإنما كان اعتقاد الخليفة بكفايته هو الذي دفعه إلى توليته وهو ﷺ أخبر بهم من غيره.

ولو أمعنا النظر في ولاة علي بن أبي طالب ﷺ لوجدناه قد ولّى أبناء العباس بن عبدالمطلب ﷺ على البصرة ومكة واليمن وغيرها[1] وحاشا لله أن يكون علي قد ولى هؤلاء بسبب قرابتهم لا بسبب اعتقاده بكفايتهم، وكذلك ولّى عثمان ﷺ أناسًا من أقاربه؛ لا لأنهم أقاربه بل لأنهم أكفياء ـ أيضًا ـ للولاية، فلما دعت المصلحة إلى عزْلِهم عزَلَهُم ولم تمنع قرابتهم له من عَزْلِهم، وحتى تأديبهم كالوليد بن عقبة ﷺ، وسعيد بن العاص ﷺ. فلماذا الإصرار على ذكر قرابتهم له ﷺ عند التعيين ونسيان أنه ﷺ عَزَلَهم رغم قرابتهم؟ فلماذا يؤخذ جانب ويترك الآخر؟

---

(١) أبوبكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ٨٧.

وقد صدرت هذه التهم من قبل أصحاب الفتنة الذين قدموا إلى المدينة، وطلبوا من عثمان ﷺ أن يعزل مجموعة من ولاته، فقال: ((إن كنت أستعمل من أردتم، وأعزل من كرهتم فلست في شيء من الأمر، والأمر أمركم، فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم فحصروه)).(١)

والجانب الآخر لأثر الولاة في أحداث الفتنة هو أنهم استطاعوا أن يكتشفوا الفتنة وأصحابها في أمصارهم منذ بداياتها الأولى، واستطاعوا أن يراقبوا أهلها ويضيقوا عليهم، ويكتبوا في شأنهم إلى عثمان ﷺ فقام عثمان ﷺ، وولاته بترحيل بعض هؤلاء من أمصارهم إلى أمصار أخرى، والتضييق عليهم.(٢)

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١١٧/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٧١/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤٩٠/١٩.

(٢) انظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٨٣.

وقد كثرت الإشاعات على الولاة فيما بعد، فبعث عثمان ﷺ مندوبين إلى الأمصار ليأتوه بحقائق الأمور، ثم طلب بعد ذلك اجتماعًا مع كافة الولاة في الأمصار للتباحث معهم في أمر الإشاعات وما يردده الناس ـ كما مرَّ ذكره مرارًا ـ، فعقد اجتماعًا مع الولاة في المدينة للتباحث معهم فيما يمكن اتخاذه إزاء تلك البوادر التي بدأت تظهر وتنذر بالشّر، فاجتمع الولاة في المدينة،[1] وحضر الاجتماع مجموعة من شيوخ الصحابة ﷺ، وعبّر الحاضرون عن آرائهم. وقد بدأ عثمان ﷺ الحديث في ذلك الاجتماع بقوله: إن لكل أمير وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليّ أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم، فقال ابن عامر ﷺ: أرى يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك، ولا تكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٨.

فيه. وكان رأي سعيد بن العاص ﷺ وهو أشدهم التصاقًا بأصحاب الفتنة أن يقتل قادتهم، حيث قال: احسم عنك الداء، فاقطع عنك الذي تخاف؛ فإن لكل قوم قادة، متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان ﷺ: هو هذا الرأي لولا ما فيه، فقال معاوية ﷺ: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام. وقال عبدالله بن سعد ﷺ: إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ويبدو أن عثمان ﷺ اقتنع برأي عبدالله بن عامر ﷺ فأمر ولاته بالعودة وتجهيز الجيوش.[1] إلا أن الأمور لم تسر كما رتب وكما أراد ولاته. وبعد هذا الاجتماع تقدم معاوية ﷺ باقتراح إلى عثمان ﷺ أن ينتقل معه إلى بلاد الشام فيضمن له الحماية والمناصرة، ولكن عثمان ﷺ

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١٠٩٥/٣؛ الطبري، تاريخه ج٩٩/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٥٥/٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤٦٨/١٩.
وقد وقع اختلاف بينها في نسبة الكلام إلى صاحبه خصوصًا عند ابن شبة.

قال: ما كنت لأفارق مهاجر رسول الله ﷺ، فقال معاوية رضي الله عنه: فإذا أبيت فأذن لي أجهز إليك جيشًا من الشام تطأ به من رابك، فقال عثمان: لا أكون أول من أذل المهاجرين.(١)

ومن الملاحظ أن عثمان رضي الله عنه كان يحاسب العمال علنًا، ولذلك فإنه لا داعي لغمز العمال والانتقاص منهم، وقد أصدر كتبًا في ذلك إلى الأمصار.(٢)

ولما بدأ حصار عثمان رضي الله عنه كتب إلى الأمصار يستنجد بهم لرد أصحاب الفتنة، ويقول: ((بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله ﷻ بعث محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغ عن الله ما أمره به، ثم قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أُدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/١٠٩٦.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩.

عن ملأ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلب مني ولا محبة. فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعًا غير مستتبع، متبعًا غير مبتدع، مقتديًا غير متكلف، فلما انتهت الأمور وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرَةٍ فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمرًا وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله ﷻ جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه، وثابت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق)).[1]

وقد تجاوب عمال الأمصار وأهلها مع خطاب عثمان ﷺ، فسار جيش من أهل البصرة وجيش من أهل الشام نحو المدينة المنورة فبلغهم خبر مقتل عثمان ﷺ قبل وصولهم

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٠٥.

المدينة المنورة فعادوا أدراجهم إلى أمصارهم.[١]

وامتدت خلافة عثمان ﷺ قرابة اثنتي عشرة سنة، كانت الأحوال في النصف الأول منها مستقرة. وأما في النصف الثاني فقد اختلف الوضع، حيث إن الظروف العامة للمجتمعات الإسلامية بدأت تتغير؛ نتيجة قدوم الوافدين من القبائل المرتدة وممن أسلم من الأعاجم الذين حاول بعضهم الإخلال بالخلافة الإسلامية ودولتها، ورتبوا في ذلك ترتيبًا عجيبًا ودقيقًا، حتى تمكنوا من زعزعة الثقة بالخليفة وبولاته، وبالتالي مهدوا لفتنتهم التي استشهد فيها عثمان ﷺ صابرًا محتسبًا.

ولم يأل عثمان ﷺ جهدًا في نصح الأمة وفي تولية من يراه أهلاً للولاية، ومع هذا فلم يسلم هو ولا ولاته من اتهامات وجهت إليهم من قبل أصحاب الفتنة في حينها، كما أن عثمان ﷺ لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهده وخصوصًا

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١١٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٢١٧.

الباحثين المُحْدَثين الذين يطلقون أحكامًا لا تعتمد على التحقيق، أو على وقائع محددة، ويتناقلها بعضهم عن بعض دون سند من حقيقة كما سبق الحديث عنه.

روى الإمام أحمد ﷺ: ((أنّ عثمان قال لابن مسعود: هل أنت منتهٍ عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: ويحك! إني قد سمعت وحفظت ــ وليس كما سمعت ــ أنّ رسول الله ﷺ قال: «سيقتل أمير، ويتبرى متبرئ، وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنّما قتل عمر واحدٌ، وإنّه يجتمع عليّ» وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنّه مات قبله بنحو ذلك)).[1]

وفي آخر خلافة عثمان ﷺ تآمرت مجموعة من السبئيين وخططوا لقتله وإحداث الفتنة والانقسام في الأمة،[2] وتعاون

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١١؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/٦٧.

(٢) راجع تفصيلات ذلك عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٧٦ ـ ١٩٢؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٧٨ ــ ٣٩٢؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٠٣ ـ ٤٩٧.

معهم في ذلك بعض من ارتد سابقًا أيام أبي بكر ﷺ. وكان لعبدالله بن سبأ - الذي كان يهوديًّا فأظهر إسلامه - دور في بث الدعاية ضد عثمان ﷺ، وخصوصًا في مصر والعراق. وقد أدى ذلك إلى قدوم المئات من الناقمين، الذين قدموا إلى المدينة، وتظاهروا بالأمر بالمعروف، وناقشوا عثمان ﷺ في بعض الأمور.

وكان على رأس المصريين عبدالرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ويقال حبيس بن الحمق.(١)

عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: سمع عثمان ﷺ أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه فقالوا له: ادع المصحف فدعا بالمصحف، فقال له: افتح السابعة قال: وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم

(١) الطبري، تاريخه، ج١١٨/٥.

مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ [يونس]. قالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى آللّٰه أذن لك به أم على اللّٰه تفتري؟ فقال: أمضه نزلت في كذا وكذا وأما الحمى لإبل الصدقة فلما ولدت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة أمضه، قالوا فجعلوا يأخذونه بآية آية فيقول: أمضه نزلت في كذا وكذا.[1]

فقال لهم: ما تريدون؟ قال: ميثاقك، قال: فكتبوا عليه شرطًا فأخذ عليهم أن لا يشقوا عصًا ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم، وقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، قال: لا إنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد ﷺ قال: فرضوا.

وتظاهروا بالاقتناع برأيه، وأخذوا طريقهم إلى العراق

---

(١) راجع تفصيلات ذلك عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٧١ ـ ١٧٦؛ أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٣١.

ومصر. وبعد أن خرج أهل المدينة إلى الحج سنة (٣٥هـ) عادوا إلى المدينة وحاصروا عثمان ﷺ في داره، زاعمين أنه كتب إلى ولاته بقتلهم، فأنكر عثمان ذلك، واشتد الحصار عليه، ودافع عنه علي بن أبي طالب وبنوه ﷺ،[١] والزبير بن العوام وابنه عبدالله، وأبو هريرة وعبدالله بن عمرر ﷺ، وجماعة من الأنصار وغيرهم، ممن وُجدوا في المدينة أثناء الحصار.[٢] وطلبوا من عثمان ﷺ أن يأذن لهم بالقتال دفاعًا عنه، لكن عثمان ﷺ أمرهم بالكف، وقال: ((أعزم على كل من لي طاعة عليه ألا يقاتل)).[٣] وطلب المحاصرون من عثمان ﷺ أن يعزل نفسه عن الخلافة، لكنه أصر على الثبات لا حرصًا على المنصب،

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج١٥/٢٢٤؛ سليمان بن حمد العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص ١٥٥؛ انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٥.

(٢) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ ص ٢٧٤ نقلاً عن: د. أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٨٧؛ وأبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤١.

لكنه تأوَّل ما أمره به رسول الله ﷺ من التمسك بالقميص أو السربال الذي أمره الرسول ﷺ بالإمساك به إن أراده المنافقون على خلعه،[١] حيث أمره بالصبر حتى يلقى رسول الله ﷺ. ولذلك آثر أن يكون المصاب هو وحده، وأقسم على المدافعين عنه بالانصراف،[٢] ولم يستجب لطلب أهل الفتنة بخلع نفسه.[٣] انتظارًا للقاء رسول الله ﷺ والثبات على وصيته، وهو المبشر بالجنة رضي الله عنه.

وقد منع أهل الفتنة الماء عن دار عثمان رضي الله عنه، فناله العطش، وحاولت بعض أمهات المؤمنين إيصال الماء إليه فنالهن أذى أهل الفتنة،[٤] وبقي دون مدافعين، حيث انصرفوا بعد أن أقسم عليهم عثمان بذلك.[٥] وكانوا

---

(١) سبق تخريج الرواية.

(٢) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٣٨ ـ ١٤١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧١.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٢.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٦.

(٥) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤٥.

مستعدين للدفاع عنه، واقتحم أهل الفتنة الدار وقتلوا عثمان ﷺ شهيدًا صابرًا محتسبًا، وهو المبشر بالجنة، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة سنة (٣٥هـ) وعمره (٨٢) سنة،[١] حيث كان معظم أهل المدينة في موسم الحج في مكة المكرمة، وكان قد رأى النبي ﷺ في المنام يدعوه للإفطار عنده وهو صائم.[٢]

قال: فقام فخطب فقال: ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلبه، ألا إنه لا مال لكم عندنا إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد ﷺ. قال: فغضب الناس وقالوا: هذا مكر بني أمية، قال: ثم رجع المصريون، فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبهم، قالوا: مالك إن لك الأمان ما

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥، ٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٩٢.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٥، ٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٩٢.

شأنك، قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، قال: ففتشوه فإذا هم بالكتاب من عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة فأتوا عليًّا فقالوا: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا؟ وإن الله قد أحل دمه، قم معنا إليه قال: والله لا أقوم معكم قالوا: فلم كتبت إلينا قال: والله ما كتبت إليكم كتابًا قط، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم إلى بعض: ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون؟

فانطلق علي فخرج من المدينة إلى قرية، وانطلقوا حتى دخلوا على عثمان رضي الله عنه فقالوا: كتبت بكذا وكذا فقال: إنما هما اثنتان أن تقيموا علي رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا الله ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على اختلفوا الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم فقالوا: والله أحل الله دمك، ونقضوا العهد والميثاق فحاصروه.

وقد روي أنّ المصريين لمّا وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر، فيه الأمر بقتل بعضهم، وصلب بعضهم، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان، متأوّلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة] وعنده أنّ هؤلاءِ الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض.(١)

ويعلق ابن كثير رحمه الله على ذلك بقوله: ((لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه، ويزوّر على خطّه، وخاتمه، ويبعث غلامه على بعيره، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريّين، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر، بخلاف ذلك كلّه، ولهذا لمّا

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٠٥، ١٠٧ ـ ١٠٨.

وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتِّفاق عليه، وظنُّوا أنّه من عثمان رضي الله عنه أعظموا ذلك، مع ما هم مشتملون عليه من الشّرّ، فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رُءُوس الصحابة، وأعانهم على ذلك قومٌ آخرون، حتى ظنّ بعض الصحابة أنّ هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعةٍ من أعيان الصحابة وجمهور المصريين، حلف باللّه العظيم، وهو الصادق البار الرّاشِد، أنّه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه، ولا علم به، فقالوا له: فإنّ عليه خاتمك. فقال: إنّ الرجل قد يزوّر على خطِّه وخاتمه.(١)

قالوا: فإنّه مع غلامك وعلى جملك. فقال: واللّه لم أشعر بشيءٍ من ذلك. فقالوا له ـ بعد كل مقاله ـ إن كنت قد كتبته فقد خُنْتَ، وإنْ لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت، ومثلك لا يصلح للخلافة، إما لخيانتك، وإما لعجزك.

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٠٨، ١١٩ ـ ١٢٠.

ويعلق ابن كثير ﷺ: وهذا الذي قالوا باطلٌ على كل تقدير، فإنّه لو فرض أنّه كتب الكتاب، وهو لم يكتبه في نفس الأمر، لا يضره ذلك؛ لأنّه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمّة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام. وأمّا إذا لم يكن قد علم به فأيُّ عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطَّلَعَ عليه وَزُوّرَ على لسانه؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأُ والغفلةُ جائزان عليه ﷺ، وإنّما هؤلاء الجهلة البغاة متَعَنِّتُونَ خونةٌ، ظلمةٌ مفترون، ولهذا صمّمُوا بعد هذا على حصره والتّضييق عليه.[1]

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١٢٧/٥

حصار عثمان ﷺ واستشهاده.[1]

حين حاصره أهل الفتنة أشرف عليهم ذات يوم فقال: السلام عليكم فما أسمع أحدًا من الناس رد عليه السلام إلا أن يرد رجل في نفسه، فقال: أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي فجعلت رشائي فيها كرشاء

(١) ألفت كتب مستقلة في استشهاد عثمان بن عفان ﷺ منها:

- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ﷺ، تأليف محمد بن أبي بكر المالقي الأندلسي (ت، ٧٤١هـ)، دراسة وتحقيق منى أزعرين وخديجة أزرعين. ط ١ ـ الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م؛
- الأيام الأخيرة من حياة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ للدكتور محمد بن عبدالله غبان الصبحي. ط ٢ ـ الكويت: مركز البحوث والدراسات في مبرة الآل والأصحاب ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م؛
- فتنة مقتل عثمان ﷺ وأرضاه للدكتور محمد بن عبدالله غبان. ط ١ ـ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م؛
- استشهاد عثمان بن عفان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، في تاريخ الطبري، دراسة نقدية، للدكتور خالد بن محمد الغيث. ط ٢ ـ جدة: دار الأندلس الخضراء ١٤٢٠هـ ـ ٢٠١٥م.

رجل من المسلمين؟ قيل: نعم قال: فعلام تمنعونى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟ أنشدكم الله هل علمتم أنى اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟ قيل: نعم قال: فهل علمتم أن أحدًا من الناس منع أن يصلي فيه قبلى؟ أنشدكم الله هل سمعتم نبى الله ﷺ يذكر كذا وكذا؟ أشياء في شأنه عدَّدها.

ورد عن عائشة ﵂ قالت: ((أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر ما كلَّمَهُ أنْ ضرب منكبه وقال: يا عثمان إنّ الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ثلاثًا. فقلت لها يا أم المؤمنين؟ فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسِّيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين: أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابًا)).[1]

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٨٦؛ وانظر: صحيح ابن حبان، =

وقال عثمان ﷺ: ((إنّ رسول اللّه ﷺ عهد إلي عهدًا فأنا صابرٌ نفسي عليه)).(١)

وروى الإمام أحمد ﷺ أنّ عائشة ﷺ قالت: ((ما استمعت رسول اللّه ﷺ ألا مرة، فان عثمان جاءه في حر الظهيرة فظننت أنّه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أنْ أصغيت إليه فسمعته يقول: إن اللّه ملبسك قميصًا يريدك أمّتي على خلعه فلا تخلعه. فلمّا رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهدٌ من رسول اللّه ﷺ الذي عهد إليه)).(٢)

=كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان عند وقوع الفتن لم يخلع نفسه لزجر المصطفى ﷺ إياه عنه، ج١٥/٣٤٦.

(١) من رواية الترمذي في سننه، ج٥/٦٣١، ح رقم: ٣٧١١؛ وانظر: مسند الإمام أحمد، ج٦/٥٢؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٨

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/١١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠٩.

عن ثمامة بن حزن القشيري ﷺ قال: ((شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللَّذين ألَّبَاكم علَيَّ قال: فجيء بهما فكأنَّهما جملان أو كأنَّهما حماران قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماءٌ يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاءِ المسلمين بخير له منها في الجنَّة فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب حتى أشرب من ماء البحر قالوا: اللهم نعم، قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعوني أنْ أصلِّي فيها ركعتين؟ قالوا اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أنِّي جهزت جيش العُسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم، ثُمَّ قال: أنشدكم بالله والسلام هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ

كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله وقال: اسكن ثبير فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ؟ قالوا: اللهم نعم قال: اللّه أكبر شهدوا لي وربِّ الكعبة أنِّي شهيدٌ ثلاثًا)).[1]

وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ صعد أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ، فرجف وقال: ((اسكن أُحُد، أظنه ضربه برجله، فليس عليك إلا نبيٌّ وصدّيقٌ، وشهيدَان)).[2]

وكجزء من حوار عثمان ﷺ مع محاصريه روي عن نافع عن ابن عمر ﷺ أنّ عثمان ﷺ أشرف على أصحابه وهو محصور، فقال: ((على ما تقتلوننى؟ فإني سمعت

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٢٧، ٦٢٨، ح رقم: ٣٧٠٣.

(٢) رواه البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ، مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٤.

رسول الله ﷺ يقول: "لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاثٍ، رجلٌ زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمدًا فعليه القود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل". فو الله ما زنيت في جاهليةٍ ولا إسلام، ولا قتلت أحدًا فأقيد نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله)).[1]

وروي أنه أشرف عثمان رضي الله عنه من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء[2] إذ اهتزّ الجبل فر كله بقدمه ثم قال: ((اسكن حراء ليس عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ)) وأنا معه، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان، إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة،

---

(١) رواه النسائي، سننه، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، ج٦/٢٣٣ ـ ٢٣٧؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٧٩.

(٢) في رواية البخاري (أُحُد) وهي الأقرب والله أعلم.

فقال: ((هذه يدي وهذه يد عثمان)). ووضع يديه إحداهما على الأخر فبايع لي، فانتشد له رجال. ثم قال: ((أنشد بالله من شهد رسول الله قال: من يوسِّع لنا بهذا البيت في المسجد بنيت له بيتًا في الجنة)) فابتعته من مالي فوسّعت به المسجد. فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العُسرة قال: ((من ينفق اليوم نفقةً مُتَقبّلةً؟)) فجهّزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله من شهد رُومة يباع ماؤُها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل قال: فانتشد له رجالٌ.[1]

وقد ذكر أنه ﷺ لمَّا رأى ما فعل هؤلاءِ الخوارج من أهل الأمصارِ، من محاصرته في داره، ومنعه الخروج إلى

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٠؛ من رواية النسائي في سننه، كتاب الأحباس باب وقف المساجد، ج٦/٢٣٣ ــ ٢٣٧. (تم الاستشهاد به سابقًا في مناسبات أخرى).

المسجد كتب إلى معاوية بالشام، وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة، فبعث معاوية ﷺ مسلمة بن حبيب، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش، وبعث أهل الكوفة جيشًا، وأهل البصرة جيشًا، فلمّا سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا في الحصار، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم خبر قتل عثمان ﷺ.(١)

أقبل عبدالله بن سلام ﷺ وعثمان ﷺ محصورٌ، فانطلق فدخل عليه، فوسّعُوا له حتى دخل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك السلام، ما جاء بك يا عبدالله بن سلام؟ قال: قد جئت لأثبت حتى أستشهد أو يفتح الله لك، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتلوك؛ فإن يقتلوك فذاك خيرٌ لك وشرٌ لهم. فقال عثمان ﷺ: أسألك بالذي لي عليك من الحق لما خرجت إليهم، خيرٌ يسوقه الله بك،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/ ١٨٠.

وشرٌ يدفعه بك اللّه. فسمع وأطاع، فخرج عليهم فلما رأوه اجتمعوا، وظنُّوا أنّه قد جاءهم ببعض ما يسرُّون به، فقام خطيبًا فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن اللّه ﷻ بعث محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا ؛ يبشِّرُ بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه، وأظهر من اتبعه على الدين كله ولو كره المشركون، ثُمّ اختار له المشركون. ثُمّ اختار له المساكن؛ فاختار له المدينة فجعلها دار الهجرة وجعلها دار الإيمان، فواللّه ما زالت الملائكة حافِّين بالمدينة مذ قدمها رسول اللّه ﷺ إلى اليوم، وما زال سيف اللّه مغمودًا عنكم منذ قدمها رسول اللّه ﷺ إلى اليوم.

ثُمّ قال: إنّ اللّه بعث محمدًا ﷺ بالحق، فمن اهتدى فإنّما يهتدي بهدى اللّه، ومن ضل فإنّمَا يضلُّ بعد البيان والحجّة، وإنّه لم يقتل نبيٌّ فيما مضى إلا قتل به سبعون ألف مقاتل كُلُّهُمْ يقتل به. ولا قتل خليفةٌ قطُّ إلا قتل به خمسةٌ وثلاثون ألف مقاتل كُلُّهُمْ يقتل به. فلا تعجلوا على هذا الشيخ بقتل؛ فواللّه لا يقتله رجلٌ منكم إلا لقي اللّه

يوم القيامة ويده مقطوعةٌ مشلولةٌ، واعلموا أنّه ليس لولدٍ على والدٍ حَقٌّ إلا ولهذا الشيخ عليكم مثله.

قال: فقالوا: كذبت اليهود، كذبت اليهود. فقال: كذبتم والله وأنتم آثِمُونَ ما أنا بيهوديّ، وإني لأحد المسلمين يعلم الله بذلك ورسوله والمؤمنون، وقد أنزل الله في القرآن: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد]، وقد أنزل الآية الأخرى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف]. قال: فقاموا، فدخلوا على عثمان ﷺ فذبحوه كما يذبح الحلان... وقد قال عثمان ﷺ لكثير بن الصلت ﷺ: يا كثير، أنا والله مقتولٌ غدًا قال: بل يعلي الله كعبك، ويكبت عَدُوّك. قال: ثُمّ أعادها الثّالثة فقال مثل ذلك قال: ثُمّ يقول يا أمير المؤمنين قال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر ﷺ، فقال لي: ((يا

عثمان، أنت عندنا غدًا، وأنت مقتولٌ غدًا)). فأنا واللّه مقتولٌ قال: فقتل، فخرج عبداللّه بن سلام ﷺ إلى القوم قبل أن يتفرّقُوا، فقال: يا أهل مصر، يا قتلة عثمان، قتلتم أمير المؤمنين؛ أما واللّه لا يزال عهدٌ منكوثٌ، ودمٌ مسفوحٌ، ومالٌ مقسومٌ لا سُقِيتُمْ.(١)

وورد أنّ عثمان ﷺ استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسادةٌ في كُوّةٍ من داره، فأشرف على الناس، فقال له عثمان: يا أشتر ماذا يريدون؟

فقال: إنّهُمْ يريدون منك إمّا أنْ تعزل نفسك عن الإمرة، وإما أن تفتدى من نفسك من قد ضربته، أو جلدته، أو حبسته، وإمّا أن يقتلوك. وفي روايةٍ أنّهم طلبوا منه أنْ يعزل نوّابه عن الأمصار ويوَلِّيَ عليها من يريدون هم، وإنْ لم يعزل نفسه أنْ يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٢، ٩٣.

زَوّرَ على عثمان كتابه إلى مصر، فخشي عثمان إنْ سلّمه إليهم أنْ يقتُلُوه، فيكُون سببًا في قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحقُّ بسببه القتل، واعتذر عن الاقتصاص ممَّا قالوا بأنّه رجلٌ ضعيفُ البدن كبيرُ السِّنّ. وأمّا ما سألوه من خلعه نفسه فإنّه لا يفعل ولا ينزعُ قميصًا قمّصه اللّه إيّاه، ويترك أمّة محمّدٍ يعدو بعضها على بعض ويولى السفهاء من الناس من يختارونه هم فيقع الهرج ويفسد الأمر كما ظنه، فسدت الأمة ووقع الهرج، وقال لهم فيما قال، وأيُّ شيءٍ إليّ من الأمر إن كنت كُلَّمَا كرهتم أميرًا عزلته، وكلَّما رضيتُم عنه ولَّيتُهُ؟ وقال لهم فيما قال: واللّه لئن قَتَلْتُمُونِي لا تتحابون بعدي، ولا تصلون جميعًا أبدًا، ولا تقاتلون بعدي عدوًّا جميعًا أبدًا، وقد صدق ﷺ فيما قال.[1]

وعن محمد بن سيرين ﷺ قال: ((أشرف عليهم عثمان

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧.

من القصر فقال: ائتوني برجل أتاليه كتاب الله، فأتوه بصعصعة بن صوحان،[1] وكان شابًا، فقال: أما وجدتم أحدًا تأتوني به غير هذا الشاب، قال فتكلم صعصعة بكلام، فقال له عثمان: اتل، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحج] فقال: كذبت! ليست لك ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، ثم تلا عثمان ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحج] حتى بلغ ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: من الآية ٤١].[2]

وروي أن عثمان ﷺ اطلع إلى الناس وهو محصور فقال: ((أيها الناس! لا تقتلوني واستعتبوا، فوالله لئن قتلتموني لا

---

(١) (صعصعة بن صوحان العبدي الكوفي): تابعي مخضرم أسلم على عهد النبي ﷺ، روى عن عدد من الصحابة، ثقة قليل الحديث، توفي بالكوفة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤/٤٢٢).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٤، برقم: ١٨٩٣٩.

تصلون جميعًا أبدًا، ولا تجاهدون عدوًا أبدًا، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا - وشبك بين أصابعه - ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود] قال: وأرسل إلى عبدالله بن سلام فسأله فقال: الكف الكف فإنه أبلغ لك في الحجة فدخلوا عليه فقتلوه)).[1]

عن المغيرة بن شعبة ﷺ أنّه دخل على عثمان ﷺ وهو محصورٌ فقال: ((إنّك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى وإنِّي أعرض عليك خصالاً ثلاثًا اختر إحداهنّ، إمّا أنْ تخرج فتقاتلهم، فإنّ معك عددًا وقوّةً وأنت على الحقّ وهم على الباطل، وإمّا أن تخرق بابًا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على روَاحِلِك فتلحق مكة، فإنّهُم لن يستحلُّوك وأنت بها، وإمّا أنْ تلحق بالشامِ فإنّهم أهلُ الشامِ وفيهم

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٠، ٥٩١، برقم: ١٨٩٢٧؛ انظر: علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص٤٣١.

معاوية. فقال عثمان: أمّا أنْ أخرج فأقاتل فلن أكون أوّل من خلف رسول اللّهِ ﷺ في أمّته بسفك الدماء، وأما أنْ أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحِلُّونِي بها، فإنِي سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد رجلٌ من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، ولن أكون أنا، وأما أنْ ألحق بالشام فإنّهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ)).[1]

وقد سُمع عثمان رضي الله عنه وهو محاصر يقول: ((إن أعظمكم عندي غنىً من كف سلاحه ويده)).[2]

وأشرف عليهم مرة أخرى، فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ منهم الموعظة. وكان الناس تأخذ منهم الموعظة في أول ما يسمعونها، فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ منهم، فقال لامرأته: افتحي الباب ووضع المصحف بين يديه، وذلك أنه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢١١؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/٦٧.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩١، برقم: ١٨٩٢٨.

رأى من الليل أن نبي الله ﷺ يقول له: أفطر عندنا الليلة، فدخل عليه رجل فقال: بيني وبينك كتاب الله فخرج وتركه ثم دخل عليه آخر فقال: بيني وبينك كتاب الله والمصحف بين يديه، قال: فأهوى له بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فلا أدري أقطعها ولم يبنها أم أبانها، قال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت المفصل ... فدخل عليه التجيبي فضربه مشقصًا فنضح الدم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البقرة] قال: وإنها في المصحف ما حكت قال: فلما قتل عثمان رضي الله عنه تفاجت عليه زوجته بنت الفرافصة الكلبية، فقال بعضهم: قاتلها الله ما أعظم عجيزتها، كما تناولوا ما على النساء في البيت من حلى فعُلم أن أعداء الله لم يريدوا إلا الدنيا.(١)

عن عبيدالله بن عمر رضي الله عنهما عن نافع رضي الله عنه أن رجلاً يقال له

(١) انظر: صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر تسبيل عثمان بن عفان رومة على المسلمين، ج١٥/٣٥٧، ٣٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٣١.

جهجاه تناول عصا كانت في يد عثمان فكسرها بركبته، فرمى في ذلك الموضع بأكله.(١)

وقال آخرون ضحوة نهارها، وهذا أشبه، وكان ذلك لثماني عشر ليلةً خلت من ذي الحجة على المشهور وذلك سنة خمس وثلاثين على الصّحيح المشهور.(٢) فأمّا عمره رضي الله عنه فإنّهُ جاوز ثنتين وثمانين سنةً، وفي روايةٍ تُوُفِّيَ عن ست وثمانين سنةً.(٣)

كانت مدة حصار عثمان رضي الله عنه في داره ثنتين وعشرين ليلةً. وكان قتله رضي الله عنه في يوم الجمعة.(٤)

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٢، برقم: ١٨٩٣١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٩٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٠.

ولعل هذه المدة يدخل فيها الحصار الأول، ثم عودة أهل الفتنة من طريق مصر بعد مغادرة الحجيج إلى مكة.

ولقناعة ابن حبان رحمه الله بموقف عثمان رضي الله عنه من رفض نقض البيعة، وصبره وثباته، جمع الأدلة والروايات ووضع لها عنوان: (ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عند وقوع الفتن لم يخلع نفسه لزجر المصطفى ﷺ إياه عنه).[1]

وتدل الروايات على أن ابن عمر رضي الله عنهما وبعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا ممن وقف مع عثمان رضي الله عنه في عدم خلع نفسه، لما يعلمونه من تحذير النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه.[2]

ويؤكد ابن كثير رحمه الله على أن عثمان رضي الله عنه كان على الحق في عنوان: (ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان عند وقوع الفتن لم يخلع نفسه لزجر المصطفى ﷺ إياه عنه، ج١٥/٣٤٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٠.

عفان ﷺ عند وقوع الفتن كان على الحق).[١]

لقد علم رسول الله ﷺ بما أطلعه الله عليه من الغيب بما سيصيب عثمان من بلوى وقتل،[٢] فأوصاه بما ذكرناه سابقًا قائلاً: ((يا عثمان إن الله ﷻ عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثًا)).[٣]

وقد وضع ابن حبان ﷺ عنوان: (ذكر إثبات الشهادة لعثمان بن عفان رضوان الله عليه وقد فعل). أورد فيه روايات متعددة.[٤] كما وضع ابن كثير ﷺ عنوانًا

---

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢٠٨/٧.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥١.

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، ج٦٣١/١؛ وانظر: الطبقات الكبرى، ج٦٦/٣. وقد مرَّ تخريجه أكثر من مرة.

(٤) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر إثبات الشهادة لعثمان بن عفان رضوان الله عليه وقد فعل، ج٣٣٧/١٥.

(ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.[١] وجمع الروايات حول ذلك).

ومن التفاصيل التي أوردها ابن كثير ﷺ: ((لما وقع ما وقع يوم الجمعة، وَشُجّ أمير المؤمنين عثمان، وهو في رأس المنبر، وسقط مغشيًّا عليه، واحتمل إلى داره، وتفاقم الأمر، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس، وَأَلْجَئُوهُ إلى داره وضيّقُوا عليه، وأحاطوا بها محاصرين له، ولزم كثيرٌ من الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعةٌ من أبناءِ الصحابة، عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين، وعبدالله بن الزبير ـ وكان أمير الدار ـ وعبدالله بن عمرو بن العاص، وصاروا، يحاجون عنه.[٢] ويناضلون دونه أنْ يصل إليه أحدٌ منهم، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدةٍ ممَّا سألوا، فإنّهم كانوا قد طلبوا منه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٧٦.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٣، ١٧٤.

إمّا أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، ولم يقع في خلد أحدٍ أن القتل كان في نفس الخارجين. وانقطع عثمان عن المسجد، فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر، ثُمّ انقطع بالكُلِّيّة في آخره، وكان يصلّي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب... كان آخر ذلك أنْ قتل شهيدًا ﷺ، ... وقيل كان يصلّي بالناس في هذه المدة وعثمان محصورٌ طلحة بن عبيداللّه)).[1]

وروى أنّ عليًّا ﷺ صلّى أيضًا، وصلّى أبو أيوب ﷺ، وصلّى بهم سهل بن حنيف ﷺ.[2]

وقد وردت روايات أخرى تختلف في ألفاظها وتتفق في مجمل معانيها، عن سبب صبر عثمان ﷺ وتمسكه بموقفه حتى استشهاده، وهي من شهود عيان شهدوا

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٧٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٧٧.

الحادثة.[١]

منها ما روي عن النعمان بن بشير ﷺ قال: كتب معى عثمان ﷺ إلى عائشة ﷺ كتابًا فدفعت إليها كتابه فحدّثَتْنِي أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان: ((إنّ اللّه لعلّهُ يُقَمِّصُكَ قميصًا. فإنْ أرادك أحدٌ على خلعه فلا تخلعه، ثلاث مرات)) قال النعمان: فقلت يا أم المؤمنين! فأين كنت عن هذا الحديث؟ فقالت: يا بنيّ واللّه أُنْسِيتُهُ.[٢]

---

(١) انظر: رواية الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان ﷺ، ج٥/٦٢٧ ــ ٦٢٨؛ والنسائي في صحيحه، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، ج٦/٢٣٣ ـ ٢٣٧؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٦١؛ وابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٣/١٠٦ ــ ١٠٧؛ والمالقي التمهيد والبيان، ص ٤٣؛ والنويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٦؛= =والبخاري، في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢ ــ ٢٠٣؛ وانظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ٢٧٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/ ٧٥، ٨٦ ـ ٨٧؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، =

قال الأمام أحمد ﷺ: حدثنا يحيى بن إسماعيل ثَنَا قيس عن أبي سهلة عن عائشة ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ: ((أدعو لي بعض أصحابي، قلت أبو بكر؟ قال: لا، قلت عمر؟ قال: لا؟ قلت ابن عمك عليٌّ؟ قَالَ: لا! قالت قلت عثمان؟ قال: نعم! فلما جاء قال: تنحّى فجعل يسارُّهُ ولون عثمان يتغيّر، فلما كان يوم الدار وحصر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا! إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدًا وإني صابرٌ نفسي عليه)). تَفَرّدَ به أحمد.(١)

عن يزيد بن عمرو ﷺ أنه سمع أبا ثور الفقيمي ﷺ يقول: ((قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان

=ج٥/٦٢٨، ح رقم: ٣٧٠٥؛ وابن ماجه في سننه، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (فضل عثمان بن عفان ﷺ)، ج١/٤١، ح رقم: ١١٢؛

انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨١؛ وانظر: مسند الإمام أحمد، ج١/٦١، ٦٢، ٦٥.

فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟ فقلت: رأيت في وجوههم الشّرّ، وعليهم ابن عديس البلويُّ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلَّى بهم الجمعة، وتنقَّصَ عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرت، إني رابع أربعةٍ في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثُمّ تُوُفِّيَتْ فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت ولا سرقت في جاهليةٍ ولا إسلام، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ. ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت علي جمعةٌ إلا وأنا أعتق فيها رقبةً منذ أسلمت، إلا أنْ لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثّانية)).[1]

ولا شك أن عثمان رضي الله عنه يكره الحديث عن نفسه وبيان مواقفه وفضله، ولكن هؤلاء المفتونين أجبروهم، على ذلك للرد على افترائاتهم.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨١؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥.

عن كثير بن الصلت ﷺ قال: ((أغفي عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس تمنى عثمان الفتنة لحدثتكم قال: قلنا: أصلحك الله فحدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا فقال: إنك شاهد معنا الجمعة)).[1]

وقد عنون ابن حبان في صحيحه (ذكر عهد المصطفى ﷺ إلى عثمان بن عفان ما يحل به من أمته بعده).[2]

وقال عثمان ﷺ يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدًا وأنا صابر عليه ...: كانوا يرون أنه ذلك اليوم.[3]

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج١٠٦/٣.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر عهد المصطفى ﷺ إلى عثمان بن عفان ما يحل به من أمته بعده، ج١٥/٣٥٠، ٣٥٥.

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر =عهد المصطفى ﷺ إلى عثمان بن عفان ما يحل به من أمته بعده، ج١٥/٣٥٠، ٣٥٥.

كان الحصار مستمرًا من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك بيوم، قال عثمان للَّذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ـ وكانوا قريبًا من سبع مئةٍ، فيهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ﷺ، وخلقٌ من مواليه، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم: أُقْسِمَ على من لي عليه حقٌّ أنْ يَكُفّ يده وأنْ ينطلق إلى منزله، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جَمٌّ غفيرٌ: من أغمد سيفه فهو حُرٌّ. فبرد القتال من داخل، وحمى من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أنّ عثمان رأى في المنام رُؤْيَا دَلَّتْ على اقتراب أجله، فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده، وشوقًا إلى رسول الله ﷺ، وليكون خيرًا بنى آدم حيث قال: حين أراد أخوه قتله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة] وروي أنّ آخر من خرج من عند عثمان ﷺ من الدار، بعد أن عزم عليهم في الخروج الحسن بن على وقد

خرج، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبدالله بن الزبير رضي الله عنهم.[١]

وروي أنّ ابن عمر رضي الله عنهما لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ، ألا يوم الدار. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّ عثمان رضي الله عنه أصبح يحدِّثُ الناس، قال: رأيت النّبيّ ﷺ في المنام فقال: ((يا عثمان أفطر عندنا)) فأصبح صائمًا وقتل من يومه.[٢]

وقد دخل عليه كثير بن الصلت رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فإنّك إن فعلت ارتدعُوا. فضحك وقال: يا كثير رأيت البارحة وكأنّي دخلت على نبي الله وعنده أبو بكر وعمر، فقال: ((ارجع فإنّك مفطرٌ عندي غدًا، ثُمّ قال عثمان رضي الله عنه: ولن تغيب الشمس والله غدًا أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٨٢/٧؛ الطبري، تاريخه، ج١١٠/٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٨٢/٧. (وقد مرَّ الاستشهاد به في أكثر من مناسبة).

الآخرة. قال: فوضع سعدٌ وأبو هريرة ﷺ السلاح وأقبلا حتى دخلا على عثمان)).[١]

وقد بعث عثمان ﷺ أثناء حصاره رجلاً فدعا له الأشتر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاثٌ ليس من إحداهن بد، قال: ما هن؟ قال: يخيرونك بين أنْ تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإنّ القوم قاتلوك. فقال: أمّا أنْ أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه اللّه، وأمّا أنْ أقتص لهم من نفسي فو الله لئن قتلتموني لا تحابّون بعدي، ولا تصلون بعدي جميعًا، ولا تقاتلون بعدي جميعًا عدوًا أبدًا.[٢]

ومن شهود أعيان آخرين منهم كثير بن الصلت ﷺ قال: دخلت على عثمان وهو محصور، فقال لي: يا كثير ما

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٤؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٥.

أرانـى إلا مَقْتُـولاً يَـوْمِي هَـذَا. قـال: قلـت ينصـرك اللّـه علـى عدوِّك يا أمير المؤمنين، قال: ثُمّ أعـاد عليّ فقلت وُقِّتَ لـك في هـذا اليـوم شـيْءٌ؟ أو قيـل لـك شـيْءٌ؟ قـال: لا! ولكـني سـهرت في لـيلتي هـذه الماضـية، فلمـا كـان وقـت السـحر أغفيت إغفـاءةً فرأيت فيمـا يـرى النـائم رسـول اللّه ﷺ، وأبـا بكـر وعمر، ورسول اللّه ﷺ يقول لي: ((يا عثمان الحقنـا لا تحبسنا، فإنّا ننتظرك)) فقتل من يومه ذلك.(١)

عن ابن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت ﷺ إلى عثمـان ﷺ فقـال: هـذه الأنصـار بالبـاب، قـالوا: إن شـئت أن نكـون أنصار اللّه مرتين، فقال: أما القتال فلا.(٢)

عـن عبـداللّه بـن الـزبير ﷺ قـال: قلـت لعثمـان ﷺ يـوم الدار: اخرج فقاتلهم! فإن معك من قد نصر اللّه بأقل منـه،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨١/٧.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج٥٩١/١٤، برقم: ١٨٩٢٩؛ وانظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٣.

والله إنه لحلال، قال: فأبي، وقال: من كان لي عليه سمع وطاعة فليطع عبدالله بن الزبير، وكان أمره يومئذ على الدار، وكان يومئذ صائمًا.(١)

وعن عبدالله بن سلام ﷺ. قال: أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصورٌ، فدخلت عليه فقال: مرحبًا بأخي، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخَوْخَةِ ـ قال: وَخَوْخَةٌ في البيت ـ فقال: يا عثمان حصروك؟

قلت: نعم! قال: عطَّشُوك؟ قلت: نعم! فأدلى دلوًا فيه ماءٌ فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثديّ وبين كَتِفَيّ، وقال لي: إنْ شئت نصرت عليهم، وإنْ شئت أفطرت عندنا، فاخترت أنْ أُفْطِرَ عنده. فقتل ذلك اليوم.(٢)

وروي أن عثمان ﷺ قد أغفى فلما استيقظ قال: إنّ

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩١، ٥٩٢، برقم: ١٨٩٣٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٣.

القوم يقتلونني، قالت امرأته: كلا يا أمير المؤمنين. قال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر، فقالوا: أَفْطِرْ عندنا الليلة، أو إنك مفطر عندنا الليلة ... وروي عن نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة ـ امرأة عثمان ـ قالت: لَمَّا حصر عثمان ظل اليوم الذي كان فيه قتله صائمًا، ... وقد قال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ اطَّلَعَ عليّ من هذا السّقْفِ ومعه دلوٌ من ماءٍ فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثُمّ قال: ازدد فشربت حتى نهلت، ثُمّ قال: أما إنّ القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإنْ تركتهم أفطرت عندنا، قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه.[1]

وفي رواية أخرى عن مسلم أبي سعيد رضي الله عنه مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّ عثمان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٣.

إسلام، وقال: إنِّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأبا بكر وعمر، وإنّهم قالوا لي: اصبر فإنّك تفطر عندنا القابلة، ثُمّ دعا بمصحفٍ فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه. ولبس السّرَاويلَ رضي الله عنه في هذا اليوم لئَلا تبدو عورته إذا قتل فإنه كان شديد الحياء، كانت تستحي منه ملائكة السماء، كما نطق بذلك النبي ﷺ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله ﷻ، وكفّ يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا.[1]

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٣.

صِفَةُ قَتْلِهِ رضي الله عنه.[١]

ولما بلغ المحاصرين أنّ معاوية رضي الله عنه قد بعث جيشًا مع حبيب بن مسلمة رضي الله عنه، وأنّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه قد نَفَّذَ آخر مع معاوية بن خديج رضي الله عنه، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو رضي الله عنه في جيش، وأنّ أهل البصرة بعثوا مُجاشعًا رضي الله عنه في جيش، فعند ذلك صمّموا على أمرهم، وبالغوا فيه، وانتهزوا الفرصة بقلّة الناس وغيبتهم في الحج، وأحاطوا بالدار، وجدُّوا في الحصار، وأحرقوا الباب، وَتَسَوّرُوا من الدار المتاخمة للدار، كدار عمرو بن حزم رضي الله عنه وغيرها، وحاجف[٢] الناس عن عثمان رضي الله عنه أشد المحاجفة، واقتتلوا على الباب قتالاً شديدًا، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم، وجعل أبو هريرة رضي الله عنه يقول: هذا يوم طاب الضراب فيه.[٣]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٤؛ وانظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٣١ ـ ١٣٢.
(٢) أي دافعوا عنه ومنعوه (الزبيدي، تاج العروس، ج٦/٥٣).
(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٩.

وقتل طائفةٌ من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجّار، وجرح عبدالله بن الزبير ﷺ جراحاتٍ كثيرةً، وكذلك جرح الحسن بن علي ﷺ ومروان بن الحكم ﷺ فقطع إحدى علباويه.[١] فعاش أوقصَ[٢] حتى مات. ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ﷺ، زياد بن نعيم الفهريُّ ﷺ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق، ونيارُ بن عبدالله الاسلميُّ ﷺ، في أناس وقت المعركة. ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ﷺ ثم رجعوا. ولمَّا رأى عثمان ﷺ ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم، قائلاً أنتم في حل من نصرتي.[٣] فلم يبق عنده أحدٌ سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجدران وفزع عثمان ﷺ إلى الصلاة وافتتح سورة طه، وكان سريع القراءة ـ فقرأها والناس في غلبةٍ

---

(١) (العلباوين): العلب عصبة العنق (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١/١٠٧).

(٢) (الأوقص): في رقبته خلل من كسر أو عصب. (الزبيدي، تاج العروس، ج٤/٤٤٥).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٨.

عظيمةٍ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال، ثُمّ فرغ عثمان ﷺ من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]. فكان أول من دخل عليه رجلٌ يقال له الموت الأسود، فخنقه خنقًا شديدًا حتى غشي عليه، وجعلت نفسه تتردّدُ في حلقه، فتركه وهو يظن إنه قد قتله، ودخل ابن أبى بكر فمسك بلحيته ثم ند وخرج، ثم دخل عليه آخر ومعه سيفٌ فضربه به فاتّقَاهُ بيده فقطعها، فقيل: إنّه أبانها: وقيل: بل قطعها ولم يُبِنْهَا، إلا أن عثمان قال: واللّه إنها أول يدٍ كتبت المُفَصّل، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة] ثُمّ جاء آخر شاهرًا سيفه فاستَقْبَلَتْهُ نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها. ثُمّ إنّه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه،

رضي الله عن عثمان.[١]

وفي رواية أنّ الغافقي بن حرب[٢] تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في فيه، ورَفَسَ المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثُمّ استقرّ بين يدي عثمان ﷺ. وسالت عليه الدماء، ثُمّ تقدم سودان بن حمران بالسيف فمانعته نَائِلَةُ فقطع أصابعها فولَّتْ فضرب عجيزَتَهَا بيده وقال: إنّها لكبيرةُ العجيزة. وضرب عثمان ﷺ فقتله، فجاء غلام عثمان ﷺ فضرب سودان فقتله، فضرب الغلامَ رجلٌ يقال له قترة فقتله.[٣]

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٠. (الغافقي بن حرب العكي): من وجوه القبائل اليمنية التي سكنت مصر، من ساهمو في قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ صار من الخوارج في عصر الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ (انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٧٧).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦. (نقلته بنصه مع تغيير طفيف وربط بالمصادر الأسبق)؛ انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٧.

وذكر أنهم أرادوا حزَّ رأسه بعد قتله، فصاح النساء وضربن وُجُوهَهُنّ، فيهن امرأته نائلة وأُمُّ البنين، وبناته، فقال ابن عُدَيس رضي الله عنه:[1] اتركُوهُ، فتركُوهُ. ثُمّ مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه، وذلك أنّه نادى مناد منهم: أيحل لنا دمه، ولا يحلُّ لنا مالُهُ؟ فانْتَهَبُوهُ ثُمّ خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان رضي الله عنه وقتيلين معه، فلمّا خرجوا إلى صحن الدار وثب غلامٌ لعثمان رضي الله عنه على قترة فقتله، وجعلوا لا يَمُرُّونَ على شَيْءٍ إلا أخذُوهُ حتّى استلب رجُلٌ يقال له كُلْثُومٌ التُّجِيبِيُّ، مُلاءَةَ نَائِلَة، فضربه غلامٌ لعثمان رضي الله عنه فقتله، وقتل الغلام أيضًا، ثُمّ تنادى القوم: أنْ أدركوا بيت المال لا تسْتَبَقُوا إليه، فسمعَهُمْ حفظة بيت المال فقالوا: يا قوم النجا النجا، فإنّ هؤُلاءِ القوم لم يَصْدُقُوا فيما قالُوا من أنّ قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ممَّا ادّعوا

(١) (ابن عُدَيس): هو عبدالرحمن بن عديس البلوي، له صحبة، سكن مصر، وكان ممن قدم على عثمان حين حصر حتى قتل، وكان رأسًا فيهم (ابن سعد، الطبقات، ج٥٠٩/٧).

أنّهم إنّمَا قاموا لأجله وكذبوا، إنّما قصدهم الدُّنيا، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًا.(١)

وفي روايات أخرى أنه: جاء رويجلٌ كأنّه ذئبٌ فاطَّلَعَ من بابٍ ورجع، وجاء محمد بن أبى بكر في ثلاثة عشر رجلاً، فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك، قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي، قال: فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه ـ يعني أشار إليه ـ فقام إليه بمشقص فوجئ به رأسه. قلت: ثُمّ مه؟ قال: ثُمّ تعاوروا عليه حتى قتلوه.(٢)

ومن الملاحظ أنهم أحضروا نفطًا استخدموه لحرق باب

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧؛ وبعضه نقلاً عن الطبري في تاريخه. (انظر: الطبري، تاريخه، ج١٢٦/٥).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٨٤/٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٥.

عثمان رضي الله عنه،[١] ولا شك أن هذا الاستعداد يدل على تبييت النية لما جرى.

عن كنانة رضي الله عنه مولى صفية رضي الله عنها قال: رأيت قاتل عثمان رضي الله عنه في الدار رجلاً أسود من أهل مصر يقال له جبلة. باسطًا يديه. أو قال رافعًا يديه. يقول: أنا قاتل نَعْثَل.

وحدث كنانة العدوي قال: كنت فيمن حاصر عثمان رضي الله عنه قال: قلت محمد بن أبي بكر قتله؟ قال: لا قتله جبلة بن الأيهم.[٢] رجل من أهل مصر قال: وقيل قتله كبيرة السكوني، فقتل في الوقت، وقيل قتله كنانة بن بشر التجيبي.[٣] ولعلهم اشتركوا في قتله لعنهم الله. وقال الوليد بن عقبة رضي الله عنه:

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٣.

(٢) (جبلة بن الأيهم): لم أقف له على ترجمة، ويختلف عن ملك غسان المشهور.

(٣) (كنانة بن بشر التجيبي): ذكر أنه ممن خرج على علي رضي الله عنه بعد ذلك (انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٣١).

ألا أن خير الناس بعد نبيهم

قتيل التجيبي[١] الذي جاء من مصر[٢]

عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة. قال: ((كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمس مئة ألف درهم، ومئة ألف دينار، فانتهبت وذهبت، وترك ألف بعير بالرّبذة، وترك صدقاتٍ كان تصدّق بها، بئر أريس، وخيبر، ووادي القرى، فيه مئتا ألف دينار. وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي ﷺ وسبّلها)).[٣]

(١) يعنى بالتجيبي قاتل عثمان رضي الله عنه.

(٢) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٣/١١٤، ١١٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٩، ١٩٢.

دفن عثمان رضي الله عنه.

عُرف موضع قبره رضي الله عنه بِحَشّ كَوْكَبٍ ـ شرقيّ البقيع.[١] قال الإمام مالك: بلغني أنّ عثمان رضي الله عنه كان يمرُّ بمكان قبره من حَشّ كَوْكَبٍ فيقول: إنّه سيدفن هاهنا رجلٌ صالحٌ.[٢] وكان قد اشتراه وزاده في البقيع.[٣]

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: قتل عثمان رضي الله عنه، فأقام مطروحًا ... وأتاه اثنا عشر رجلاً منهم: جدِّي مالك بن أبي عامر، وحويطب بن عبدالعُزّى، وحكيم بن حزام،

---

(١) (حشّ كَوْكَب): هو نخل مجاور للبقيع لرجل يقال له كوكب. (البلاذري، ج٥/٢٢٠)؛
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٩٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٠.

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (حاشية على الإصابة) ج٣/٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٩.

وعبدالله بن الزبير، وعائشة بنت عثمان، معهم مصباح في حق فحملوه على باب، وإن رأسه تقول على الباب: طق طق، حتى أتوا به البقيع فاختلفوا في الصلاة عليه... فحملوه حتى أتوا به حُشّ كَوْكَبٍ، فلمّا دَلَّوْهُ في قبره صاحت عائشة بنت عثمان، فقال لها ابن الزبير: اسكتي، فوالله لئن عدت لأضربن الذي فيه عينك، فلما دفنوه وسَوّوْا عليه التراب قال لها ابن الزبير: صيحي ما بدا لك أنْ تصيحي.

وقد صلَّى الزبير ﷺ على عثمان ﷺ، وكان أوصى إليه.(١)

عن مالك بن أبي عامر ﷺ قال: ((كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم في حش كوكب، فكان عثمان بن عفان يقول يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك،

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٨.

فيتأسي الناس به، قال مالك بن أبي عامر: فكان عثمان بن عفان أول من دفن هناك)).[1]

ودفن من ليلته وهو الأرجح، ثُمّ كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفةً من الخوارج، وقيل بل استُؤْذِنَ في ذلك بعض رؤسائهم. فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة، فيهم حكيم بن حزام وحويطب بن عبدالعزّى وأبو الجهم بن حذيفة ونيار بن مكرم الأسلمي وجبير بن مطعم وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وطلحة والزبير وعليٌّ بن أبي طالب وجماعةٌ من أصحابه ونسائه ﷺ، منهُنّ امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيانٌ... وجماعة من خدمة حملوه على باب بعد ما غسّلُوهُ وكَفَّنُوهُ. ... وصَلَّى عليه جبير بن مطعم ﷺ، وقيل الزبير بن العوام ﷺ، وقيل حكيم بن حزام ﷺ، وقيل مروان بن الحكم ﷺ، وقيل المسور بن مخرمة... قالوا: لا يدفن في البقيع ولكن ادفنوه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٧.

وراء الحائط، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلاتٍ هناك.[١] ثم خرجوا بعبدي عثمان اللَّذينِ قُتِلا فِي الدار...[٢]

عن عبدالله بن عمرو بن عثمان ﷺ قال: ((دفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع)).[٣]

وقد اعتنى معاوية ﷺ في أيّام إمارته بقبر عثمان ﷺ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين، وعرفت بمقبرة بني أمية.[٤]

عن محمد بن يوسف قال: ((خرجت نائلة بنت الفرافصة تلك الليلة ومعها سراجٌ وهي تصيحُ: وَا أمير المؤمنيناه! قال:

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٦ ـ ٧٧.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩١.

فقال لها جبير بن مطعم: أطفئي السّرّاجَ لا يُفْطَنُ بنا فقد رأيت الغُواةَ الذين على الباب. قال فأطفأت السّرّاجَ، وَانْتَهَوا إلى البقيع فصلّى عليه جبير بن مطعم ﷺ وخلفه حكيم بن حزام ﷺ وأبو جهم بن حذيفة ﷺ ونيار بن مكرم الأسلمي ﷺ ونائلة بنت الفُرَافِصَةِ وأم البنين بنت عُيَيْنَةَ امرأتاه ﷺ. ونزل في حفرته نيار بن مكرم وأبو جهم بن حذيفة وجبير بن مطعم ﷺ. وكان حكيم بن حزام ﷺ وأم البنين ونائلة يُدَلُّونَهُ على الرّجَال حتى لَحَدُوا له وَبُنِيَ عليه وغَبُّوا قبره وتفرّقُوا)).[1]

عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه قال: ((كنت أحد حملة عثمان بن عفان حين توفي. حملناه على باب. وإنّ رأسه ليقرع الباب لإسراعنا به. وإنّ بنا من الخوف لأَمرًا عظيمًا. حتّى وارياه في قبره في حَشِّ كَوْكَبٍ)).[2]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٨ ـ ٧٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٧٨ ـ ٧٩.

مراثي شعرية في عثمان رضي الله عنه.[١]

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه حين قتل عثمان رضي الله عنه.

إن تمسِ دارُ ابنِ أروى منه خـــاويةٌ

بابٌ صَـــريعٌ وَبابٌ مُخـــرَقٌ خَـــرِبُ

فقَدْ يُصَـــادِفُ بَاغي العرفِ حاجَتَهُ

فِيهـــا ويَأوي إليها المجـــدُ والحَسَـــبُ

يا معشر الناسِ أبْدُوا ذَاتَ أنفسِكُمْ

لا يَسْتَوِي الصّدقُ عندَ اللَّهِ والكذِبُ[٢]

---

(١) لمجموعة من المراثي في عثمان رضي الله عنه انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٥١ ـ ١٥٢؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٣/٨١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٤٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٧؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٥٠؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٣/٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٨٨.

وهو القائل رضي الله عنه أيضًا:

قُلْتُمُ بَدِّلْ فَقَدْ بَدَّلَكُمْ
سَنَةً حَرّى وَحَرْبًا كَاللَّهَبْ
مَا نَقِمْتُمْ مِنْ ثِيَابٍ خِلْفَةٍ
وَعَبِيدٍ وَإِمَاءٍ وَذَهَبْ[1]

ولِحَسّانِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أيضًا:

وَتَرَكْتُمُ غَزْوَ الدُّرُوبِ وجِئْتُمُ
لِقِتَالِ قَوْمٍ عِنْدَ قَبْرِ مُحَمّدِ
فَلَبِئْسَ هَدْيُ الصّالِحِينَ هَدَيْتُمُ
وَلَبِئْسَ فِعْلُ الْعَابِدِ الْمُجْتَهِدِ
وَكَأَنّ أَصْحَابَ النّبِيّ عَشِيّةً
بُدُنٌ تُنَحّرُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٤.

أَبْكِي أَبَا عَمْــرٍو لِحُسْنِ بَلائِهِ

أَمْسَى رَهِينًا فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ[1]

وقال حسان بن ثابت ﷺ:

مَاذَا أَرَدْتُمْ مِنْ أَخِي الدِّينِ بَارَكَتْ

يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الأَدِيمِ الْمُقَــدّدِ

قَتَلــْتُمْ وَلِيّ اللَّهِ فِي جَــوْفِ دَارِهِ

وَجِــئْتُمْ بِأَمْرٍ جَــائِرٍ غَيْرَ مُــهْتَدِ

فَهَــــلا رَعَيْتُمْ ذِمّــةَ اللَّهِ بَيْنَكُــمْ

وَأَوْفَــيْتُمُ بِالْعَهْــدِ عَهْــدِ مُحَمّــدِ

أَلَمْ يَكُ فِيكُــمْ ذَا بَلاءٍ وَمَصْــدَقٍ

وأوفاكم عهدا لَدَى كُلِّ مَشْهَدِ

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٠ ـ ٨٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٩؛ انظر: ديوان حسان بن ثابت، ص ٦١، ٦٣.

فَـــلا ظَفِـــرَتْ أَيْمَـانُ قَوْمٍ تَبَايَعُوا

عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ الرّشِيدِ الْمُسَدّدِ[1]

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

مَنْ سَرّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لا مِزَاجَ لَهُ

فَلْيَأْتِ مَأْسَـــــدَةً فِي دَارِ عُثْمَـــانَا

مستحقبي حلق الماذيّ قد شفعت

فوق الْمَخَـــاطِمِ بَيْضٌ زَانَ أَبْـــدَانَا

ضَحّوْا بَأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ

يُقَـــطّعُ اللّيْلَ تَسْـــبِيحًا وَقُـــرْآنَا

صَبْرًا فِدًى لَكُمُ أُمّي وَمَا وَلَـدَتْ

قَدْ يَنْفَعُ الصّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أَحْيَانَا

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٦.

فَقَدْ رَضِينَا بَأَرْضِ الشّـــامِ نَافِرَةً

وَبِالأمِـــيرِ وَبِالإخْـــوَانِ إِخْـــوَانَا

إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِـدُوا

مَا دُمْـتُ حَيًّا وَمَا سُمِّـيتُ حَسّـــانَا

لَتَسْـــمَعُنَ وَشِيكًـــا فِي دِيَارِهِمُ

اللَّهُ أَكْـــــبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَـــــانَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي

مَا كَـــانَ شَـــأْنُ علي وابن عفـــانا[1]

ولليلى الأخيلية:

أَبَعْدَ عُثْمَانَ تَرْجُو الْخَيْرَ أُمّتُهُ

قَدْ كَانَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى سَاقِ

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٥١/٥؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٨١/٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٨٨/٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧. (مع اختلاف عند بعضهم في الأبيات).

خَلِيفَةُ اللَّهِ أَعْطَاهُمْ وَخَـوّلَهُمْ

مَا كَـــانَ مِنْ ذَهَـبٍ حُـــلْوٍ وَأَوْرَاقِ

فَلا تُكَـذّبْ بِوَعْدِ اللَّهِ وَاتّقِهِ

وَلا تَكُـــــونَنْ عَلَى شَيْءٍ بِإِشْفَـــاقِ

وَلا تَقُولَنْ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُـهُ

قَدْ قَـدّرَ اللَّهُ مَا كَـــانَ امْرُؤٌ لاقِ[1]

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:

فَكَـــفّ يَدَيْهِ ثُمّ أَغْلَـقَ بَـابَهُ

وَأَيْقَـــنَ أَنّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَـــافِلِ

وَقَـالَ لأَهْلِ الـدّارِ لا تَقْتُلُوهُمُ

عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٩٩.

فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبّ عَلَيْهِمُ

الْعَــدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التّوَاصُلِ

وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ

عَنِ النّاسِ إِدْبَارَ النّعَامِ الْجَوَافِلِ[1]

وقال الفرزدق:

إنَّ الخلافــة لمَّا أظعنت ظعنت

عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا

صارت إلى أهلها منهم ووارثها

لما رأى اللّه في عثمان ما انتهكــوا

السافكى دمه ظلمًا ومعصيةً

أي دم لا هدوا من غيِّهم سفكــوا[2]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٦/٧؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٨٢/٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٤٦/٧.

وقال أيمن بن خريم الأسدي:

تعاقـــدوا يذبحـــوا عُثمـان ضاحيةً

فـــأيِّ ذبح حـــــرام ويحـــــهم ذَبَحُـــــوا

ضَحّوْا بِعُثْمَانَ فِي الشّهْرِ الحَرَامِ وَلَمْ

يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الكـفر الذي طَمِحُوا

فاسْـــتَوْرَدتْهُمْ سُيُوفُ المُسْلِمينَ عَلَى

تَمَامِ ظِمءٍ كَـــمَا يُسْتَوْرَدَ النّضَـــحُ

مَـــاذَا أَرَادُوا أضَـــلّ اللّهُ سَعْـــيَهُمُ

بسفك ذَاكَ الدّمِ الذاكـي الذِي سَفَحُوا[1]

وقال الحباب بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق:

لَعَمْرُ أبيكَ فَلا تَجْـــزعَن

لَقَـدْ ذَهَـبَ الخَـيْرُ إلا قَلِـيلاً

---

(١) ابـن قتيبـة، المعـارف، ص ٨٥؛ الطـبري، تاريخـه ج٥/ ١٥١؛ ابـن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٣/٨٣.

لقد سفه الناس في دينهم

وَخَلَّى ابْنُ عَفَّانَ شَـرًّا طَـوِيلاً

أعاذلَ كـلُّ امرئ هالكٌ

فسيروا إلى اللّه سيرًا جميلاً[١]

وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت:

لعمري لبئس الذِّبح ضحيتم به

وخنتم رسول اللّه في قتل صاحبه[٢]

وقالت زينب بنت العوام:

وعطـشتم عثمان في جـوف داره

شربتم كشرب الهيم شرب حميم

فكيف بنا أم كيف بالنوم بعد ما

أصيب ابن أروى وابن أم حكـيم

---

(١) الطبري، تاريخه، ج١٥٢/٥.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة)، ج٨٣/٣.

وقال الوليد بن عقبة رضي الله عنه:

ألا من لليل لا تغور كواكبه
إذا لاح نجـــــم لاح نجـــــم يراقبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تهـــــبوه لا تحـــــل مناهـــــبه
بني هـــاشم لا تعجـــلوا بإقـــادة
ســـــواء علينا قـــــاتلوه وســـــالبه
فقد يجبر العظم الكـــسير وينبري
لذي الحـــق يومًـــا حقـــه فيطـــالبه
وإنا وإياكم وما كـــان منكـــم
كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
بني هاشم كـــيف التعـــاقد بيننا
وعـــند عـــلي سيفـــه وجـــــرائبه

لعمرك ما أنسى ابن أروى وقتلــه
وهل ينسين الماء ما عــاش شـــــاربه
همو قتلوه كي يكونوا مكــانه
كــما غدرت يومًا بكـــسرى مرازبه
وإني لمجتاب إليكـــم بجحـــفل
يصـــم السمـــيع جرســـه وجلائبــه

وقال الوليد بن عقبة رضي الله عنه أيضًا:

أَلا إِنّ خَـــيرَ الناسِ بَعـــدَ ثَلاثَةٍ
قَتيلُ التُجيبِيّ الَّذي جـاءَ مِن مِصرِ
فَإِن يَكُ ظَنّي يا اِبنَ أُمّيَ صادِقي
عُمـــارَةُ لا يُدرَكُ بِذَحـــلٍ وَلا وِتـــرِ
ببيـــت وَأَوتـــارُ اِبنِ عَفّـــــانَ
عَندَهُ مُخَيَّمَةٌ بَينَ الحَورَنَقِ وَالجِسرِ[1]

(١) الطبري، تاريخه، ج١٥١/٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٨٩/٣.

وقال الوليد بن عقبة رضي الله عنه يرثى عثمان رضي الله عنه ويحرض معاوية رضي الله عنه على الأخذ بثأره:

وَاللَهِ ما هِندٌ بِأُمِّك إِن مَضى النَهارُ
وَلَم يَثأَر بِعُثمانَ ثائِرُ
أَيَقتُلُ عَبدُ القَومِ سَيِّدَ أَهلِهِ
وَلَم يَقتُلوهُ لَيتَ أُمَّكَ عاقِرُ
وَأَنّا مَتى نَقتُلْهُمُ لا يُقَدْ بِهِم
مَقيدٌ فَقَد دارَت عَلَيكَ الدَوائِرُ

وقال راعى الإبل النميري في ذلك:

عَشِيّةَ يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ
عَلَى مُتَوَكِّلٍ أَوْفَى وَطَابَا
خَلِيلُ مُحَمّدٍ وَوَزِيرُ صِدْقٍ
وَرَابِعُ خَيْرِ من وطئ الترابا[1]

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٨٧.

وقال عبدالله بن أبي ربيعة أخي عياش بن أبي ربيعة:

أَتَانِيَ أَمْـرٌ فيه للـنّاسِ غُـمّةٌ

وفيه بُكـــاءٌ للعُيُونِ طَـــويلُ

وَفِيهِ مَـــتَاعٌ لِلْحَـــيَاةِ بِذِلَّـةٍ

وَفِيهِ اجْـــتِدَاعٌ لِلأُنُوفِ أَصِيلُ

مُصَـــابُ أَمِيرِ الْمُـؤْمِنِينَ وَهَذِهِ

يُعَادُ لَهَا شُـــــمُّ الْـجِبَالِ تَزُولُ

تَداعَـــتْ عَلَيْهِ بالمـدِينةِ عُصْبَةٌ

فَريقـــانِ منها قـاتِلٌ وخـذولُ

سَأَبْكِي أَبَا عَمْرٍو بِكُـلِّ مُهَنَّدٍ

وَبِيضٍ لَهَا فِي الـدَّارِعِينَ هَـلِيلُ

وَلا نَوْمَ حَتَّى يُسْجَنَ الْقَوْمُ بِالْقَنَا

وَيَشْفَى مِنَ الْقَـوْمِ الْغُوَاةِ غَلِيلُ

وَلَسْتُ مُقِيمًـا مَا حَيِيتُ بِبَلْـدَةٍ

أَجُـــــرُّ بِهَا ذَيْلاً ، وَأَنْتَ قَتِيلُ[١]

ومما رثي به عثمان رضي الله عنه قول كعب بن مالك.

فَكَـــفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَـقَ بَابَهُ

وَأَيْقَـــنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِـــــلِ

وَقَالَ لأَهْلِ الدَّارِ لا تَقْتُلُوهُـــمُ

عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ

فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَـاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ

وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْدَهُ

عَنِ النَّاسِ إِدْبَارَ الرِّيَاحِ الْحَـوَافِلِ[٢]

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١١٣/٣.

(٢) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١١٤/٣.

موقف الصحابة ﷺ من مقتل عثمان ﷺ.

حزن الصحابة ﷺ لاستشهاد عثمان ﷺ، ونقلت أقوال عديدة عنهم، تدل على إنكارهم. والغريب في الأمر أن القتلة لمكُرهم كان بعضهم يناجي بعض الصحابة ﷺ، فأحدهم يناجي طلحة بن عبيدالله ﷺ والآخر يناجي علي بن أبي طالب ﷺ على مرأى من الناس ليوهموهم وكأنهم معهم، في مكر لم يكن أهل المدينة يعرفونه.[1] بل إن أحدهم بعد قتل عثمان ﷺ أخذ ينادي على طلحة بن عبيدالله ﷺ أين طلحة قد قتلنا عثمان، ليتوهم الناس أنهم نفذوا أمرًا يطلبه طلحة.[2]

وكان على رأس الصحابة عليٌّ ﷺ الذي كان مدافعًا عن عثمان ﷺ كارهًا لمقتله ﷺ حزينًا عليه، وهو صهره وقريبه.[3] ومع ذلك حاول أهل الفتنة أن يشيعوا في الناس

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٣.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/١٣١؛ الحاكم، المستدرك، ج٣/٩٥؛ =

رضا عليٍّ قتل عثمان ﷺ إمعانًا في المكر بالأمة، وسعيًا وراء الانقسام والفساد.[١] ومن المعروف نهب أهل الفتنة بيت مال المسلمين المجاور لدار عثمان ﷺ.[٢] وهذا مما أثبت للناس عمومًا في المدينة كذب قتلة عثمان ﷺ، وأنه لا ورع لديهم.

كان ابن عمر ﷺ يتحدث: أن عثمان ﷺ قُتل مظلومًا طوال حياته. فيقول: ((عثمان ذو النورين أصبتم اسمه، قُتِل مظلومًا، أُوتي كفلين من الأجر)).[٣]

وعن محمد بن سيرين ﷺ: ((أنّ رجلاً بالكوفة شهد أنّ

=الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٩/٣؛ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان، ص ١٥٤.

(١) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨٥.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤٠٧/٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦٨/٣.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٨٩/٩.

عثمان بن عفان ﷺ قُتِل شهيدًا، فأخذته الزِّبَانِيَةُ، فرفعوه إلى أعلى، وقالوا: لولا أن تنهانا أو نهينا ألا نقتل أحدًا لقتلناه، زعم أنّه يشهد أنّ عثمان ﷺ قتل شهيدًا. فقال الرّجُلُ لعليّ ﷺ: وأنت تشهد أنّهُ شهيدٌ!! أتذكر أني أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فأعطاني، وأتيت أبا بكر فسألته، فأعطاني، وأتيت عمر ﷺ فسألته، فأعطاني، وأتيت عثمان بن عفان ﷺ فسألته، فأعطاني؟ قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ادع الله أنْ يبارك لي، فقال النبى ﷺ: "كيف لا يبارك لك وأعطاك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان، وأعطاك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان، وأعطاك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان")).[1]

روي عن عبدالله بن عُكيم ﷺ قال: ((لا أُعِينُ على دم خليفةٍ أبدًا بعد عثمان. قال: فيقال له: يا أبا معبدٍ أو أعنت على دمه؟ فقال: إني لأَعُدُّ ذكر مساويه عونًا على

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٠، ٩١؛ أبو يعلى، مسنده، ج٣/١٣١.

دمه)).[١] وهذا درس في البعد عن الحديث السيء عن عثمان بن عفان ﷺ.

عن ابن عباس ﷺ قال: ((لو أجمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط)).[٢]

وخطب ابن عباس ﷺ، فقال: ((لو أنّ الناس لم يطلبوا بدم عثمان لرجموا بالحجارة من السماء)).[٣]

وكان الصحابة ﷺ يكرهون الحديث عن عثمان ﷺ بسوء فقد خرج من الكوفة جريرٌ ﷺ، وعديٌ بن حاتم ﷺ، وحنظلة الكاتب ﷺ، إلى قَرْقِيسْيَا،[٤] وقالوا: لا نُقِيمُ في بلدةٍ يُشْتَمُ فيها عثمان ﷺ.[٥]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٠.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٧.

(٤) (قَرْقِيسيا): بلد على مصب الخابور من دجلة والفرات (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٢٨).

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٨.

ولمَّا قتل عثمان ﷺ. قال حذيفة هكذا وحلق بيده يعني عقد عشرةً. فُتِقَ في الإسلام فَتْقٌ لا يَرْتُقُهُ جبلٌ.(١)

ولمَّا بلغ ثُمَامة بن عديّ ﷺ (٢) قتلُ عثمان ﷺ، وكان أميرًا على صنعاء. وكانت له صحبةٌ. بكى فطال بكاؤُهُ، ثُمّ قال: هذا حين أُنْزِعَتْ خلافة النبوة من أمة محمدٍ وصار ملكًا وجبريّةً. من غلب على شيء أكله.(٣)

قال أبو حميد الساعدي ﷺ(٤) لمَّا قُتِل عثمان ﷺ. وكان ممَّن شهد بدرًا: اللهم إنّ لك عليّ ألا أفعل كذا ولا أفعل كذا ولا أضحك حتى ألقاك.(٥)

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٠.

(٢) (ثمامة بن عدي): القرشي، صحابي من المهاجرين الأولين، وقيل شهد بدر (ابن حجر، الإصابة، ج١/ ٢٠٢).

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٠.

(٤) (أبو حميد الساعدي): اسمه عبدالرحمن بن سعمن بني ثعلبة، صحابي جليل شهد أُحُدًا وما بعدها، توفي آخر خلافة معاوية ﷺ (ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٦).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.

كان أبو هريرة ﷺ إذا ذكر ما صنع بعثمان ﷺ بكى. قال: ((فكأنِّي أسمعه يقول هَاهْ هَاهْ ينتحب)).[١]

وزيد بن ثابت ﷺ كان يبكي على عثمان ﷺ يوم الدار.[٢]

وسمع عبدالله بن سلام ﷺ يقول يوم قُتل عثمان: ((اليوم هلكت العرب)).[٣]

وسمع يقول: ((والله لا تهرقون محجمًا من دم إلا ازددتم به من الله بُعْدًا)).[٤]

وسئل عبدالله بن سلام ﷺ: كيف يجدون صفة عثمان في كتبهم؟ قال: نجده أميرًا يوم القيامة على القاتل والخاذل.[٥] أو يحكم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨١.

عن أبي قلابة ﷺ قال: ((بلغني أنّ عثمان بن عفان يحكم في قتلته يوم القيامة)).[١]

عن ابن عباس ﷺ قال: ((سمعت عليًا يقول حين قتل عثمان: واللّه ما قُتلت ولا أُمرت. ولكن غُلبت. يقول ذلك ثلاث مرات)).[٢]

أخبرنا الحسن ﷺ قال: ((لَمَّا أدركوا بالعقوبة. يعني قتلة عثمان بن عفان. قال: أخذ الفاسق ابن أبي بكر. وكان الحسن لا يُسَمِّيهِ باسمه إِنّمَا كان يُسَمِّيهِ الفاسق)).[٣]

وحذيفة بن اليمان ﷺ قال: ((اللهم إن كان قتل عثمان خيرًا فليس منه نصيبٌ. وإن كان قتله شرًّا فإني منه بريءٌ. واللّه لئن كان قتله خيرًا لَيَحْلُبُنّهَا لبنًا. ولئن كان قتله شرًّا ليمتصُّنَ بها دمًا)).[٤]

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٢.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٣.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٣.

عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: ((ما قتل نبيٌّ قَطُّ إلا قتل به سبعون ألفًا من أُمّتِهِ. ولا قتل خليفةٌ قَطُّ إلا قتل به خمسةٌ وثلاثون ألفًا)).(١)

وقد أجاد ابن كثير رحمه الله في تحليل موقف الصحابة رضي الله عنهم من مقتل عثمان رضي الله عنه وتساءل: ((إنْ قال قائلٌ كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعةٌ من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟ فجوابه من وُجُوهٍ؛ (أحدها) أنّ كثيرًا منهم، بل أكثرهم أو كُلُّهُمْ لم يكن يظنُّ أنّهُ يبلغ الأمر إلى قتله، فإنّ أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينًا، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثةٍ إمّا أن يعزل نفسه، أو يسلِّم إليهم مروان بن الحكم، أو يقتلوه، فكانوا يرجون أنْ يُسَلِّم إلى الناس مروان، أو أنْ يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة. وأما القتل فما كان يظُنُّ أحدٌ أنّهُ يقع، ولا أنّ هؤلاء يجترءون عليه إلى ما هذا حدُّهُ، حتى وقع ما وقع والله أعلم.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٨٣.

(الثاني) أنّ الصحابة ﷺ مانعوا دونه أشدّ الممانعة، ولكن لَمّا وقع التضييق الشديد، عزم عثمان ﷺ على الناس أنّ يَكُفُّوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكَّنَ أولئك مِمّا أرادوا، ومع هذا ما ظنّ أحدٌ من النّاسِ أنّهُ يقتل بالكُلِّيّةِ.

(الثالث) أنّ هؤلاء الخوارج لَمّا اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، بل لما اقترب مجيئُهُمْ، انتهزوا فرصتهم، قَبّحَهُمُ اللّه، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

(الرابع) أنّ هؤلاء الخوارج كانوا قريبًا من ألفي مقاتل من الأبطال، ورُبّمَا لم يكن في أهل المدينة هذه العِدّةُ من المقاتلة؛ لأنّ الناس كانوا في الثُّغُورِ وفي الأقاليم في كُلِّ جهةٍ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، يضعه على حبوته إذا احتبى، والخوارج

محدقون بدار عثمان ﷺ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك. ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان ﷺ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسَوّرُوا عليه حتى قتلوه.

وأمّا مَا يذكره بعض الناس من أنّ بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله فهذا لا يصحُّ عن أحد من الصحابة أنّه رضي بقتل عثمان ﷺ، بل كُلُّهُمْ كرهه، ومقته، وَسَبّ من فعله، ولكن بعضهم كان يَوَدُّ لو خلع نفسه من الأمر، كعمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم)).[1]

قال عبدالله بن مسعود ﷺ: ((ما يَسُرُّنِي أنِّي رميت

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٨/٧.

عثمان بسهم أخطأه، أحسبه قال: أريد قتله وأنّ لي مثل أحدٍ ذهبًا)).[١]

وروي عن أبي بكرة ﷺ: ((لأَنْ أَخِرّ من السماء فأنقطع أحبُّ إليّ من أنْ أكون شركتُ في دم عثمان)).[٢]

عن سعيد بن زيد ﷺ قال: ((لقد رأيتني موثقي عمر وأخته على الإسلام لو أرفض أحد مما صنعتم بعثمان كان حقيقًا)).[٣]

وكان موقف الأنصار واضحًا في الدفاع عن عثمان ﷺ، حيث عرض زيد بن ثابت ﷺ على عثمان ﷺ النصرة قائلاً: ((هؤلاء الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٣.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٢، برقم: ١٨٩٣٣.

الله مرتين، فقال ﷺ: لا حاجة لي في ذلك، كُفُّوا)).[١]

وقال عبدالله بن سلام ﷺ لما حصر عثمان في الدار: ((لا تقتلوه فإنه لم يبق من أجله إلا قليل؛ والله لئن قتلتموه لا تصلون جميعًا أبدًا)).[٢]

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: ((والله لئن قتلتم عثمان لا تصيبون منه خلفًا)).[٣]

ورجل من قريش يقال له ثمامة كان على صنعاء، فلما جاء قتل عثمان بكى فأطال البكاء، فلما أفاق قال: ((اليوم انتزعت ـ النبوة أو قال: الخلافة من أمة محمد وصارت ملكًا وجبرية فمن غلب على شيء أكله)).[٤]

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٧٣؛ ابن سعد الطبقات، ج٣/٧٠؛ انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٥.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٢، ٥٩٣، برقم: ١٨٩٣٤.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٣، برقم: ١٨٩٣٥.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٣، برقم: ١٨٩٣٦.

عن أبي قلابة ﷺ قال: ((لما قتل عثمان قام خطباء إيلياء؛[١] فقام من آخرهم رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، إن رسول الله ﷺ ذكر فتنة ـ أحسبه قال: فقر بها فمر رجل مقنع بردائه، فقال رسول الله: ﷺ هذا يومئذ وأصحابه على الحق، فانطلقت فأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا؟ فقال: نعم فإذا هو عثمان)).[٢]

عن ابن عباس ﷺ قال: ((لو أن الناس اجتمعوا على قتل عثمان رجموا بالحجارة كما رجم قوم لوط)).[٣]

ولَمَّا بلغ الزبير ﷺ مقتل عثمان ـ وكان قد خرج من

---

(١) (إيلياء): هي بيت المقدس (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٩٢).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٣، ٥٩٤، برقم: ١٨٩٣٧.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عثمان وقتله، ج١٤/٥٩٤، برقم: ١٨٩٣٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/٨٠.

المدينة المنورة ـ قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة] ثُمّ تَرَحّمَ على عثمان ﷺ، وبلغه أنّ الذين قتلوه ندموا فقال: تَبًّا لهم، ثُمّ تلا قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس].

وبلغ عليًّا ﷺ قتله فترحم عليه. وسمع بندم الذين قتلوه، فتلا قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر].

ولمّا بلغ سعد بن أبي وقاص ﷺ قتل عثمان ﷺ استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف] ثُمّ قال سعد ﷺ: اللهم أنْدِمْهُمْ ثُمّ خذهم. وقد أقسم بعض السّلَف باللّه أنّه ما مات أحدٌ من قتلة عثمان إلا مقتُولاً.

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوهٍ منها (دعوة سعد المستجابة) كما ثبت في الحديث الصّحيح.[١]

وقال بعضهم: ما مات أحدٌ منهم حتى جُنّ. وقال الواقدي: حدثني عبدالرحمن بن أبي الزّنَاد عن عبدالرحمن بن الحارث قال: الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عَتّاب التُّجِيبِيُّ. وكانت امرأة منظور بن سَيّار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلاً يغنى تحت الليل:

أَلا إنّ خَيْرَ النّاس بَعْدَ ثَلاثَةٍ

قَتِيلُ التجيبي الّذي جاء من مصر

ولما رجع الحج وجدوا عثمان ﷺ قد قتل، وبايع الناس علي بن أبي طالب ﷺ. ولَمّا بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أنّ عثمان قد قتل، رجعن إلى مكة فأقمن بها

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٨٩.

نحوًا من أربعة أشهر.[١]

عن حذيفة. قال: ((أَوّلُ الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدّجّال، والذي نفسي بيده لا يموت رجلٌ وفي قلبه مثقال حبّةٍ من حُبِّ قتل عثمان إلا تبع الدّجّالَ إنْ أدركه، وإنْ لم يدركه، آمن به في قبره)).[٢]

روي ((أنّ حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه كان عنده رجلٌ من إخوانه وهو يناجي امرأتهُ ففتح عينيه فسألهما فقالا خيرًا، فقال: إنّ شيئًا تُسِرّانِهِ دوني ما هو بخير، قال: قتل الرجل ـ يعني عثمان ـ قال: فاسترجع ثُمّ قال: اللهم إني كنت من هذا الأمر بمعزل، فإن كان خيرًا فهو لمن حضره وأنا منه بريءٌ، وإن كان شرًّا فهو لمن حضره وأنا منه بِرِيءٌ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٢.

الحمد لله الذي سبق بي الفتن، قادتها وعلوجها الخطى، من تردى بغيره فشبع شحمًا وقبل عمله)).[١]

عن سعيد بن المسيب ﷺ، قال: كانت المرأة تجيء في زمان عثمان ﷺ إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول: اللهم بدّل، اللهم غَيّرْ. فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان ﷺ.

قُلْتُمُ بَدِّلْ فَقَدْ بَدّلَكُمْ
سَنَةً حَرّى وَحَرْبًا كَاللَّهَبْ
مَا نَقِمْتُمْ مِنْ ثِيَابٍ خِلْفَةٍ
وَعَبِيدٍ وَإِمَاءٍ وَذَهَبْ[٢]

وعن عبدالرحمن بن جبير ﷺ. قال: ((سمع عبدالله بن سلام رجلاً يقول لآخر: قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان. فقال ابن سلام أجل! إنّ البقر والمعز لا تنتطح في

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٢/٧.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٤/٧.

قتل الخليفة، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح، واللّه لتقتلن به أقوامٌ إنّهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد)).[1]

عن زيد بن صوحان أنّه قال: ((يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها، والذي نفسي بيده لا تتآلف إلى يوم القيامة. وقالت عائشة رضي الله عنها: مصصتموه مص الإناء ثُمّ قتلتموه؟ قالت عائشة رضي الله عنها: غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف، استَعْتَبْتُمُوهُ حتى إذا تركتموه كالقعب الْمُصَفَّى قَتَلْتُمُوهُ)).[2]

ولم تكن الصحابيات رضي الله عنهن بأقل حماسًا في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه ومنهن أسماء بنت عميس وكذلك الصعبة بنت

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقبل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٩٧.
و(زيد بن صوحان): هو ابن حجر بن الحارث بن الهجرس العبدي أسلم في عهد النبي ﷺ، واختلف في صحبته (ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٦٨).

الحضرمي، وغيرهن رضي الله عنهم.[1]

(١) انظر: علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص ٤٥٩ ـ ٤٦١.

علي ﷺ ومقتل عثمان ﷺ.

حاول بعض المفتونين تصوير علي ﷺ كمشارك في النقمة على عثمان ﷺ وقتله، وحاشا لله أن يكون علي ﷺ كذلك، فقد كان من رجال عثمان ﷺ ومستشاريه، والمدافعين عنه ﷺ، وله دور في مناقشة أهل الفتنة.[1] والرد عليهم وإقناعهم بالعودة من حيث أتوا، وقد تظاهروا بذلك ثم رجعوا مرة أخرى، فاستغرب علي ﷺ ذلك وقال: إنه أمر قضي بالمدينة.[2] وحزن لاستشهاده ﷺ. وقد حاول البعض تزوير موقف علي ﷺ من قتل عثمان ﷺ وتصويره كالراضي. والروايات التي ترد على ذلك كثيرة.

عن حصين الحارثي ﷺ قال: ((جاء علي بن أبي طالب إلى زيد بن أرقم ﷺ يعوده، وعنده قوم، فقال علي: اسكنوا أو اسكتوا فوالله لا تسألوني عن شئ إلا

---

(١) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج١٠٥/٥؛ انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٢٢.

أخبرتكم، فقال زيد: أنشدك اللّه أنت قتلت عثمان؟ فأطرق علي ساعة ثم قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قتلته ولا أمرت بقتله)).[١]

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ﷺ قال: ((رأيت عليًّا عند أحجار الزيت رافعًا ضبعيه[٢] يقول: اللهم إني أَبْرَأُ إليك من أمر عثمان)).[٣]

والشواهد تدل على دفاع الحسين ﷺ والحسين عن عثمان ﷺ في داره، ولا شك أن ذلك بموافقة علي ﷺ، فعن قتادة قال: ((رأيت الحسن بن علي ﷺ أخرج من دار عثمان جريحًا)).[٤]

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١١٤.

(٢) (رافعًا ضبعيه): رافعًا يديه حتى يبدو ابطيه.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٣/٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٣.

(٤) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١١٤.

عن أبي جعفر الأنصاري ﷺ. قال: ((لَمَّا قتل عثمان جئت عليًّا وهو جالسٌ في المسجد وعليه عمامةٌ سوداءُ فقلت له: قتل عثمان، فقال: تَبًّا لهم آخر الدّهْرِ. وفي روايةٍ: خيبةً لهم)).[1]

وذكر أن عثمان ﷺ قتل وعلي ﷺ غائبٌ في أرض له، فلما بلغه قال: ((اللهم إنِّي لم أرض ولم أمالئ)).[2]

ثم: ((إنّ عليًّا دخل على عثمان فوقع عليه، وجعل يبكي حتى ظنُّوا أنّهُ سيلحق به)).[3]

وقد روى علي ﷺ: ((يا عمار ويا محمد تقولان إن عثمان استأثر وأساء الإمرة وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة وستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم ثم قال:

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٣/٧.

(٢) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢٢٧/٥ ـ ٢٣٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٣/٧.

يا محمد بن حاطب إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان فقل كان والله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون)).[١]

عن ابن عباس ﷺ. قال: ((قال عليٌّ: إنْ شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم باللَّه ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله)).[٢]

وروي عن علي ﷺ أنه كان مستعدًا للحلف خمسين مرة أنه لم يقتل عثمان ﷺ ولم يمالئ عن قتله.[٣]

عن ابن عباس ﷺ قال: ((قال عليٌّ يوم قتل عثمان ﷺ:

---

(١) النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ج٣/١١١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٣.

(٣) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥/٢١٥.

والله ما قتلت ولا أمرت ولكنى غلبت)).[١]

عن قيس بن عباد ﷺ. قال: ((سمعت عليًا يوم الجمل يقول: اللهم إنِّي أبرأُ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاءُونِي للبيعة فقلت: والله إنِّي لأستحيي من الله أنْ أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: "إنِّي لأستحيى ممن تستحي منه الملائكة" وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت: اللهم إنِّي أشفق ممَّا أقدم عليه، ثُمّ جاءت عزمةٌ فبايعت. فلما قالوا: أمير المؤمنين كان صدع قلبي واسكت نفرة من ذلك)).[٢]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٣/٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٣/٧؛ النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، ج١٠٢/٢.

وثبت عنه ﷺ أيضًا من غير وجهٍ أنّه قال: ((إنِّي لأرجو أنْ أكون أنا وعثمان مِمّنْ قال اللّه ـ تعالى ـ فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر] وثبت عنه ﷺ أيضًا من غير وجهٍ أنّه قال: ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ [المائدة: ٩٣])).[1]

وفي روايةٍ أنّه ﷺ قال: ((كان عثمان ﷺ خيرنا وأوصلنا للرحم، وأشدّنا حياءً، وأحسننا طهورًا، وأتقانا للرّبِّ ﷻ)).[2]

ومن المؤكد أن عليًّا ﷺ تحدث في خطبه أكثر من مرة عن مقتل عثمان ﷺ واستشهاده، وما نقله الرواة

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٣/٧؛ النيسابوري، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، فضائل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، ج١١٢/٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٩٤/٧.

المختلفون بألفاظ مختلفة يؤكد ذلك، وليس فيها تكرار بل هو ـ كما يبدو ـ تعدد للخطب في مواضع مختلفة بنفس المعنى.

وكان على ﷺ يدافع عن أعمال عثمان ﷺ ومن ذلك جمعه الناس على مصحف واحد، ويؤكد أنه ما فعل ذلك إلا عن ملأ من الصحابة ﷺ.[1]

(١) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤١٦.

أمهات المؤمنين ﷺ ومقتل عثمان ﷺ.

كان عدد من أمهات المؤمنيين ﷺ باقيات حين استشهاد عثمان ﷺ. وقد رصدت لنا الروايات موقف عدد منهن من قتله ﷺ، ولا شك أن رأيهن مقدم ويهم الأمة في حينه، ومن بعده.

روي عن أنس بن مالك ﷺ. قال: ((قالت أم سليم لَمَّا سمعت بقتل عثمان ﷺ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دمًا)).[1]

وكانت عائشة ﷺ تدعو على قتلة عثمان ﷺ. وسُمعت ﷺ تقول: ((قُتِلَ مَظْلُومًا لعن الله قَتَلَتَهُ)).[2]

وقد قالت عائشة ﷺ حين قتل عثمان: ((تركتموه كالثَّوْبِ النَّقِيّ من الدنس ثُمّ قتلتموه. وفي روايةٍ: ثُمّ قَرّبْتُمُوهُ ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش؟ فقال لها

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٥.

مسروقٌ: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أنْ يخرجوا إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنّه كتب على لسانها)).[1]

ويؤكد ابن كثير ﷺ أن هذا إسنادٌ صحيحٌ إليها. ((وفي هذا وأمثاله دلالةٌ ظاهرةٌ على أنّ هؤلاء الخوارج قبّحهم الله، زَوّرُوا كُتُبًا على لسان الصحابة إلى الآفَاق يُحَرِّضُونَهُمْ على قتال عثمان)).[2]

وكانت عائشة ﷺ. تقول: ((في عثمان: لعن الله من لعنه، لعن الله من لعنه قالت: ثلاث مرات ـ لقد رأيت رسول الله ﷺ ـ وهو مسندٌ فخذه إلى عثمان، وإنِّي لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإنّ الوحي ينزل عليه، ولقد زَوّجَهُ

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢/٨٠ ـ ٨١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/١٩٥.

ابنتيه إحداهما بعد الأخرى، وإنّه ليقول: اكتب عُثَيْمُ. قالت: ما كان الله ﷻ لِيُنْزِلَ عبدًا من نبيّهِ بتلك المنزلة إلا عبدًا كريمًا عليه..)).[1]

وقال طلق بن خشاف رضي الله عنه: ((وفدنا إلى المدينة لننظر فِيمَ قتل عثمان، فلمّا قَدِمْنَا مررنا ببعض آل عليّ، وبعض آل الحسين بن عليّ، وبعض أمهات المؤمنين، فانطلقت حتى أتيت عائشة فسَلَّمْتُ عليها، فردت السلام وقالت: من الرّجُلُ؟ قلت: من أهل البصرة قالت: ومن أيّ أهل البصرة؟ قلت: من بكر بن وائل، فقالت: ومن أيّ بكر بن وائل؟ فقلت: من بني قيس بن ثعلبة، فقالت: من آل فلان؟ فقلت لها: يا أم المؤمنين، فِيمَ قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قالت: قتل والله مظلومًا، لعن الله من قتله، أقاد الله من ابن أبي بكر به، وساق الله إلى أعين بن تيم هوانًا

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٨٦/٩، ٨٧؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٢٠٩/٧؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢٣/٣.

في بيته، وأراق الله دماء بني بُدَيْل على ضلاله، وساق الله إلى الأشتر سهمًا من سهامه. فوالله ما من القوم رجلٌ إلا أصابته دعوتها)).[١]

وقد قامت صفية رضي الله عنها بالتوجه بدابتها لترد عن عثمان رضي الله عنه، فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ((ردوني ولا يفضحني هذا الكلب)).[٢]

ولما اشتدَّ أذى المتمرِّدين على عثمان بن عفان رضي الله عنه قال الناس: ((لو جئتم بأمِّ المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ عسى أن يكفُّوا عنه. فجاءُوا بأمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، وهي على بغلة بيضاء في محفَّة، فلمَّا جاءُوا بها إلى الدار صرفوا وجه البغلة حتى ردُّوها)).[٣]

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٩/٩٧.

(٢) انظر: أكرم العُمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٣٢.

(٣) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥/٢٠٨؛ علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص ٥٤٦؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٢٧.

مابعد استشهاد عثمان ﷺ.

((لَمَّا قتل عثمان ﷺ بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، ووجدوا طلحة ﷺ في حائطٍ له، ووجدوا سعدًا والزبير قد خرجا من المدينة، ... فأتى المصريون عليًّا فباعدهم، وأتى الكُوفِيُّونَ الزبير فباعدهم، وأتى البصريُّونَ طلحة فباعدهم، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان ﷺ مختلفين فيمن يلي الخلافة)).[1]

فأرسلوا إلى سعد ﷺ يطلبونه، فقال: إنِّي وابن عمر لا حاجة لنا فيها، فأتوا ابن عمر ﷺ فلم يجبهم، فبقوا حيارى... فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم: يا أهل المدينة أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وَحُكْمُكُمْ جائزٌ على الأمة، فانظرُوا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبعٌ، وقد أجّلناكم يومكم، فوالله لئن لم تفرُغُوا لَنَقْتُلَنّ غدًا عليًّا

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٩٢/٣ ـ ١٩٣.

وطلحة والزبير وأناسًا كثيرًا! فغشي الناس عليًّا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتُلِينَا به من بين القرى. فقال عليٌّ رضي الله عنه: دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مُسْتَقْبِلُونَ أمرًا له وجوهٌ وله ألوانٌ لا تقوم به القلوب ولا تثبتُ عليه العقول. فقالوا: ننشُدُكَ اللَّهَ! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخافُ اللَّهَ؟ فقال: قد أجبتكم، واعلموا أنّي إنْ أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإنْ تركتموني فإنّمَا أنا كأحدكم، إلا أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن وَلَّيْتُمُوهُ. ثُمّ افترقوا على ذلك واتّعَدُوا الغد... ولمَّا أصبحوا يوم البيعة، وهو يوم الجمعة، حضر الناس المسجد، وجاء عليٌّ فصعد المنبر وقال: أيها الناس، عن مَلإٍ وَإذْنٍ، إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقٌّ إلا من أَمّرْتُمْ، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أنْ أكون عليكم، ألا وإنّهُ ليس لي دونكم إلا مفاتيح مالكم معي، وليس لي أنْ آخذ درهمًا دونكم، فإنْ شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجد

على أحدٍ. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس... وبايعت الأنصار إلا نُفيرًا يسيرًا.(١)

وروي أنّهُ: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليًا فقالوا له: إنّه لا بُدّ للناس من إمام. قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به. فقالوا: ما نختار غيرك، وترَدّدُوا إليه مرارًا وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحدًا أحقّ به منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب قرابةً من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيرًا خيرًا من أن أكون أميرًا. فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خُفيةً ولا تكون إلا في المسجد. وكان في بيته، وقيل: في حائطٍ لبني عمرو بن مَبْذُول، فخرج إلى المسجد وعليه إزارٌ وطاقٌ وعمامة خزّ ونعلاهُ في يده متوكّئًا على قوس، فبايعه الناس. وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيدالله، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٩٢/٣.

للّه! أول من بدأ بالبيعة يدٌ شلاء، لا يتمُّ هذا الأمر! وبايعه الزبير. وقال لهما علىٌّ: إنْ أحببتما أن تبايعانى وإن أحببتما بايعتكما. فقالا: بل نبايعك... وقد بايع الناس علىِ بن أبىِ طالب ﷺ، يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة (٣٥هـ) وانتظم الأمر، واجتمع الشمل.(١)

وروي عن عبدالله بن سلام ﷺ: أنه جلس لعلىّ ﷺ في الطريق فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أرض العراق قال: لا تأت العراق وعليك بمنبر رسول الله ﷺ. فوثب به أناسٌ من أصحاب علىّ وهمُّوا به، فقال علىٌّ: دعوه فإنّه منّا أهل البيت. فلمّا قتل علىٌّ قال عبدالله لابن معقل: هذه رأس الأربعين، وسيكون على رأسها صلحٌ، ولن تقتل أمّةٌ نَبِيّهَا إلا قتل به سبعون ألفًا، ولن تقتل أُمّةٌ خليفتها إلا قتل به أربعون ألفًا.(٢)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٩٠، ١٩١، ١٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٢٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٩/٩٢.

موقف الأمة من استشهاد عثمان ﷺ.

كان استشهاد عثمان ﷺ صعبًا على الأمة منذ ذلك الحين إلى يومنا الحاضر، فتلك مصيبة صار لها ما بعدها، وتناقل الناس أقوال العلماء حول الحدث، وكلام أئمة التابعين المنقول متعدد، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتلته: ((إنكم مثلهم أو أعظم جرمًا أما مررتُم ببلاد ثمود؟ قالوا: نعم! قال: فأشهد أنكم مثلهم، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته. وعن الحسن. قال: لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنًا، ولكنّه كان ضلالاً فاحتلبت به الأمة دمًا)).[1]

وكانت الناس بعد استشهاد عثمان ﷺ يتلمسون من أخباره لدى الثقات من الصحابة ﷺ. فقد جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج١٢٢/٧.

قالوا: عبدالله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: ((إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه)). وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: ((هذه يد عثمان)). فضرب بها على يده، فقال: ((هذه لعثمان)). فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.[1]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٤/٢٠٣، ٢٠٤؛ سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ج٥/٦٢٩، ح رقم: ٣٧٠٦.

ومن كلام ابن كثير ﷺ: ((فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيرًا من الأقاليم والأمصار، وتوسّعت المملكة الإسلامية، وامتدّت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المُصْطَفَويّةُ في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]. وقوله ﷺ: ((إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)) وهذا كُلُّهُ تحقَّقَ وقوعه وتأكَّد وتوطَّد في زمان عثمان رضي الله عنه.[1]

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ج٧/٢٠١.

ولا شك أن الأمة على امتداد أقاليمها وأمصارها قد تأثرت باستشهاد عثمان ﷺ، وكان لكل قوم موقفهم.

ولهذه الفتنة تأثيرها على مسيرة الأمة إلى يومنا الحاضر، وقد أُلفت كتب متعددة عن الموضوع، وخصوصًا ممن دافعوا عن عثمان ﷺ واعتبروه مظلومًا.(١)

وقد أُلفت الكثير من الكتب عن مقتله ﷺ، وأوضحت رأي الأمة في استشهاده ودفاعها عنه وعمن زكاهم النبي ﷺ من أصحابه.(٢)

وفتنة مقتل عثمان ﷺ لم تتوقف على زمانها، بل إن ما جرى بين علي ﷺ وأصحاب الجمل وعلي ﷺ ومعاوية، كان نتاج لمقتل عثمان ﷺ واستشهاده.

قال النووي ﷺ: ((وأما عثمان ﷺ فخلافته صحيحة

---

(١) انظر: قائمة أوردها محمد عبدالله غبان، فتنة مقتل عثمان ﷺ، ص٢٠.

(٢) انظر: قائمة ببعض ما ألف عن عثمان ﷺ في موضوع (نسبه ومولده) من هذا الكتاب.

بالإجماع، وقُتل مظلومًا، وقتلته فسقة؛ لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه ﷺ ما يقتضيه ... وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف، والأرذال، تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتى قتلوه ﷺ)).[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: ((وأما الساعون في قتله ﷺ فكلهم مخطئون، بل ظالمون، باغون، معتدون، وإن قُدِّر أن فيهم من قد يغفر الله له. فهذا لا يمنع كون عثمان قُتل مظلومًا)).[2]

وقال ابن تيمية ﷺ: ((وأما الذين قتلوه فنفر قليل. قال ابن الزبير: يعيب قتلة عثمان خرجوا عليه كاللصوص ومن وراء القرية فقتلهم الله كل قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب ـ يعني هربوا ليلاً ـ، ومعلوم بالتواتر أن أهل الأمصار لم يشهدوا قتله، فلم يقتله بقدر ما بايعه

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٥/٥٣٠.
(٢) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٣/٢٠٦.

وأكثر أهل المدينة لم يقتلوه ولا أحد من السابقين الأولين دخل في قتله)).[١]

وقال ابن تيمية ﷺ: ((والذين خرجوا على عثمان ﷺ: طائفة من أوباش القبائل)).[٢]

كان مقتل عثمان ﷺ أعظم مصيبة أصيبت بها الأمة بعد موت نبيها ﷺ، وإن كان الفاروق عمر ﷺ قد قتل وهو أفضل من عثمان ﷺ فإن قاتله كان علجًا واحدًا من المجوس لم يركع لله ـ تعالى ـ ركعة، ولا ادعى بقتله إصلاحًا، بل هو قتل غيلة، والقاتل أبو لؤلؤة قتل نفسه على إثر ذلك لعلمه بشناعة ما فعل.[٣]

وقد أحسن بعض الباحثين المحدثين العبارة في تصوير الحادثة فقال: ((وهذا حادثٌ كبيرٌ وخطيرٌ في تاريخ الإسلام، قاتمٌ ومأساويٌّ لفصلٍ مثيرٍ في تاريخ الخلافة

(١) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٤/٢٢٦.
(٢) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج٤/٢٢٦.
(٣) انظر: *www.alukah.net/sharia* الدخول بتاريخ: ١٠/١١/١٤٤٤هـ.

الراشدية، التي أضحت أمام منعطفٍ خطير سيترتَّب عليه عواقب وخيمة على الأمة الإسلامية بعامَّة، من واقع الانشقاقات والانقسامات النهائية؛ لأنَّ الهدوء سوف لن يدوم طويلاً بعد عثمان بن عفان ﷺ، فانطلق داخل الأمة عنفٌ واسعٌ دمّر الطاقة الإسلامية الذاتية، وشلَّ نهوض الأمة بما يتماثل والمراحل السابقة في عهدي الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، فانقسم المسلمون إلى جماعاتٍ وأحزابٍ متناحرة تفجَّرت في الحرب الأهلية، إنها إحدى أخطر المراحل في التاريخ الإسلامي، وقد تفوَّقت بنتائجها السلبية على حركة الردَّة التي أمكن حصرها والقضاء عليها)).[1]

وكما قيل: كان مقتل عثمان بن عفان ﷺ العنيف تاريخيًّا ومأساويًّا. تاريخيًّا؛ لأنَّه كان ضاغطًا على التاريخ السياسي طيلة قرنين أو ثلاثة، وتسبَّب بانشقاقاتٍ مذهبيَّةٍ عميقة من واقع انقسام المسلمين إلى سُنَّةٍ وشيعة، وأطلق

(١) انظر: *www.alukah.net/sharia* الدخول بتاريخ: ١٠/١١/١٤٤٤هـ.

نزاعاتٍ بالغةَ الخطورة من حروبٍ أهلية وعنفٍ فتاكٍ داخل الأمة الإسلامية، ولم تلتئم الجراح حتى يومنا هذا.[1]

ارتبطت بالمقتل مباشرة تلك المرحلة من سنوات الفتنة الخمس المزامنة لخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد عاشت الأمة بعد قتله خلافات متعددة وفتنة عظيمة زعزعتها، وأغرت الأعداء وظهر فيها أهل البدع والأهواء.

---

(١) انظر: *www.alukah.net/sharia* الدخول بتاريخ: ١٠/١١/١٤٤٤هـ.

الخاتمـــة

عثمان ﷺ من وجهاء قريش وأشرافها، صهر رسول الله ﷺ في ابنتيه رقية وأم كلثوم ﷺ، من أوائل من آمن برسول الله ﷺ وهاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها.

ثم هاجر مع رسول الله ﷺ وجاوره. كان ﷺ ذا مال نفع الله به رسوله والمسلمون، جهز جيش العسرة وأوقف الأوقاف، استخلفه ﷺ على المدينة في بعض غزواته، كما رافقه ﷺ في غزوات أخرى. كان نعم المستشار والمعين لأبي بكر الصديق ﷺ ومن بعده لعمر بن الخطاب ﷺ، بُويع بالخلافة بعد عمر ﷺ من قبل المرشحين، فكان نعم الخليفة، أطول الراشدين فترة خلافه، فتحت في أيامه مناطق جديد انتشر فيها الإسلام، وأحسن الإدارة والتنظيم للدولة، وعمّ الرخاء والسلام، وكثر المال، فزاد في العطاء.

غار أعداء الأمة من ذلك الاستقرار والرخاء فأشيعت النقمة على عثمان رضي الله عنه، حركها منافقون ومندسون ومرتدون سابقون مفسدون، بتحركات سرية مرتبة تبعهم غوغاء جهلة، مما أدى إلى حركة معادية لعثمان رضي الله عنه مظهرها الإصلاح وجوهرها ونتيجتها الإفساد. اكتشفها بعض ولاة عثمان رضي الله عنه وحذروا منها.

وقد تطورت الحركة في مصر والعراق، وجاء أتباعها بتنظيم وترتيب في جموع إلى المدينة المنورة، في وقت يظهر فيه الدقة في التنظيم والترتيب الزمني قبيل موسم الحج سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وناقشوا عثمان رضي الله عنه ثُمّ تظاهروا بالعودة لبلدانهم في مصر والعراق، حتى إذا ما خلت المدينة من معظم أهل الشوكة فيها بذهابهم للحج عاد أصحاب الفتنة، زاعمين أنهم وجدوا كتابًا بالانتقام منهم موجهة لأمراء عثمان رضي الله عنه في مصر، وقاموا بحصاره في داره، وقطعوا عنه الماء، ودافع عنه الصحابة رضي الله عنهم وأبناؤهم، وجرح بعضهم وقتل آخرون.

ولما رأى عثمان ﷺ أنهم مغلوبون أمرهم بالإنصراف مؤثرًا أن تكون الإصابة فيه وحده مع سلامة البقية. وفي الوقت نفسه كانت تحركت قوات لنجدته من العراق والشام. فلما خاف أصحاب الفتنة من وصولهم للمدينة بادروا لقتله، فاستشهد ﷺ. وقد عاشت الأمة بعد استشهاده فتنًا كثيرة انطلقت من تلك الحادثة إلى يومنا الحاضر عانى منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وبقية الأمة، حدت من انطلاقتها لفترة معينة، ثم عادت لتلك الانطلاقة بعد حوالي ست سنوات من تلك الحادثة.

لقد تطرق الرواة والكُتَّاب لعثمان ﷺ فنجا بعضهم وهلك آخرون ممن شارك ولو بعد قرون في اتهام عثمان ﷺ ذاك الصحابي المزكى والمبشر بالجنة منه ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى.

إن تتبع الروايات وتدقيقها يثبت سلامة عثمان والصحابة ﷺ، وصحة موقفه، وهلكة أهل الفتنة ممن قتله أو رضي بذلك، رضي الله عن عثمان ذي النورين صهر رسول

الله وصاحبه وقريبه، الخليفة الثالث صاحب الفتوح البريّة والبحرية رضي الله عنه، وأصلح الله حال الأمة والله المستعان.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).

- سنن أبي داود، تعليق عزت عبير. ط ١ ـ حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.
- سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. ط ٢ ـ الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).

- الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي. سربايا، أندونيسيا: مكتبة أحمد نبهان ١٣٩٤هـ.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).

- الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب. ط ٥ ـ القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، (ت، ٢٨١هـ).

- الإخوان، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٩هـ.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت، ٢٣٥هـ).

- المصنف، تصحيح عبدالخالق الأفغاني. كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.
- المغازي، تحقيق عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري. ط ١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢١هـ.

ابن أبي عدسة، أحمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي.

- التاريخ الكبير. مخطوط رقم: ١٢٢ تاريخ، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصور ميكروفيلم ورقم: ٦١.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٨م).

- الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

الأزدي، محمد بن عبدالله (ت، ٢٣١هـ).

- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر. القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس. بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت، ١٥١هـ).

- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله. ط ٢ ــ قونية ــ تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبدالله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط ٤ ــ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

ابن أعثم، العلامة أبي محمد بن أحمد الكوفي (ت، ٣١٤هـ ـ ٩٢٦م).

- الفتوح. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

الألوسي، محمود شكري (ت، ١٣٤٢هـ).

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري. ط ٢ ـ بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (د. ت).

الأندلسي، أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري المالقي (ت، ٧٤١هـ).

- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي وأحمد فتحي حجازي، راجعه فتحي عبدالرحمن حجازي. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ﷺ، تحقيق منى إزعريين وخديجة إزعريين، مراجعة د. بدر العمراني. ط ١ ـ الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٣م.

البخاري، الحافظ أبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح). ط ١ـ الرياض: دار إشبيليا ـ بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).

البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت، ٢٧٧).

- كتاب المعرفة والتاريخ. رواية عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط ٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١.

البغدادي، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد (ت، ٣٣٧هـ).

- الخراج وصناعة الكتابة. ط ١ ـ بغداد: دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.

البلادي، عاتق بن غيث.

- معالم مكة التاريخية والأثرية. ط ٢ ـ مكة: دار مكة.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان. بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبدالعزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس. بيروت: ١٣٩٨هـ و١٤٠٠هـ.
- أنساب الأشراف، الجزء الخامس، تحقيق محمود الفردوس العظم. دمشق: دار اليقظة العربية ١٩٩٩م.

ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت، ٧٣٩هـ).

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. ط ١ ــ دمشق: الرسالة العالمية ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- السنن الكبير، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ط١ ـ القاهرة: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩هـ).

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر. بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ت).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالسلام (ت، ٧٢٨هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. ط ٤ ـ بيروت: دار المعرفة ١٩٦٩م.
- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. ط٢ ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.
- منهاج السنة النبوية، وضع حواشيه وخرج آياته عبدالله محمود محمد عمر. بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).

- صفة الصفوة، تحقيق الشيخ خالد طرطوسي. بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. ط ٤ ــ بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ.

الحاكم، الامام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري.

- المستدرك على الصحيحين. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

- كتاب المحبّر، تحقيق ايلزه ليختن شتيتر. بيروت: دار الآفاق (د. ت).
- المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق. ط ١ ـ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة. القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- فتح الباري "شرح صحيح البخاري"، مراجعة عبدالرؤوف سعد وآخرين. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

الحلبي، على بن برهان الدين (ت، ٩٧٥هـ).

- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (إنسان العيون). بيروت: دار المعرفة ١٤٠٠هـ.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت، ٦٢٦هـ).

- معجم البلدان. بيروت: دار الكتاب العربي (د. ت).

ابن حنبل، الإمام أبي عبدالله أحمد (ت، ٢٤١هـ).

- مسند الإمام أحمد. بيروت: المكتبة الإسلامي ١٣٩٨هـ.
- فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس. ط ١ ـ بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس.

- الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من

الإسلام، مخطوط مصوّر ميكروفلم معهد المخطوطات العربية. القاهرة.

ابن خَلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت، ٨٠٨هـ).

- المقدمة. بيروت: دار العلم ١٩٧٨م.
- تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر) وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٣٩١هـ.

خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العُمري. ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الدارَقطني، بو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت، ٣٨٥هـ).

- سنن الدارقطني. ط ١ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٤هـ.

الدارمي، أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).

- سنن الدارمي. عناية محمد أحمد دهمان. (د. م) و(د. ت).
- سنن الدارمي. ج ٢، دار إحياء السنة النبوية، (د. م) و(د. ت).

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود.

- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر وجمال الشيال. بغداد: مكتبة المثنى (د. ت).

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط ٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي. بيروت: دار ومكتبة الهلال (د. ت).
- تاريخ الإسلام (عهد الخفاء الراشدين)، تحقيق عمر

عبدالسلام تدمري. ط ١ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- تجريد أسماء الصحابة. بيروت: دار المعرفة (د. ت).
- العبر في خبر مَن غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني بن زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين (ت، ٧١٠هـ).

- الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد الخاروف. ط ١ ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ.

ابن زبالة، محمد الحسن (ت ١٩٩هـ).

- أخبار المدينة، تحقيق صلاح بن عبدالعزيز زين سلامة. مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ١٤٢٤هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت).

الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (١٥٦ ـ ٢٣٦هـ).

- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال. ط ٣ ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

الزرقاني، محمد بن عبدالباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي. بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

ابن زنجوية، الإمام أبي بكر محمد بن حاتم.

- الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصديق، دراسة وتحقيق فضيلة الشيخ أحمد جلال. ط ١ ـ المنصورة: مكتبة فياض ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُغلي بن عبدالله.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. مخطوط تحت رقم: ٣٢٣٨، مكتبة آيا صوفيا، إستانبول تركيا.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠ هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى. ط ١ ـ القاهرة:

الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر (د. ت).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت، ٢٢٤هـ).

- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس. ط ٢ ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.

السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله بن أحمد الحسني أبو الحسن (ت، ٩١١هـ).

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. ط ٣ ـ بيروت: إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبدالرؤوف سعد. بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

- تاريخ الخلفاء، ج ١، تحقيق محي الدين عبدالحميد. ط ٣ ـ القاهرة: مكتبة المدني ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

ابن سيِّد الناس، أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت، ٦٧١هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).

- تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت. المدينة المنورة: نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مصطفي عبدالواحد وآخرون. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٩هـ.

الطبراني. أبو القاسم سليمان بن أحمد.

- المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني. ط ١ ـ الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

- تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الفكر (د. ت).

- تاريخ الأمم والملوك. ج ١ ـ القاهرة: المطبعة الحسينية (د. ت).

العباسي، أحمد بن عبدالحميد.

- عمدة الأخبار في مدينة المختار، ضبط محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر. ط ٤ ـ المدينة المنورة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (د. ت).

ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي المالكي (ت، ٤٦٣هـ).

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي. ط ١ ـ بيروت: دار الجيل ١٤٢١هـ ـ ١٩٩٢م.

ابن عبد ربه الأندلسي.

- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان. بيروت: دار الفكر.

ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله. (ت،١٨٧هـ).

- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: د. علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢٥هـ.

عبدالرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ط ٢ ــ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

ابن العربي، الإمام القاضي أبو بكر المالكي.

- العواصم من القواصم، تحقيق محب الخطيب، تقديم محمد جميل غازي. ط ٦ ـ القاهرة: منشورات مكتبة السنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ).

- تاريخ دمشق. صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق مكملة من القاهرة واسطنبول ـ المدينة المنورة: صورة أولى مكتبة الدار ١٤٠٧هـ.
- تاريخ دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي. ط ١ ـ دمشق: المجمع العلمي ١٩٨٢م.

الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد (ت، ٥٠٥هـ).

- إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة (د. ت).

الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب

المكي الحسني (٧٧٥ ـ ٨٣٢هـ).

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ط ١ ــ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. طبعة القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

الفاكهي، أبو عبدالله أحمد بن إسحاق (ت، ٢٧٩هـ تقريبًا).

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١ ـ مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة ١٤٠٧هـ.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم.

- المعارف. ط ٢ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي (ت، ٦٢٠هـ).

- التبيين في أنساب القرشيين، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي. ط ١ ـ المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

- منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين. مخطوط مصور على ميكروفلم تحت رقم: ١٢٤٦م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت، ٩٢٣هـ).

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. تحقيق صالح أحمد الشامي، ط ٢ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت، ٨٢١هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري. ط ٢ ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).

- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم. ط ٢ ــ الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.
- البداية والنهاية. ط ٣ ـ بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع سليمان بن موسى.

- الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة، تحقيق أحمد غنيم. ط ١ ــ مصر: دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت، ٣٥٠هـ)

- تاريخ ولاة مصر. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ

ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ).

- سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ــ القاهرة: ١٣٧٣هـ.

المالقي، محمد بن أبي بكر الأندلسي (ت، ٧٤١هـ).

- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ﷺ، دراسة وتحقيق منى أزعرين وخديجة أزعرين. ط ١ ــ الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

مالك بن أنس، الامام (ت، ١٧٩هـ).

- الموطأ، مراجعة فاروق سعد. ط ٨ ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠هـ).

- الأحكام السلطانية. بيروت: دار الفكر (د. ت).

ابن المبارك، عبدالله بن واضح المرزوقي.

- الزهد ويليه كتاب الرقائق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبدالهادي الصالحي الحنبلي.

- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تحقيق: عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن. ط ١ ـ المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

المحب الطبري، أبي جعفر أحمد.

- الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة. ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

المراغي، الحسين بن عمر (ت، ٨١٦هـ).

- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق عبدالله عسيلان. ط ١ ـ (د. م) ١٤٢٢هـ.

المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ترتيب وضبط يوسف أسعد داغر. ج ٢، ط ٢ ـ بيروت: دار الأندلس ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح. بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

المقريزي، أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ).

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (القول الإبريزي). القاهرة: مطبعة التوفيق ١٨٩٨م.
- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، حققه، محمود محمد شاكر. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت، ٧١١هـ).

- لسان العرب. ط٣ ـ بيروت: دار صادر ١٤١٤هـ.

ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود (ت، ٦٤٣هـ).

- أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال. ط ٣ ـ مكة المكرمة: دار الثقافة ١٤٠١هـ.
- الدرة الثمينة في أخبار المدينة، دراسة وتحقيق صلاح الدين عباس. ط ١ ـ مركز بحوث المدينة ١٤٢٧هـ.

النّسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ).

- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الأمام السندي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦ هـ).

- شرح صحيح مسلم، إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف علي عبدالحميد أبو الخير. ط ٣ ـ دمشق: دار الخير ١٤١٦هـ.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي. القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د. ت).

الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري (ت، ٩٧٥هـ).

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ط ٥ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

الهيثمي، نور الدين عل بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).

- المغازي، تحقيق مارسدن جونس. بيروت: عالم الكتب (د. ت).

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت، ٧٦٨هـ).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة: دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).

- تاريخ اليعقوبي. ج ٢، بيروت: دار صادر ١٣٧٩هـ.

اليماني، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد.

- تاريخ النجف المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي. القاهرة: مطبعة مخيمر ١٩٦٥م.

ثانيًا: المراجع:

أبو تراب الظاهري.

- أصحاب الصفة. جدة: دار القبلة ١٤٠٣هـ.

أحمد، أحمد شعبان.

- عثمان بن عفان ﷺ. ط ١ـ القاهرة: مكتبة الصفا ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

أحمد عادل كمال.

- القادسية. ط ١ ـ بيروت: دار النفائس ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

آربري، آرثر.

- شيراز مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة د. سامي مكارم. بيروت: مكتبة لبنان (د. ت).

الأعظمي، محمد مصطفى.

- كُتَّاب النبي ﷺ. ط ٣ ـ دمشق: لمكتب الإسلامي ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

الأنصاري، حسان بن ثابت.

- ديوان حسان بن ثابت. دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

الأنصاري، الشيخ ناجي محمد حسن.

- عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ. ط ١ ـ من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ.

بخش، صلاح الدين خودا.

- حضارة الإسلام، ترجمة د. علي حسني الخربوطلي. بيروت: دار الثقافة ١٩٧١م.

بدران، عبدالقادر (ت، ١٣٤٦هـ).

- تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر. ط ٢ ـ بيروت: دار الفكر ١٣٩٩هـ.

البستاني، بطرس.

- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم آثارهم نقد آرائهم). بيروت: مؤسسة هنداوي ٢٠١٧م.

الترمانيني، عبدالسلام.

- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول

(أهم أحداث التاريخ الإسلامي). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

حجازي، علي سعد علي.

- عبر الأشجان من سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١١م.
- هدي الطريق من سيرة أبي بكر الصديق. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١٠م.

حسين، طه.

- الفتنة الكبرى. طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٧م.

حسيني، مولوي س. أ. ق.

- الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي، مراجعة، عبدالعزيز عبدالخالق. القاهرة: مكتبة القاهرة (د. ت).

الحمادي، محمد جاسم.

- ولاية عبدالله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد: ٢١، بغداد: ١٩٨٢م.

حميد الله، محمد.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. ط ٤ ـ بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.

الحولي، محمد بن علي الأكوع.

- الوثائق السياسية اليمنية قبيل الإسلام حتى سنة ٣٣٢هـ. ط ١ ـ بغداد: دار الحرية ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦م.

الخربوطلي، علي حسني.

- الإسلام والخلافة. بيروت: دار بيروت ١٩٦٩م.

الخروف، أحمد.

- شهيد الدار عثمان بن عفان. ط ١ ـ عَمان ـ الأردن: دار عمار ١٤١٨هـ.

الخليفة، حامد محمد.

- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق حامي الإسلام من الرفض والرِّدَّة. ط ١ ـ الرياض: دار الميمان ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

الخياري، أحمد ياسين.

- تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا. المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٤١٠هـ.

دغفوس، راضي.

- اليمن في عهد الولاة. بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية، العدد: ١٠٧ ـ ١٠٨، المجلد: ٢٥، عام ١٩٧٩م.

ديرانية، أكرم رسلان ديرانية.

- الحكم والإدارة في الإسلام، دراسة تحليلية مقارنة. ط١ ـ جدة: دار الشروق ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

رشيد، محمد رضا.

- ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث. ط ٢ ـــ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

الرفاعي، أنور.

- النظم الإسلامية، بيروت: دار الفكر المعاصر، (د. ت).

الريس، محمد ضياء الدين.

- النظريات السياسية. ط ٧ ـــ القاهرة: دار التراث ١٩٧٩م.

الزبداني، عمر أنور.

- الآراء الفقهية لثالث الخلفاء الراشدين. بحث مقدم في الندوة العلمية التي نظمها مركز عقبة بن نافع

للدراسات والأبحاث حول الصحابة والتابعين التابع للرابطة المحمدية للعلماء بمدينة طنجة، المغرب: ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

الزبيدي، محمد حسن.

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري. القاهرة: ١٩٧٠م.

سالم، السيد عبدالعزيز ـ العبادي، أحمد مختار.

- تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (الجزء الأول). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة (د. ت).

السباعي، أحمد.

- تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران. الجزء الأول، ط ٤ ـ مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

سعد، مصطفى محمد.

- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى. ط ١ ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م.

السلمي، محمد صامل.

- خلافة عثمان بن عفان. ط ١ ــ الرياض: دار الوطن ١٤١٩هـ.

سليمان، محمد عبدالله.

- معايير نقد الشعر عند الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ. مجلة اللغة العربية الدولية، الأحد ١٩ يونيو ٢٠٢٢ ميلادي ـــ ١٩ ذو القعدة ١٤٤٣ هجري، *https://www.arabiclanguageic.org/index.php*

السيد، مجدي فتحي.

- صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان. ط ١ ــ طنطا: دار الصحابة للتراث ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.

شرقاوي، أدهم عبدالحليم شرقاوي.

- ثاني اثنين. بيروت: كلمات للنشر والتوزيع ٢٠٢٠م.

الشريف، أحمد إبراهيم.

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول. القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت).

الشنقيطي، محمد الأمين عوض الله.

- السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري. الكويت: ١٤١٤هـ.

أبو شهبة، محمد بن محمد.

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة. ط ٧ ـ دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

الصالح، صبحي.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها. ط ٥ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠م.
- مباحث في علوم القرآن، ط ١٦ ـ بيروت: دار الملايين ١٩٨٥م.

صقر، نادية حسني.

- الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. ط ١ ـ جدة: دار الشروق ١٤٠١هـ.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق ـ شخصيته وعصره. الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.

- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ــ شخصيته وعصره. الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.
- سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٣م.

الصوياني، محمد حمد عبدالله.

- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ط٨ ـ الرياض: العبيكان ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م.

ابن طباطبا، محمد بن علي الطقطقا.

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

الطريفي، ناصر بن عقيل.

- القضاء في عهد عمر بن الخطاب ﷺ. ط ١١ ــ جدة: دار المدني ١٤٠٦هـ.

الطنطاوي، علي وناجي.

- أخبار عمر بن الخطاب وأخبار عبدالله بن عمر. ط ٨ ــ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

عاطف بن عبدالوهاب حماد

- جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ. مصر: دار الهدي النبوي.

عبدالرحيم، راضي عبدالله.

- النظام الإداري والحربي في الدولة العربية الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين. رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بجامعة القاهرة في العام الجامعي ١٣٩٩هـ.
- النظام الإداري والحربي، (رسالة).

عبدالغني، محمد إلياس.

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط ٢ ـ المدينة: مركز طيبة ١٤١٨هـ.

عبداللطيف، بدوي.

- الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني الهاشمي والأموي. ط ١ ـ القاهرة: مطبعة شبرا ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

العبودي، محمد ناصر.

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ بلاد القصيم. ط ١ ـ الرياض: دار اليمامة ١٣٩٩هـ

العبيدي، عبدالجبار.

- الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، ط ٢ ـ الرياض: دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.

العتيبي، محمد بن عوض.

- نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام. الرياض: ١٤٣٠هـ غير منشورة.

عثمان، محمد فتحي.

- من أصول الفكر السياسي الإسلامي، دراسة لحقوق الإنسان ولوضع رئاسة الدولة في ضوء الشريعة الإسلامية وتراثها التاريخي والفقهي. ط ٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

عرجون، صادق إبراهيم.

- عثمان بن عفان. ط ١ ـ القاهرة: (د. م) ١٣٦١هـ.

عرموش، أحمد راتب.

- الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي. ط ١ ـ بيروت: دار النفائس ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

العزّاوي، عمر قحطان عبداللطيف.

- المروّيات التاريخية والمآثر والمناقب لكُتَّاب الوحي في الكتب الستة. ط ١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

العقاد، عباس محمود.

- عبقرية عمر رضي الله عنه. صيدا ـ لبنان: المكتبة العصرية (د. ت).

علي، جواد.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٦م.

العلي، صالح أحمد.

- تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة المنورة. بغداد: ١٩٦٩م.
- الدولة في عهد الرسول. مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩م.
- محاضرات في تاريخ العرب (الدولة العربية قبل الإسلام). (د. م) ١٩٦٠م.

- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول. ط ٢ ـ بيروت: دار الطليعة ١٩٦٩م.

علي، محمد كرد.

- الإدارة الإسلامية في عز العرب. القاهرة: مطبعة مصر ١٩٣٤م.

علي، مراد محمد.

- الأساليب الإدارية في الإسلام. القاهرة: دار الإعتصام ١٩٨٠م.

العُمري، أكرم ضياء.

- السيرة النبوية الصحيحة. ج ٣، ط ٣ ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.
- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ.
- عصر الخلافة الراشدة ـ محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين. ط ٢ ـ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم بن سليمان.

- الأوقاف العامة وما في حكمها في عصر الرسول ﷺ

وخلفائه الراشدين ﷺ دراسة تاريخية. الرياض: مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف ١٤٤٠هـ.

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ. ط٣ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.
- خليفة رسول الله ﷺ ثاني اثنين أبو بكر الصديق ﷺ، ط ١ ـ الرياض: الحميضي ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م.
- رسول الله ﷺ وخاتم النبيين ـ دين ودولة. ط ١ ـ بيروت: بيسان ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
- شهيد المدينة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، ط ١ ـ الرياض: الحميضي ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م.
- الفتوح الإسلامية عبر العصور. ط ٢ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين. ط ١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.

العميد، طاهر مظفر.

- تأسيس مدينة الكوفة، ع ـ ٦. العراق: إتحاد المؤرخين العرب ١٩٧٦م.

العودة، سليمان بن حمد.

- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام. ط ١ ـ الرياض: دار طيبة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

عيسى، أحمد عبدالرحمن.

- كُتَّاب الوحي. ط ١ ـ الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

آل عيسى، عبدالسلام بن محسن.

- دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ. ط ١ ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٣هـ.

غبان، محمد بن عبدالله.

- الأيام الأخيرة من حياة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ. ط ٢ ـ الكويت: مركز البحوث والدراسات في مبرة الآل والأصحاب ١٤٣٢ ـ ٢٠١١م.
- فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه. ط ١ ـ الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

الغزالي، محمد.

- فقه السيرة. ط ٧ ــ القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.

الغيث، خالد بن محمد.

- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، في تاريخ الطبري، دراسة نقدية. ط ٢ ـ جدة: دار الأندلس الخضراء ١٤٢٠هـ ـ ٢٠١٥م.

الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف.

- اليمن في ظل الإسلام من فجره حتى قيام دولة بني رسول. ط ١ ـ القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٢م.

قاسم، محمد بن عبدالرحمن بن محمد.

- أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، بحث لخصه ورتبه من منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط ١ ـ الرياض: دار القاسم للنشر ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

قزاز، وداد علي.

- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء

الراشدين في المتحف العراقي. مجلة المسكوكات، بغداد: مديرية الآثار العامة ١٩٦٩م.

قلعه جي، محمد روّاس.

- موسوعة فقه عثمان بن عفان. ط ١ ـ القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

القيسي، عاطف عباس.

- ثقيف ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.

الكتاني، عبدالحى بن عبدالكبير.

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية. ج ٢ ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

كعكي، عبدالعزيز عبدالرحمن إبراهيم.

- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ. ط ١ ـ المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.

لمعي، صالح.

- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري. بيروت: دار النهضة ١٩٨١م.

مال الله، محمد.

- شبهات حول الصحابة والرّدّ عليها (ذو النورين عثمان بن عفان)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وتعليق محمد مال الله. ط ١ ـ (د. م) ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

ماهر، سعاد.

- مساجد في السيرة النبوية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

المحمصاني، صبحي.

- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.

محمود، حسن سليمان.

- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي. ط ١ ـ بغداد: ١٩٦٩م.

المعتصم، محمد.

- المدينة الإسلامية وخصائصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثاني، جامعة قطر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

الملحم، محمد بن ناصر.

- تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري (رسالة ماجستير). ١٤٠٤/١٤٠٥هـ.

المنجد، صلاح الدين.

- معجم ما ألف عن رسول الله. بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٢م.
- السيرة النبوية الشريفة وعبرتها الخالدة وموعظتها الحسنة.
- مُعجم أماكن الفتوح. لجنة البيان العربي ١٩٦٠م.

النجم، عبدالرحمن عبدالكريم.

- البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج. بغداد: دار الحرية ١٩٧٣م.

الندوي، علي أبو الحسن بن عبدالحي بن فخر الدين

- السيرة النبوية. ط ١٢ ـ دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٥هـ.

هيكل، محمد حسين.

- عثمان بن عفان بين الخلافة والملك. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م.

اليوزبكي، توفيق سلطان.

- دراسات في النظم العربية والإسلامية. ط ٣ ــ بغداد: وزراة التربية والتعليم العالي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
مقدمة	٧
نسبه ومولده رضي الله عنه	١١
زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم	١٥
صفته رضي الله عنه	١٨
لباسه رضي الله عنه	٢٣
طعامه رضي الله عنه	٢٨
فضل عثمان رضي الله عنه	٣٠
علاقته بالنبي ﷺ	٤٥
كتابته الوحي	٤٦
حياته رضي الله عنه في مكة	٤٨
إسلام عثمان رضي الله عنه	٥٠
هجرته رضي الله عنه إلى الحبشة	٥٢
هجرته رضي الله عنه إلى المدينة	٥٣

الموضوع	الصفحة
أخلاقه وتواضعه رضي الله عنه	٥٦
حياؤه رضي الله عنه	٥٧
كرمه وسخاؤه رضي الله عنه	٥٩
ورعه وزهده رضي الله عنه	٦٧
علم عثمان رضي الله عنه وفقهه	٧١
صدقات عثمان رضي الله عنه وأوقافه	٧٥
زيادته رضي الله عنه في المسجد الحرام والنبوي	٧٨
جهاده رضي الله عنه مع النبي ﷺ	٨٢
عثمان رضي الله عنه ووفاة النبي ﷺ	٨٨
علاقته رضي الله عنه بآل البيت	٩٢
علاقته رضي الله عنه بالصحابة رضي الله عنهم	٩٦
عمله رضي الله عنه في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما	١٠٠
الشورى وبيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة	١٠٤
خطب عثمان رضي الله عنه	١١٩
أوّليَّات عثمان رضي الله عنه	١٢٦

الموضوع	الصفحة
جمعه ﷺ الناس على مصحف واحد	١٣٢
سياسة عثمان ﷺ المالية	١٣٩
إدارة الدولة وبلدانها في عصر عثمان ﷺ	١٤٣
مكة المكرمة	١٤٥
المدينة المنورة	١٥٠
البحرين واليمامة	١٥١
اليمن وحضرموت	١٥٥
ولاية الشام	١٥٩
أرمينية	١٦٧
ولاية مصر	١٧١
ولاية عبدالله بن أبي السرح ﷺ	١٧٥
ولاية البصرة	١٩٠
ولاية ابن عامر ﷺ على البصرة	١٩٧
ولاية الكوفة	٢١١
سياسة عثمان ﷺ مع الولاة في عهده	٢٥٧

الموضوع	الصفحة
دور الولاة في إدارة الدولة الإسلامية في عصر عثمان رضي الله عنه	٢٦٨
العدل والقضاء في خلافة عثمان رضي الله عنه	٢٧٧
الفتوح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه	٢٨٤
(أ) فتوح أفريقيا سنة (٢٧هـ)	٢٨٤
بلاد النوبة سنة (٣٣هـ)	٢٨٧
(ب) فتح أرمينية سنة (٢٩هـ)	٢٨٨
(ج) الفتوحات البحرية	٢٩٠
فتح قبرص سنة (٢٧هـ)	٢٩٢
معركة ذات الصواري سنة (٣١هـ)	٢٩٤
(د) فتوح الشرق والقضاء على مملكة الفرس	٢٩٦
أحداث الفتنة	٣٠١
حصار عثمان رضي الله عنه واستشهاده	٣٣٧
صفة قتله رضي الله عنه	٣٦٩
دفن عثمان رضي الله عنه	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
مراثي شعرية في عثمان رضي الله عنه	٣٨٢
موقف الصحابة رضي الله عنهم من مقتل عثمان رضي الله عنه	٣٩٦
على رضي الله عنه ومقتل عثمان رضي الله عنه	٤١٥
أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومقتل عثمان رضي الله عنه	٤٢٢
ما بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه	٤٢٦
موقف الأمة من استشهاد رضي الله عنه	٤٣٠
الخاتمة	٤٣٨
المصادر والمراجع	٤٤٢
فهرس الموضوعات	٤٨٨